نموذج رقم (1)

إقـــــرار

أنا الموقع أدناه مقدم الرسالة التي تحمل العنوان:

تأثير القرآن الكريم على المخلوقات
(دراسة موضوعية)

أقر بأن ما اشتملت عليه هذه الرسالة إنما هو نتاج جهدي الخاص، باستثناء ما تمت الإشارة إليه حيثما ورد، وإن هذه الرسالة ككل أو أي جزء منها لم يقدم من قبل لنيل درجة أو لقب علمي أو بحثي لدى أي مؤسسة تعليمية أو بحثية أخرى.

DECLARATION

The work provided in this thesis, unless otherwise referenced, is the researcher's own work, and has not been submitted elsewhere for any other degree or qualification

Student's name: اسم الطالبة: فاطمة عماد محمد أبو كرسه

Signature: التوقيع:

Date: التاريخ: ١٧/١٠/٢٠١٥م

الجـــامعـــة الإسلاميـــــة – غـــزة
شؤون البحث العلمي والدراسات العليا
كـــلـــيـــــة أصـــــول الديـــــن
قســـم التفسيـــر وعلـــوم القـــرآن

تأثيـــر القـــرآن الكـــريـــم علـــى المخلوقات

(دراسة موضوعية)

The effect of the holy Quran on creatures

(Objective Study)

إعداد الطالبة

فاطمة عماد أبو كرش

إشراف الدكتور

صبحي رشيد اليازجي

قدمت هذه الخطة استكمالا لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في التفسير وعلوم القرآن

١٤٣٦هـ- ٢٠١٥م

بسم الله الرحمن الرحيم

الجامعة الإسلامية – غزة
The Islamic University - Gaza

مكتب نائب الرئيس للبحث العلمي والدراسات العليا هاتف داخلي 1150

الرقم Ref ج س غ/35/
التاريخ Date 2015/09/12م

نتيجة الحكم على أطروحة ماجستير

بناءً على موافقة شئون البحث العلمي والدراسات العليا بالجامعة الإسلامية بغزة على تشكيل لجنة الحكم على أطروحة الباحثة/ **فاطمة عماد محمد أبو كرش** لنيل درجة الماجستير في كلية *أصول الدين*/ قسم التفسير وعلوم القرآن وموضوعها:

تأثير القرآن الكريم على المخلوقات – دراسة موضوعية

وبعد المناقشة العلنية التي تمت اليوم السبت 28 ذو القعدة 1436هـ، الموافق2015/09/12م الساعة الواحدة والنصف ظهراً بمبنى اللحيدان، اجتمعت لجنة الحكم على الأطروحة والمكونة من:

د. صبحي رشيد اليازجي	مشرفاً و رئيساً	.....
د. إبراهيم عيسى صيدم	مناقشاً داخلياً	.....
أ.د. عبد السميع خميس العرابيد	مناقشاً خارجياً	.....

وبعد المداولة أوصت اللجنة بمنح الباحثة درجة الماجستير في كلية أصول الدين/ قسم التفسير وعلوم القرآن.

واللجنة إذ تمنحها هذه الدرجة فإنها توصيها بتقوى الله ولزوم طاعته وأن تسخر علمها في خدمة دينها ووطنها.

والله ولي التوفيق ،،،

نائب الرئيس لشئون البحث العلمي والدراسات العليا

أ.د. عبدالرؤوف على المناعمة

P.O. Box 108, Rimal, Gaza, Palestine fax: +970 (8) 286 0800 فاكس Tel: +970 (8) 286 0700 هاتف ص.ب. 108 الرمال، غزة، فلسطين
public@iugaza.edu.ps www.iugaza.edu.ps

بسم الله الرحمن الرحيم

قَالَ تَعَالَىٰ:

﴿ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا

يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۗ

إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾

[الإسراء: ٤٤]

صَدقَ اللهُ العَظِيم

الإهـــداء

فكرت ملياً لمن أهدي هذا العمل؟ فقلت في نفسي لـم لا أجعلـه هدية حب وعدل وهدى؟

- إلى الذي علمنا الحب، والبذل، والأخوة، والسلام، حبيب قلبي، ونور بصري، وقدوتي في عسري ويسري، رسول رب العالمين، وإمام المرسلين محمد بن عبدالله الصادق الأمين
- إلى قدوتي ونبراسي في الحياة، إلى من أضاء دربي نحو مستقبلي وبث النور في جوانحي ... أقول لك يا أبتي ها انا أواصل الطريق لأسير على خطاك فهنيئاً لي بك يا أبتاه.
- إلى معنى الحب والحنان والتفاني إلى بسمة الحياة وسر الوجود إلى من كان دعاؤها سر نجاحي وحنانها بلسم جراحي إلى أغلي الحبايب أمي الغالية.
- إلى سلطان قلبي ورفيق دربي ... إلى من سار معي نحو الحلم.. فبدأنا المشوار سوياً.. خطوة بخطوة.. وها نحن نحصد ثمارنا معاً.. وسنبقى على ذات الطريق.. بإذن الله
- إلى الأهل في الشطر الثاني من الوطن.. أهل زوجي الكرام.. رغم البعد وعدم اللقاء فقد أتحفتموني بدعواتكم لي.. جمعنا الله بكم في القريب ..
- إلى أشقاء روحي، وسندي وذخري، إلى من يصفو القلب لهم، وتنسى الهموم معهم إلى من كبرت معهم وبهم ... إلى إخوتي وأخواتي.
- إلى ضحكتي في هذه الدنيا سعادتي ونور عيني.. يا من زينتم طريقي بوجودكم..يحيي ونور الدين حفظكم الله ورعاكم
- إلى من علمونا حروفاً من ذهب وكلمات من درر وعبارات من أسمى وأجلى عبارات في العلم إلى من صاغوا لنا من علمهم حروفاً ومن فكرهم منارة تنير لنا مسيرة العلم والنجاح.. أساتذتي الأفاضل
- إلى أعمامي وعماتي... أخوالي وخالاتي... لكم مني كل تحية واحترام.
- إلى من عجز القلم عن كتابة أسمائهم، فأدخلتهم قلبي بكل افتخار أخواتي في الله ...
- إلى كل بطل خلف القضبان... وكل مرابط على ثغور الأوطان..لكم منا تحية فخار وإكبار..

إليهم جميعاً أهدي ثمرة جهدي

شكر وتقدير

الحمد الله الذي خلق الأرض والسماوات، ورفع الذين آمنوا وأوتوا العلم درجات، وجعلنا من أهل القرآن والرباط والثبات، وأكرم الأمة بأن جعل منهم العلماء الثقات، الذين كانوا على مر الزمان لغيرهم منارات، فأناروا الطريق لمن أراد الفوز والنجاة، وأحمده جل في علاه على عظيم فضله وامتنانه عليّ بإتمام هذا البحث، كما في قوله تعالى: ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ﴾ (الأحقاف: ١٥) ، والصلاة والسلام على النبي المختار وعلى آله وصحبه الأخيار، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد..

فالإنسان يمر في سنوات حياته بمحطات كثيرة يتعرف من خلالها على شخصيات عديدة، يكون لها الأثر الكبير في علمه وعمله و ومعرفته ونبوغه.

وانطلاقاً من قول المولى ﷻ ﴿وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ﴾ (لقمان: ١٢)، ومن حديث رسول الله ﷺ الذي يقول فيه : "**من لا يشكر الناس لا يشكر الله**"[(١)]، فإني أتقدم بالشكر الجزيل لمن تفضل بقبول الإشراف على هذه الرسالة، الذي لم يحرمني من علمه، ولم يبخل علي من كثرة اهتمامه، فقد أسدل علي رعايته، وأكثر من حرصه أن تصل هذه الرسالة إلى ما وصلت إليه.

دكتوري الفاضل: **د. صبحي اليازجي** حفظه الله.

كما وأتقدم بعظيم الامتنان وبجزيل الشكر والتقدير إلى من قَبِلا أن يتحملا عناء قراءة هذه الرسالة، ومناقشتها ثم يعطيان تعليمات قيمة وإرشادات مهمة في موضوع الرسالة

فضيلة الدكتور/ **إبراهيم صيدم** حفظه الله.

وفضيلة الدكتور/ **عبد السميع العرابيد** حفظه الله .

فأسأل الله أن يجعله في ميزان حسناتهما، وأن ينفعني بما يبديانه من نقد وملاحظات من أجل إثراء هذه الرسالة .

ولا أنسى أن أتقدم بالشكر الجزيل على العطاء الكبير لجامعتي الغراء الجامعة الإسلامية رئيساً وعمادة وأساتذة وجميع من تولى عمادة كلية أصول الدين والدراسات العليا بالجامعة، وأخص بالذكر قسم التفسير وعلوم القرآن، لما يبذلونه من جهد دؤوب في خدمة العلم ورعاية أهله وتوجيههم إلى الفوز والفلاح.

ولا أنسى فريق العمل بمكتبة الجامعة الإسلامية الذين يواصلون الليل بالنهار لخدمة الطلاب.

والشكر موصول لكل من أفادني بجواب، أو مدّني بكتاب، أو أرشدني إلى الصواب، أو دعا لي دعوة في ظهر الغيب خالصة، لكل هؤلاء فيض من شكر وتقدير وامتنان.

---

(١) سنن الترمذي، أبواب: البر والصلة، باب: ما جاء في الشكر لمن أحسن إليك،ح(١٩٥٤)، ٤/ ٣٣٩.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة:

الحمد لله الذي نزل القرآن على عبده ليكون للعالمين نذيراً، والصلاة والسلام على من أيده الله عز وجل بالقرآن مبشراً ونذيراً، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً، صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وصحبه الذين اتخذوا القرآن منهجاً ودليلاً . أما بعد :

فالقرآن معجزة باقية ما بقي على الأرض حياة أو أحياء، أيّد الله تعالى به رسوله محمدا صلّى الله عليه وسلّم؛ وتحدّى الإنس والجنّ على أن يأتوا بسورة من مثله، فكان عجز البلغاء والفصحاء قديماً وحديثاً أكبر دليل على سماويّة هذا الكتاب، وأنه كلام ربّ العالمين، قال تعالى: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ (الإسراء:٨٨)

فمن المعلوم أن لهذا القرآن ما يشبه السحر في تأثيره على النفوس والقلوب، ومن الثابت تاريخياً أن هذا التأثير كان له فعله في أنفس المؤمنين خاصّة، وفي أنفس المشركين عامة، والآن بعد تعاقب الشهور والسنين والقرون لا يزال للقرآن جدّته، ولا يزال له تأثيره، بل زادت قوّته قوة وحجّته حجة، هذا وقد بين عز وجل أنَّ أعظم الأشياء في الكون وأقلها تتأثر بالقرآن قال تعالى:﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (الحشر: ٢١) فالله تعالى ضرب هذا المثل لبيان أنَّ أشد الأشياء صلابة من المخلوقات تتأثر بالقرآن، كذلك يظهر لنا تأثير القرآن الكريم على الجماد والنبات والحيوان ، إذا كانت الجبال الصم خشعت لكلام الله وتصدعت من خشية الله ، فالأولى بالبشر أن يخروا سجداً بين يدي الله ولهذا فقد آثرت أن يكون بحثي تحت عنوان :

تأثير القرآن الكريم على المخلوقات

" دراسة موضوعية "

أسأل الله عز وجل أن يوفقني لما يحبه ويرضاه ، وأن يكون عملي هذا خالصاً لوجهه الكريم .

أولا- سبب اختيار الموضوع:

١) ما لاحظته من انفعالات ومظاهر مختلفة يتأثر بها المؤمن وغير المؤمن حين سماعهم أو تلاوتهم للقرآن، وكذلك بيان أثره على باقي المخلوقات من حيوان ونبات وجمادات، وقد بين الله تعالى ذلك فى كتابه كما سنبينه في حينه إن شاء الله تعالى.

٢) إظهار وإبراز هذا اللون من الإعجاز الخفي الذي لا يملك له الإنسان دفعاً.

٣) إثراء المكتبة الإسلامية بموضوع جديد يتعلق بالتفسير الموضوعي للقرآن الكريم.

٤) ابتغاء الأجر والثواب من خلال خدمة كتاب الله تعالى: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ ﴾ (النحل:٩٧).

ثانيا - أهمية وأهداف البحث :

١) تنبع أهمية البحث من خلال إظهار مدى تأثير القرآن الكريم على المؤمنين خاصة وغير المؤمنين بشكل عام، وأيضاً تأثيره على الجماد والحيوان والنبات .

٢) قراءة القرآن ونطقه بالكيفية التي هو عليها بحيث يؤثر تأثيراً يلمس الوجدان ويحرك المشاعر، ويفيض الدموع، يسمعه الذين يعقلون فيسارعون خاشعين معلنين إيمانهم، شاهدين لله بالوحدانية، ويظهر أثره على باقي المخلوقات

٣) بيان أن أثر القرآن لا يختص بنفس دون نفس، ولا يتعلق بعوام الناس، وإنما هو يمس القلوب المتفتحة له، مهما كان حاملها، شريفاً كان أم وضيعاً، ودون تمييز بين مستوياتهم الاجتماعية، أو الأدبية، أو المادية.

ثالثا- الدراسات السابقة:

بعد البحث المستفيض في المكتبات، ومراكز البحوث العلمية، قامت الباحثة بمراسلة جامعة الدمام للبحوث والدراسات الإسلامية في المملكة العربية السعودية ، فتم إفادتها بعدم وجود دراسات قرآنية محكمة في هذا الموضوع .

ولقد وجدت الباحثة بعض الدراسات المتعلقة بجزيئات هذا الموضوع وهي كالتالي :

١) المظاهر السلبية لغير المؤمنين تجاه النص القرآني د. عبد السميع العرابيد .

٢) مظاهر التأثير القرآني على المؤمنين د. عبد السميع العرابيد .

٣) الإعجاز التأثيري في القرآن الكريم د. عصام زهد .

رابعا- منهج البحث :

اتبعت الباحثة المنهج الموضوعي في التفسير، وسيكون عملي في البحث على النحو التالي:

١) جمع الآيات التي تتعلق بالموضوع، وتقسيمها على المباحث والمطالب المختلفة.

٢) عزو الآيات القرآنية إلى سورها، وذكر اسم السورة، ورقم الآية، وكتابتها بالرسم العثماني، وذلك في متن الرسالة ، بهدف التخفيف عن الحواشي .

٣) خدمة البحث بالرجوع إلى المراجع الأصلية والمعتمدة من كتب التفسير بالمأثور والرأي المحمود .

٤) تخريج الأحاديث التي وردت في البحث تخريجاً علمياً مع إيراد حكم العلماء عليها إن وجد، هذا إن لم تكن في الصحيحين أو أحدهما.

٥) الرجوع إلى المعاجم اللُغوية من أجل بيان معاني المفردات الغريبة.

٦) عمل الترجمة للأعلام المغمورين الذين وردوا في البحث .

٧) عزو الأقوال المقتبسة لأصحابها وذلك في مواضع الاقتباس وتوثيقها حسب الأصول المعتبرة في ذلك.

٨) اكتفيت في التوثيق بذكر اسم الكتاب، واسم المؤلف، والجزء ، ورقم الصفحة ، أما التعريف الكامل بالكتاب فذكرته في قائمة المراجع دفعاً للتكرار .

خامسا - خطة البحث:

يتكون هذا البحث من مقدمة وتمهيد وثلاثة فصول وخاتمة وفهارس كما يلي :

المقدمة :

وتشتمل على: أهمية البحث وأسباب اختياره، والدراسات السابقة ، ومنهج البحث، وخطة البحث.

التمهيد: مفهوم التأثير القرآني وبيان أحكام العلماء فيه .

ويتكون من:

أولاً : مفهوم التأثير القرآني ومعالمه.

ثانياً : أقوال العلماء في التأثير القرآني.

الفصل الأول

تأثير القرآن على النبي ﷺ والمؤمنين

ويتكون من أربعة مباحث:.

المبحث الأول: تأثير القرآن على النبي ﷺ.

ويشتمل على خمسة مطالب:

المطلب الأول: تغير ملامحه عند نزول القرآن عليه

المطلب الثاني: بكاء المصطفى عليه السلام

المطلب الثالث: التزامه بالقرآن سلوكاً وعملاً وخلقاً

المطلب الرابع: تلاوته آناء الليل وأطراف النهار

المطلب الخامس: حب سماع القرآن من غيره

المبحث الثاني: تأثير القرآن على المؤمنين .

ويشتمل على خمسة مطالب :

المطلب الأول: وجل القلوب

المطلب الثاني: خشوع وسجود

المطلب الثالث: قشعريرة الجلود ولين القلوب

المطلب الرابع: فيض من الدموع

المطلب الخامس: إعلان الإسلام

المبحث الثالث: تأثير القرآن على الجنّ .

ويشتمل على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول :استماع الجن للقرآن وتأثرهم به

المطلب الثاني: دعوة الجن قومهم وإنذارهم

المطلب الثالث: إيمان الجن بالله عز وجل

المبحث الرابع: تأثير القرآن على الملائكة.

ويشتمل على خمسة مطالب :

المطلب الأول: دنو الملائكة لسماع القرآن

المطلب الثاني: شهود الملائكة لقرآن الفجر

المطلب الخامس: شهودهم حلق الذكر، وحفهم أهلها بأجنحتهم.

الفصل الثاني
تأثر غير المؤمنين بالقرآن الكريم

ويتكون من مبحثين:

المبحث الأول : تأثر غير المؤمنين الإيجابي لسماعهم القرآن.

ويشتمل على ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : تأثر الكفار الإيجابي، وفيه:

أولاً: قوة تأثيره ونفوذه في نفوسهم

ثانياً: سجودهم عند سماع القرآن

ثالثاً: رقيتهم بالقرآن

رابعاً: شهادتهم بحلاوة قوله وخضوعهم لجلاله وعظمته

خامساً: استراق السمع

سادساً: انبهار نسائهم وأطفالهم به

المطلب الثاني : تأثر أهل الكتاب الإيجابي، وفيه:

أولاً: تفيض أعينهم من الدمع لسماع القرآن

ثانياً: انبهارهم بسكينة القرآن وتمسكهم بآياته

المطلب الثالث : تأثر المنافقين الإيجابي، وفيه:

أولاً: تأثرهم في رائحته عند تلاوته

ثانياً: يقينهم بنزول سور تنبئهم بما في قلوبهم

المبحث الثاني : تأثر غير المؤمنين السلبي لسماعهم القرآن

ويشتمل على ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : تأثر الكفار السلبي، وفيه:

أولا: الإلحاد في آيات الله

ثانيا: إعراض الكفار وتوليهم عن حكم الله

ثالثا: إعتداؤهم على من يتلو آيات الله

رابعا: جحود وعناد

خامسا: الصد عن سماع القرآن

سادسا: اشمئزاز القلوب

سابعا: الإزلاق بالأبصار

ثامنا: نفور وفرار

تاسعا: إباء ونسيان

عاشرا: تشكيك وتعجيز

حادي عشر: غرور وتكبر

ثاني عشر: وصف القرآن بأوصاف لا تليق به

ثالث عشر: الإستهزاء والسخرية

المطلب الثاني : تأثر أهل الكتاب السلبي، وفيه:

أولا: إخفاء وكتمان

ثانيا: تكبر وعناد

ثالثا: ظن وتحريف ونسيان

رابعا: لي الألسنة بالكتاب

خامسا: إلباس الحق بالباطل

سادسا: التعطيل

سابعا: إيمان ببعض الكتاب والكفر بالبعض الآخر

ثامنا: قسوة قلوبهم

تاسعا: كفر وتكذيب

المطلب الثالث : تأثر المنافقين السلبي، وفيه:

أولا: الاستهزاء بآيات الله والجلوس معهم

ثانيا: مرض قلوبهم

ثالثا: الصدود عما أنزل الله

رابعا: اتباع الفتنة

خامسا: لا ينتفعون بهدي القرآن

الفصل الثالث

تأثير القرآن الكريم على الجماد والحيوان والنبات

ويتكون من ثلاثة مباحث:.

المبحث الأول: تأثير القرآن الكريم في الجماد

ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول : تصدع الجبال من هيبة كلام الله

المطلب الثاني: حنين الجذع

المبحث الثاني: تأثير القرآن الكريم في الماء

المبحث الثالث: تأثير القرآن الكريم على الحيوان

الخاتمة:

وفيها أهم النتائج والتوصيات

الفهارس : وتشتمل على :

١- فهرس الآيات القرآنية

٢- فهرس الأحاديث النبوية

٣- فهرس الأعلام المترجم لهم .

٤- فهرس المصادر والمراجع .

٥- فهرس الموضوعات .

التمهيد

مفهوم التأثير القرآني ومعالمه

أولاً – التأثير القرآني لغة واصطلاحاً:

١- الأثر في اللغة :

الأثر: "هو ما بقي من رسم الشئ"[١]، وقيل: "أَثر فيه تأثيراً: ترك فيه أثراً"[٢]، وقيل: "أَثَرُ الشيء: حصول ما يدل على وجوده، والجمع: الآثار، قال الله تعالى: ﴿ ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَـٰرِهِم بِرُسُلِنَا ﴾ (الحديد:٢٧)، ﴿وَءَاثَارًا فِى ٱلْأَرْضِ ﴾(غافر:٢١)، وقوله:﴿ فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَـٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ ﴾ (الروم:٥٠)"[٣]، وقيل: "الأثر: سمة في باطن خف البعير يقتفى بها أثره"[٤]، "وأثرت البعير :جعلت على خفه أثره، أي علامة تؤثر على الأرض ليستدل بها على أثره، وأثرت العلم: رويته، أثراً، وآثاره، وأثره، وأصله تتبعت أثره"[٥] .

فالتأثير مأخوذ من الأثر والنتيجة، والمحصلة الدالة على وجود مؤثر، سواء أكان المؤثر حياً كما في قولهم" أثرت البعير"، أم معنوياً كما في قول الله تعالى:﴿ فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَـٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ ﴾ (الروم:٥٠). والآثار هي: اللوازم المعلقة بالشيء[٦] .

ويقال: " أثر على، أثر في، وهي: يُؤَثِر، تأثيراً، فهو مُؤَثِر، ومنها: أَثّر الحادث بصحته، أثر الحادث على صحته، أثر الحادث في صحته: وهي ترك أثراً فيها، وأثر الاستعمار في الشعوب: أظهرن أثرا"[٧]

٢- الأثر في الاصطلاح:

أطلق العلماء عدة تعريفات للأثر منها:

١- "ما يتركه القرآن من أثر ظاهر أو باطن على سامعه أو قارئه، ولا يستطيع هذا السامع أو القارئ مقاومته ودفعه، ولا يقتصر ذلك على المؤمنين به"[٨].

---

(١) مجمل اللغة، لابن فارس، ص: ٨٦.

(٢) الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، لأبي البقاء الحنفي، ص: ٢٧٩.

(٣) المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، ص: ٦٢.

(٤) تاج العروس من جواهر القاموس، محمد الحسيني، ١٠/ ١٧.

(٥)الإعجاز في دراسات السابقين، د.عبد الكريم خطيب، ص: ٨.

(٦) المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، ص: ٤٨٤.

(٧) معجم اللغة العربية المعاصرة، د.أحمد عمر، ٦١/١.

(٨) الإعجاز التأثيري للقرآن الكريم، خالد القضاة، ص:٨.

٢- "تأثير القرآن في النفس الإنسانية عندما تسمعه، وتفاعلها معه حتى لو كانت نفساً كافرة"[١].

٣- "هو ما تركه القرآن من أثر ظاهر أو باطن على سامعه أو قارئه، سواء باختيار النفس[٢] أو بعدم اختيارها" .[٣]

٤- "هو تأثير القرآن الكريم بأسلوبه الخلاب على سامعه وقارئه، من خلال سلطانه العجيب، الذي يؤثر في القلوب المؤمنة والكافرة، بحيث لا يستطيع مقاومته"[٤] .

بالنظر إلى ما سبق من تعريفات، على الرغم من أهميتها، يمكن أن نعرف الأثر القرآني بأنه: " **ما يحدثه القرآن الكريم على المخلوقات، وخاصة النفس الإنسانية، وما يلقيه من الروعة والهيبة في قلوب السامعين على حد سواء، بحيث تأسر تلك القلوب والعقول، استجابة للفطرة السليمة التي فطر الناس عليها**".

ويظهر هذا التأثير للقرآن الكريم عندما يقرأ الإنسان آيات من الذكر الحكيم، أو يسمعها تتلى عليه، فيشعر في نفسه وقعاً خاصاً، ويحس في قلبه تأثيراً مختلفاً، وسلطاناً عجيباً، لا يكون أبداً لغير آيات القرآن الكريم؛ لأنه كلام رب العالمين.

ثانياً- الأثر في الآيات القرآنية:

وردت كلمة (أثر) في أكثر من عشرين مرة، في القرآن الكريم[٥]، ولكنها أعطت معايير مختلفة، وغالبيتها تدور حول ثلاثة معان:

المعني الأول: حصول ما يدل على وجود الأثر، منها قوله تعالى:

١- ﴿ قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُواْ بِهِۦ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتْ لِى نَفْسِى ﴾ (طه:٩٦).

٢- ﴿وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ (المائدة: ٤٦).

٣- ﴿ فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُواْ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَسَفًا ﴾ (الكهف: ٦).

---

(١) البيان في إعجاز القرآن، الخالدي، ص:٣٤١.

(٢) تختار النفس بعض الحركات وقد لا تختار بأن تحدث أموراً دون إرادة واختيار منها.

(٣) مظاهر التأثير القرآني على المؤمنين، د.عبد السميع العرابيد، ص:٤.

(٤) الإعجاز التأثيري للقرآن الكريم وأثره في الدعوة إلى الله تعالى، د. مصطفى السعيد، ص:٢.

(٥) انظر المعجم المفهرس، محمد عبد الباقي، ١/ ١١- ١٢.

٤- ﴿ قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا ﴾ (الكهف: ٦٤).

٥- ﴿ فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ كَيْفَ يُحْيِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (الروم: ٥٠).

٦- ﴿ أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا۟ هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَءَاثَارًا فِى ٱلْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٍ ﴾ (غافر: ٢١)

٧- ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوٓا۟ أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَءَاثَارًا فِى ٱلْأَرْضِ فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴾ (غافر: ٨٢).

٨- ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ﴾ (الفتح : ٢٩).

٩- ﴿ ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ ﴾ (الحديد: ٢٧).

المعني الثاني: الإختيار والتفضيل وتقديم الشيء، منها قوله تعالى:

١- ﴿ قَالُوا۟ تَٱللَّهِ لَقَدْ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ ﴾ (يوسف: ٩١).

٢- ﴿ قَالُوا۟ لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ ﴾ (طه: ٧٢).

٣- ﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾ (الحشر: ٩).

٤- ﴿ فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴾ (النازعات: ٣٧-٣٨).

٥- ﴿ بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴾ (الأعلى: ١٦).

المعنى الثالث: الطريقة، منها قوله تعالى:

١- ﴿ فَهُمْ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ يُهْرَعُونَ ﴾ (الصافات: ٧٠).

٢- ﴿ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا۟ وَءَاثَٰرَهُمْ ﴾ (يس: ١٢).

٣- ﴿ بَلْ قَالُوٓا۟ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهْتَدُونَ ﴿٢٢﴾ وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ ﴾ (الزخرف: ٢٢-٢٣).

ثالثاً- تأثير القرآن الكريم من خلال السنة النبوية:

هناك عدة نصوص تدل على معنى التأثر منها:

(أ) أحاديث نبوية:

١- عن مطرف عن أبيه قال: " **أتيت النبي ﷺ وهو يصلّي ولجوفه أزيز كأزيز المرجل يعني يبكي**"(١)

٢- عن علي بن أبي طالب ﷺ قال: «ما كان فينا فارس يوم بدر غير المِقداد، ولقد رأيتُنا وما فينا قائم إلا رسول الله ﷺ تحت شجرة يصلي ويبكي حتى أصبح» (٢)

٣- عن عبد اللّه بن مسعود ﷺ قال: " قال لي النّبيّ ﷺ: اقرأ عليّ: قلت: أقرأ عليك وعليك أنزل؟ قال: فإنّي أحبّ أن أسمعه من غيري، فقرأت عليه سورة النّساء، حتّى بلغت ﴿ **فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا** ﴾ (النساء: ٤١)، قال: أمسك، فإذا عيناه تذرفان"(٣)

(ب) القصص الواقعية:

١- هناك من الأفراد من تأثر بالقرآن مباشرة فأعلن إسلامه:

مثل الطفيل بن عمرو الدوسي، فكان يحدث أنه قدم مكة ورسول الله ﷺ بها، فمشى إليه رجال من قريش، وكان الطفيل رجلاً شريفاً شاعراً لبيباً، فقالوا له: يا طفيل، إنك قدمت بلادنا، وهذا الرجل الذى بين أظهرنا قد أعضل بنا، وقد فرق جماعتنا، وشتت أمرنا، وإنما قوله كالسحر يفرق بين الرجل وبين أبيه، وبين الرجل وبين أخيه، وبين الرجل وبين زوجته، وإنا نخشى عليك وعلى قومك ما قد دخل علينا، فلا تكلمنه ولا تسمعن منه شيئاً.

ثم قال: فو الله ما زالوا بى حتى أجمعت ألا أسمع منه شيئاً ولا أكلمه، حتى حشوت فى أذنى حين غدوت إلى المسجد كرسفاً فرقا من أن يبلغنى شىء من قوله، وأنا لا أريد أن أسمعه. قال: فعدوت إلى المسجد، فإذا رسول الله ﷺ قائم يصلى عند الكعبة، قال: فقمت منه قريباً، فأبى الله إلا أن يسمعنى بعض قوله: فسمعت كلاماً حسناً، فقلت فى نفسى: واثكل أمى! والله إنى لرجل

---

(١) انظر (السنن الكبرى، للنسائي، باب: البكاء في الصلاة، ح(١١٣٦)، ٤٢/٢. مسند أحمد، باب: حديث مطرف ابن عبدالله عن أبيه، ح(١٦٣٢٦)، ٢٤٧/٢٦)، قال الألباني: صحيح.

(٢) انظر (مسند الإمام أحمد، باب مسند علي بن أبي طالب، ح(١٠٢٢)، ٢٩٩/٢، صحيح ابن حبان، باب: الدليل على أن البكاء في الصلاة لا يقطع الصلاة، ح(٨٩٩)، ٥٢/٢)، قال الألباني: صحيح.

(٣) صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب من أحب أن يسمع القرآن من غيره، ح(٥٠٤٩)، ١٩٥/٦

لبيب شاعر ما يخفى عليَّ الحسن من القبيح، فما يمنعنى أن أسمع من هذا الرجل ما يقول، فإن كان الذى يأتى به حسنا قبلته، وإن كان قبيحاً تركته.

ثم تابع الطفيل قائلاً: فمكثت حتى انصرف رسول الله ﷺ إلى بيته فاتبعته، حتى إذا دخل بيته دخلت عليه، فقلت: يا محمد، إن قومك قد قالوا لى كذا وكذا، للذى قالوا، فو الله ما برحوا يخوفوننى أمرك حتى سددت أذنى بكرسف لئلا أسمع قولك، ثم أبى الله إلا أن يسمعنى قولك، فسمعته قولاً حسناً، فأعرض علىّ أمرك، قال: فعرض علىّ رسول الله ﷺ الإسلام، وتلا علىّ القرآن، فلا والله ما سمعت قولاً قط أحسن منه ولا أمراً أعدل منه، قال: فأسلمت وشهدت شهادة الحق(١) .

هذا هو صاحب العقل الراجح، يقوده في النهاية إلى التدبر والتفكر، ثم الوصول إلى الحقيقة التي فطر الله الناس عليها، فيعلن اسلامه دون تردد.

٢- هناك من الأفراد من تأثر بالقرآن مباشرة فعاند وكابر مثل:

أ. الوليد بن المغيرة.

والذي كان من أعتى المشركين وأشدّهم أذى على رسول الله ﷺ يأتي إلى رسول الله ﷺ فيقرأ عليه القرآن، فقرأ عليه قوله تعالى:﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴾ (النحل:٩٠)، فقال له أعد، فأعاد النبي ﷺ، فقال الوليد بن المغيرة قولته: (والله إن له لحلاوة وإن عليه لطلاوة وإن أعلاه لمثمر وإن أسفله لمغدق وما يقول هذا بشر)(٢).

لقد أثر القرآن في نفسية الوليد، وقد أصاب لُبَّ الحقيقة في نعته للقرآن الكريم، مع ذلك عاند وكابر أمام قومه وأصرَّ على الكفر خوفاً من أن يلمز به اهله وقومه، ويعير بين القبائل.

ب. كبار القوم من أهل مكة.

عن الزهري قال: "أنَّ أبا جهل وأبا سفيان والأخنس بن الشريق خرجوا ليلة ليسمعوا من رسول الله ﷺ وهو يصلي بالليل في بيته، فباتوا يسمعون له، ولا يعلم أحداً منهم مكان الآخر، حتى إذا أصبحوا جمعهم الطريق، فتلاوموا وانصرفوا، وهكذا في الليلة الثانية وفي الثالثة ، قالوا: لا نبرح حتى نتعاهد لا نعود، فتعاهدوا على ذلك ثم تفرقوا، فلما أصبح

(١) الموسوعة القرآنية، ابراهيم الأبياري، باب: اسلام الطفيل بن عمرو،١/٧٧-٨٧، باختصار.
(٢) دلائل النبوة، أحمد البيهقي، ١٩٩/٢ .

الأخنس بن شريق أتى أبا سفيان في بيته، فقال: حدثني يا أبا حنظلة عن رأيك فيما سمعت من محمد؟ فقال: يا أبا ثعلبة، والله سمعت أشياءً أعرفها وأعرف ما يراد بها، وأشياء ما أعرف معناها ولا ما يراد بها، فقال الأخنس: وأنا والذي حلفت له، ثم خرج من عنده حتى أتى أبا جهل فدخل عليه بيته، فقال: يا أبا الحكم: ما رأيك فيما سمعت من محمد؟ فقال ماذا سمعت، تنازعنا نحن وبنو عبد مناف الشرف، أطعموا فأطعمنا، وحملوا فحملنا، وأعطوا فأعطينا، حتى إذا تجاثينا على الركب وكنا كفرسي رهان قالوا: منا نبي يأتيه الوحي من السماء، فمتى تدرك هذه؟! والله لا نؤمن به أبداً، ولا نصدقه؛ فقام عنه الأخنس بن شريق"(١).

إذاً هو الحسد والحقد الدفن الذي منع هؤلاء من أن يعلنوا اسلامهم، مع أنهم يقروا بأن القرآن وحي من السماء.

٣- هناك من تأثر بالقرآن فأسلم بعد حين:

فهذا عمر بن الخطاب الذي وقف بين الصحابة متسائلاً : أتحبون أن أعلمكم كيف كان بدء إسلامي؟ قلنا: نعم، قال: "كنت من أشد الناس على رسول الله ﷺ فبينا أنا يوما شديد الحر في بعض طرق مكة، إذ لقيني رجل من قريش، فقال: أختك قد صبأت، قال: فرجعت مغضباً، قال: فجئت حتى قرعت الباب، فقيل: من هذا؟ قلت: ابن الخطاب، قال: فقامت المرأة ففتحت لي، فقلت: يا عدوة نفسها، قد بلغني أنك صبوت! قال: فأرفع شيئاً في يدي فأضربها به، قال: فسال الدم، قال: فلما رأت المرأة الدم بكت، ثم قالت: يابن الخطاب، ما كنت فاعلاً فافعل، فقد أسلمت، قلت: ما هذا الكتاب؟ أعطينيه، فقالت: هذا لا يمسه إلا المطهرون! قال: فلم أزل بها حتى أعطتنيه، فكلما مررت باسم من أسماء الله ﷻ ذعرت، فقال دنوت من النبي ﷺ فأخذ بمجمع قميصي فجبذني إليه، ثم قال: " أسلم يابن الخطاب، اللهم اهده"، فقلت: أشهد أن لا إله إلا الله، وأنك رسول الله"(٢) .

رابعاً- معالم التأثر بالقرآن الكريم:

إن القرآن الكريم والسنة النبوية هما عماد الاستدلال في هذا الموطن، ولقد ذكر القرآن الكريم كثيراً من الآيات التي تحث الناس على التدبر بآياته، والفهم التام لمعانيه، والتأثر الكامل عند تلاوته أيما كان التأثر، سواء كان قلبياً أو خارجياً.

وهذا التدبر والتأثر يحتاج من المسلم إلى آداب تعينه على تحقيق ذلك، وهذه الآداب تخرج في صورتين:

---

(١) سيرة ابن اسحاق، محمد بن اسحاق، باب: من عذب في الله بمكة من المؤمنين، ٤/١٨٩-١٩٠.

(٢) أسد الغابة، عز الدين ابن الأثير،٤/ ١٣٩.

الأولى: تتعلق بالقلب: وهو ما يطلق عليها الآداب القلبية، وهي تتعلق بالوجدان والفؤاد بين المسلم وربه، منها:

أ. الشعور بأن القارئ نفسه هو المخاطب بالآيات، وهو الذى وجهت إليه التكليفات، ثم يعيش هذا الشعور، ويدرك نتائجه وآثاره على نفسه وكيانه كله..وبذلك يقف طويلا أمام الآية، ويعرف ماذا تطلبه منه وماذا تنهاه عنه..وتستوقفه آيات التكاليف المبدوءة بـ:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ﴾، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ﴾، ويفتح لها كل منافذ التلقى.

ب. التدبر ومحاولة استيعاب المعنى لأنها أوامر رب العالمين التي يجب أن ينشط العبد إلى تنفيذها بعد فهمها وتدبرها، لقوله تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴾ (محمد: ٢٤) [١].

الثانية: تتعلق بالظاهر: وهو ما يطلق عليها الآداب الظاهرية، وهي تتعلق بالمظهر الخارجي، ومنها:

أ. يحاول أن يحسن صوته بالقرآن ما استطاع، فإنه يجْرح القلب ويجري الدموَع وَتحصل معه الإنابة والخشوع وقد قال ﷺ (**زينوا القرآن بأصواتكم، فإن الصوتَ الحسنَ يزيدُ القرآنَ حُسناً**)[٢]، وأن يرتل قراءته وقد اتفق العلماء على وجوب الترتيل لقوله تعالى: ﴿ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ﴾ (المزمل:٤).

ب. بالنسبة لواجب المستمع للقرآن فعليه أن يُحْسِنَ السماع ويحسن الإنصات والتدبر ويحسن التلقي وأن لا يفتح أذنيه فقط بل كل مشاعره وأحاسيسه، قال تعالى: ﴿ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ (الأعراف: ٢٠٤)[٣].

ت. التفاعل مع الآيات سواء عند تلاوتها أو عند سماعها، بحيث إذا مرّ بآية فيها استغفار استغفر، وإذا مرّ بآية فيها تكبير كبّر، وإذا مرّ بآية عذاب استعاذ بالله ﷻ منه، أو فيها ذكر الجنة سأل الله ﷻ، وهكذا.

---

(١) انظر: الإعجاز التأثيري للقرآن الكريم وأثره في الدعوة إلى الله، د. مصطفي السعيد، ص:٤_٥.

(٢) سنن الدارمي، كتاب: فضائل القرآن، باب: التغني بالقرآن، ح(٣٥٤٤)،٢١٩٤/٤، إسناده صحيح.

(٣) انظر: تطريز رياض الصالحين، فيصل النجدي، باب: استحباب تحسين الصوت،٥٨٨/١.

خامساً- التأثير القرآني عند العلماء:

إن للتأثير العظيم لهذا القرآن على النفوس هيبة وحلاوة، ورغبة ورهبة، ولا يعرف كتاب في الدنيا كلها له من الأثر على تاليه ومستمعيه كما لهذا القرآن، حتى أولئك الذين لا يدركون معانيه، ولا يفهمون ألفاظه، نجدهم يتأثرون بالقرآن، لقوله تعالى:﴿ ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ تَقۡشَعِرُّ مِنۡهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمۡ وَقُلُوبُهُمۡ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ ﴾(الزمر: ٢٣)، وصدق الله القائل:﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ٢٨ ﴾ (الرعد: ٢٨)[١].

ولقد بذل علماؤنا كل ما في وسعهم، للحديث عن أثر القرآن على المخلوقات، إلا أنهم لم يتفقوا على عنوان محدد لهذا الوجه، فمنهم من يمر عنه مروراً عابراً ولا يخصص له عنواناً محدداً، ومنهم من يطلق عليه التأثير النفسي، وآخرون يسمونه التأثير الروحي، ويأتي في مقدمة من أشار إلى هذا التأثير:

١- الإمام الخطابي (ت :٣٨٨هـ)[٢].

إن أول من تحدث عن التأثير القرآني، واعتبره وجهاً خاصاً من وجوه الإعجاز، هو الخطابي فقد بين الأثر القوي للقرآن على القلوب، وهذا السلطان الآسر على النفوس ....، والمهيمن على قارئه، والذي يستولي بها على سامعه، هو سر مضمر في القرآن، لا يعرف له مأتى، ولا يبصر له وجه، وإنما هو روح يسري في القرآن، كما تسري الكهرباء في أسلاكها، فإذا اتصل متصل بالقرآن دب إليه من تلك الروح دبيب يسري في كيانه، فيملك وجدانه، ويأسر مشاعره[٣].

ولكن علينا أن نعلم: "أن هناك وجهاً آخر من وجوه إعجاز القرآن غفل عنه كثير من الناس، ولا يكاد يعرفه إلا الشاذ منهم، وذلك هو صنيعه في القلوب وتأثيره في النفوس وهو ما عرف بعد (بالإعجاز الروحي)، وأطلق عليه بعضهم (الإعجاز النفسي) "[٤].

---

(١) انظر: إعجاز القرآن الكريم، د. فضل عباس، سناء عباس، ص: ٣٤٥.

(٢) الإمام العلامة، الحافظ اللغوي، أبو سليمان، حمد بن محمد الخطابي، صاحب التصانيف، ولد سنة بضع عشرة وثلاثمائة، وله " شرح الأسماء الحسنى "، توفي بمدينة بست، في شهر ربيع الآخر سنة ثمان وثمانين وثلاثمائة، (سير أعلام النبلاء، شمس الدين الذهبي، الطبقة الثانية والعشرون، ٢٣/١٧).

(٣) انظر: الإعجاز في دراسات السابقين، عبد الكريم الخطيب، ص ١٩٢.

(٤) إعجاز القرآن الكريم، د.فضل عباس، سناء عباس، ص:٥٢.

وهو تأثير القرآن: "في النفس والروح عند مجرد سماعه من قبل المسلم وغيره ومن العربي وغيره"[١]، وذكر الدكتور عبد الله بانقيب: " بأن الخطابي عندما تحدث عن وجه الإعجاز الذي لا يعرفه إلا قلة من الناس، وهو ما يفعله القرآن من تأثير في القلوب والنفوس، وكيف أنه يوقع فيها اللذة والحلاوة في حال، كما أنه يوقع الروعة والمهابة في حال أخرى".

ويعقب على الخطابي عندما جعل التأثير النفسي وجهاً من وجوه الإعجاز بقوله: " في ذلك دليل كبير على مقدار رعايته بالأثر النفسي، وأهميته في النصوص التي بلغت شأواً بعيداً في البلاغة والبيان"[٢].

٢- الإمام الباقلاني (ت: ٤٠٣هـ) [٣].

تحدث في الوجه العاشر عن تأثير القرآن في النفوس لصدوره عن الله تعالى، وأرجع هذا التأثير على بلاغة القرآن، حيث وصل إلى أعلى مراتبها فقال: "بأن القرآن أعلى منازل البيان، وأعلى مراتبه ما جمع وجوه الحسن وأسبابه، وطرقه وأبوابه، وإذا علا الكلام في نفسه، فله من الوقع في القلوب والتمكن في النفوس ما يذهل ويبهج، ويقلق ويؤنس، ويطمع ويؤيس، ويضحك ويبكي، ويحزن ويفرح، ويسكن ويزعج، ويشجي ويطـــــــرب، ويهز الأعطاف ويستميل نحوه الأسماع، ويورث الأريحية والعزة، وقد يبعث على بذل المهج والأموال شجاعة وجودا، ويرمي السامع من وراء رأيه مرمى بعيدا، وله مسالك في النفوس لطيفة ومداخل إلى القلوب دقيقة"[٤].

وقد شهد له الدكتور عبدالله بانقيب في هذا المضمار "بأن الباقلاني له وقفات موفقة تكشف عن قدرة فذة في إدراك الأثر النفسي الذي يعزو النفس الإنسانية عند تلقيها للنص القرآني، سواء أكان هذا الأثر أثر بهجة وفرح وأريحية وطرب وأنس، أم أثر قلق وذهول وشجي وهز للأعطاف" [٥].

٣- عبدالقاهر الجرجاني (ت: ٤٧٣هـ)[٦].

تأثر الجرجاني، بفكر الخطابي وتربع على قمة العناية بالأثر النفسي، وجعله أساساً من

---

(١) الإعجاز النفسي في القرآن، د. محمد الجمل، ملتقى أهل التفسير، http://vb.tafsir.net/tafsir .

(٢) البلاغة والأثر النفسي دراسة في تراث عبد القاهر الجرجاني، د.عبد الله بانقيب، ص: ٢٤.

(٣) محمد بن الطيب القاضي أبو بكر الباقلاني المالكي، فقيه بارع، ومحدث حجة، له إعجاز القرآن، مناقب الأئمة، حقائق الكلام، ولد ٣٣٨هـ، وتوفي ببغداد سنة ٤٠٣ هـ، (سير أعلام النبلاء، شمس الدين الذهبي، الطبقة العشرون، ١٩٢/١٧).

(٤)إعجاز القرآن للباقلاني، ص: ٢٧٧.

(٥) البلاغة والأثر النفسي دراسة في تراث عبد القاهر الجرجاني، د.عبد الله بانقيب، ص: ٢٩

(٦) أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني، شيخ العربية، كان شافعيا، عالما، وكان ورعا قانعا، وله أسرار البلاغة " في علم البيان، " دلائل الاعجاز " في علم المعاني، توفي: سنة إحدى وسبعين وأربع مائة، (سير أعلام النبلاء، شمس الدين الذهبي، الطبقة الثانية والعشرون، ٤٣٢/١٨).

أسس نظريته في كتابه (أسرار البلاغة ودلائل الإعجاز)، فقد نبه الدكتور محمد بركات أبو علي إلى مسألة هامة، وهي: تأثر عبد القاهر بسلفه الخطابي في نظرته لإعجاز القرآن، فقال: "مما تميز به الخطابي: أنه أبرز وجهاً للإعجاز، وهو الأثر النفسي، وأصبح هذا الرأي أساساً من أسس نظرية عبد القاهر في النظم في كتبه وكُتُبِ بعض المعاصرين في الأدب..." (١).

وتميز عبد القاهر في أنه أولى الإعجاز النفسي عناية كبيرة، حتى أنه أوشك أن يؤسس نظرية نفسية في أحوال النفس الإنسانية عند تلقيها للبيان، فأثبت أن إعجاز القرآن في تلاقي الألفاظ مع بعضها البعض وتآخيها، لتدل على المعنى المراد في أسلوب بلاغي بديع، فعول على الذوق وعلى تنبيه الحس اللغوي كثيراً لزنة الأساليب وإدراك خصائصها(٢).

وذكر بعض الباحثين: أن عبد القاهر الجرجاني كان يعتمد على ذوقه الوجداني في حديثه عن إعجاز القرآن، وعرضه لموقف البلاغيين، وكيف أنهم انشغلوا بقضية اللفظ والمعنى، حتى وصلوا في التقسيم والتبويب إلى درجة من التعقيد لا تطاق، ولم يستثن منهم سوى عبدالقاهر، لأنه تذوق النص القرآني، وتفاعل وتأثر به تاثراً واضحاً.

ومن هؤلاء الدكتور عبد الكريم الخطيب الذي تعرض لموقف عبد القاهر من قضية الإعجاز فقال عنه: "إن عبد القاهر لم يتحدث عن الإعجاز حديثاً مباشراً، وإنما جعل وجه الإعجاز عنده يقوم على الذوق الوجداني"، وقال أيضاً:" لو لم يكن لعبد القاهر فضل هنا إلا أنه دفع عن البلاغة هذا المفهوم الخاطئ الذي كان يذهب مذاهب الجدل اللفظي البعيد عن الذوق الجمالي والجائر على حظ العاطفة والوجدان منها . لو لم يكن له إلا هذا لكان ذلك فضلاً كبير يعرف له"(٣).

يتضح أنه كان حريصاً على بيان مكانة الذوق والطبع والحس الفني في المتعة الأدبية، لذلك بنى نظريته في النظم على فكرة النحو ومعاني النحو متوخياً استشارة العقل ومنطقه، ثم النفس ورضاها، وفطرة الإنسان التي ترتاح لها، ويجد في نفسه هزة عندما تشعر بجمال النظم وبديع القول، وبالتالي فهو يقر بتأثير القرآن في النفوس، ويشهد له سيد قطب بأنه كاد أن يصل في كتابه " دلائل الإعجاز" الى أنماط التأثير القرآني على القارئ أو المستمع من خلال حديثه عن الجمال الإبداعي في الأسلوب الذي امتاز به القرآن، حيث يقول" لولا أن قضية (المعاني والألفاظ) ظلت تخايل له من أول الكتاب الى آخره فصرفته عن كثير مما كان وشيكاً أن يصل إليه، ولكنه على

(١) نشأة الإعجاز التأثيري للقرآن وتطوره، د. محمد يوسف، ص: ٥٧١.

(٢) انظر: البلاغة والأثر النفسي– دراسة في تراث عبد القاهر الجرجاني، عبد الله بانقيب، ص:١٣.

(٣) الإعجاز في دراسات السابقسن، د.عبد الكريم الخطيب،ص:٢٧٩.

الرغم من ذلك كله كان أنفذ حساً من كل من كتبوا في هذا الباب على وجه العموم حتى في العصر الحديث"[١]

٤- القاضي عياض (ت: ٥٤٤هـ)[٢].

وقد خصص وجهاً للحديث عنه بعنوان: (الروعة التي تلحق قلوبَ سامعيه وأسماعهم عند سماعه)، والهيْبَة التي تعْتَريهم عند تلاوته، لقوة حاله وإبانة خطره، وهي على المكذبين به أعظم، حتى كانوا يستثقلون سماعه، ويزيدهم نفوراً، ويودّون انقطاعه لكراهتهم له، وأما المؤمن فلا تزال روعته به، وهيبته إياه، مع تلاوته توليه انجذاباً، وتكسبه هشاشة لميل قلبه إليه، وتصديقه به، قال تعالى: ﴿تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ﴾ (الزمر: ٢٣).[٣]

أما الدكتور أحمد العمري فتحدث عن الوجه الحقيقي الذي ألحقه القاضي عياض بهذه الوجوه الأربعة، وكأنه يرى أنه نافلة وليس أصلاً في باب الإعجاز، وهو:(الرّوعة التي تلحق قلوب سامعيه وأسماعهم عند سماعه)؛ فهذا الوجه- في رأينا- هو عمدة وجوه الإعجاز القرآني على الإطلاق إن لم يكن وحده وجه الإعجاز، وهو الوجه عينه الذي توصّل إليه الخطابي قبله بنحو قرنين من الزمان؛ فالروعة التي تعتريهم عند تلاوته- هي مناط الإعجاز الحقيقي، وهي المعجزة القائمة فيه أبد الدَّهر وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها[٤] .

٥- ابن قيم الجوزية (ت: ٧٥١هـ).

كما أشار إلى هذا العلم ابن قيّم الجوزيّة في ذكر إعجاز القرآن الكريم: "ومنهم من قال إعجازه ما يقع في النفوس عند تلاوته من الورعة وما يملأ القلوب عند سماعه من الهيبة وما يلحقها من الخشية، وتستلذ الأسماع وتميل إليه بالحنين الطباع، سواءً أكانت فاهمة أو عالمة لما يحتويه أو غير عالمة، كافرة بما جاء به أم مؤمنة"[٥].

---

(١) التصوير الفني في القرآن، سيد قطب، ص:٢٩.

(٢) القاضي عياض يكنى: أبا الفضل إمام وقته في الحديث وعلومه، عالما بالتفسير وجميع علومه، فقيها أصوليا عالما بالنحو واللغة وكلام العرب وأيامهم وأنسابهم، بصيرا بالأحكام، عاقدا للشروط، بصيرا حافظ لمذهب مَالِك، كان مولده بسبتة في شهر شعبان سنة ست وتسعين وأربعمائة، وتوفى بمراكش في شهر جمادى الأخيرة وقيل فِي شَهْرِ رَمَضَانَ سنة أربع وأربعين وخمسمائة، (الشفا بتعريف حقوق المصطفى، القاضي عياض، ٢٣/١).

(٣) انظر: الشفا بتعريف حقوق المصطفي وحاشية الشمني، للقاضي عياض، ٢٧٤/١ .

(٤) انظر: القاضي عياض ومفهومه للإعجاز القرآني، د. أحمد العمري، مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، السنة العاشرة- العدد الثاني.

(٥) الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان، ابن قيم الجوزية، ص: ٢٥٠.

وتحدث عباس بن شيخ عن مراد ابن القيم من ذلك الكلام فقال عنه أنه:" هو إيحاء إلى تأثير القرآن في النفوس"[١].

وذكر ابن قيم الجوزية في كتابه (الفوائد) قاعدة جليلة قائلاً فيها: "إذا أردت الانتفاع بالقرآن، فاجمع قلبك عند تلاوته وسماعه، وألق سمعك، واحضر حضور من يخاطبه به، من تكلم به سبحانه منه إليه، فإنه خاطب منه لك، على لسان رسوله، قال تعالى﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾ (ق:٣٧)، وذلِك أن تمام التّأثِير لمّا كان موقوفاً على:

١- مؤثر مقتض (القرآن).

٢- ومحل قابل (القلب الحي).

٣- وشرط لحصول الأثر (إصغاء القلب والحواس وانتباهها للمعاني).

٤- وانتِفاء المانِع الّذِي يمنع مِنه (انشغال القلب والحواس).

فإذا حصل المؤثّر وهو القرآن، والمحلّ المقابل وهو القلب الحيّ، ووجد الشرط وهو الإصغاء، وانتفى المانع وهو اشتغال القلب وذهوله عن معنى الخطاب وانصرافه عنه إلى شيء آخر، حصل الأثر وهو الانتفاء والتذكر"[٢].

فإن من الناس من يكون حيّ القلب واعياً تامّ الفطرة فإذا فكر بقلبه وحال بفكره دلّه قلبه وعقله على صحّة القرآن، وأنه من الحقّ، وشهد قلبه بما أخبر القرآن، فكان ورود القرآن على قلبه نوراً على نور الفطرة، وهذا وصف الذين قال فيهم القرآن: ﴿ وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلْحَقَّ وَيَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴾ (سبأ:٦)"[٣].

٦- عبد الكريم الخطيب[٤].

تحدّث الدكتور عبد الكريم الخطيب عن إعجاز القرآن الكريم – بصفة عامّة – حديثاً طويلاً، ووقف أمام وجه الإعجاز التأثيري للقرآن وقفات دقيقة، فنراه يحاول أن يكشف عن سرّ تأثير القرآن فيمن سمعه من المؤمنين والكافرين على حدّ سواء: " إن كلمات القرآن التي كانت على

---

(١) الإعجاز النفسي التأثيري للقرآن، عباس بن شيخ، ص: ٢٨٠.

(٢) تلخيصات مختصرة لكتاب الفوائد لابن القيم، د.خالد الشافعي، موقع طريق الإسلام.

(٣) الفوائد لابن القيم، ص: ٣.

(٤) عبد الكريم محمود يونس الخطيب، ولد سنة ١٣٢٨هـ، في قرية "الصوامعة بمصر، كان عذب الحديث، صافي الذهن والقريحة، رضي النفس،اشتهر بتفسيره "التفسير القرآني للقرآن"، وله الإعجاز في دراسات السابقين، توفي سنة ١٤٠٦هـ، (مع رجال الفكر في القاهرة، مرتضى الرضوي، ص:٣٣٨).

فم الناس، كان لها رحلة إلى الملأ من الأرض إلى السماء، حتى إذا أذن لها الحكيم الخبير أن تعود أدراجها إلى الأرض، وتلقى في أفواه الناس، وتطرق أسماعهم، وتتصل بعقولهم وقلوبهم، لم ينكروا شيئاً من وجودها، فالمؤمنون في شوق متجدد معه، كلما مدّوا أيديهم قطفوا من أدبه أدباً عالياً، ومن علمه علماً نافعاً، ومن شريعته ديناً قيّماً، وغير المؤمنين في عجب من أمره ودهش. يتناولونه بألسنة حداد، ويرمونه بسهام مسنونة، فما يصل إليه من كيدهم شيء"(١) .

ثم يتابع قائلاً: " والتي رأيناها مجتمعة في القرآن لا يبدو أي وجه منها إلا من خلال روح تسري فيه، وتترقرق في محياه، فالقرآن كله روح، وليست هذه الألفاظ وهذا النظم إلا تخيلات لتلك الروح، ومطالع تطلع منها، ومنازل تنزل فيها، والقرآن الكريم هو كلام الله سبحانه، نفخ فيه من روحه، فكان امراً من أمر الله وروحاً من روحه، ولهذا سمي روحاً في قوله تعالى﴿وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَاۚ﴾ (الشوري: ٥٢)"(٢) .

وكذلك يري عبد الكريم الخطيب أن روحانية القرآن هي الوجه الرابع من وجوه الإعجاز، وقال بأنه لم يقل به أحد، إلا أن الرماني سبقه في الحديث عنه، ثم علق المؤلف قائلاً: "بأن الروحانيةَ أثر القرآن على النفوس وما تجده من نشوة فرح، أو جزعة خوف، عندما تسمع أو تقرأ القرآن"(٣).

وقد علق عبدالله أبو السعود قائلاً: " فقد جعل الدكتور الخطيب الإعجاز النفسي أو التأثيري ثمرة ناتجة عن فخامة اللفظ، وبلاغة وسعة المعنى، مما جعله روحاً تسري في نفس قارئه كما عبر عنه"(٤).

ويقول الدكتور الخطيب معلّقاً على كلام الإمام الخطّابي عن الإعجاز التأثيري للقرآن: "وهذا الوجه من وجوه الإعجاز هو – فيما نرى – المعجزة القائمة في القرآن أبداً، الحاضرة في كل حين، وهي التي تسع الناس جميعاً، عالمهم وجاهلهم، عربيّهم وأعجميّهم، إنسهم وجنّهم﴿قُلۡ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسۡتَمَعَ نَفَرٞ مِّنَ ٱلۡجِنِّ فَقَالُوٓاْ إِنَّا سَمِعۡنَا قُرۡءَانًا عَجَبٗا ۝ يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلرُّشۡدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦۖ وَلَن نُّشۡرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدٗا﴾ (الجن:١-٢) "(٥).

---

(١) الإعجاز في دراسات السابقين، د. عبدالكريم الخطيب، ص:٦٧.

(٢) إعجاز القرآن الكريم في دراسة كاشفة لخصائص البلاغة العربية ومعاييرها، د.عبد الكريم الخطيب، ص: ٢٣٦.

(٣) خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية، عبد العظيم المطعني، ١٦٩/١ .

(٤) الإعجاز النفسي في القرآن الكريم– دراسة تأصيلية–، عبدالله أبو السعود، ص:٣٩.

(٥) خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية، عبد العظيم المطعني، ص:١٩٣.

كان حديث الدكتور عن الإعجاز يرتكز بصورة أساسية على ما يحدثه القرآن من أثر في النفوس، كما رأينا ذلك واضحاً في مقارنته بين أثر كلام البشر وكلمات القرآن على النفوس البشرية المؤمنة بالقرآن، والمنكرة له على سواء[١].

سادساً- كلام المفسرين في التأثير القرآني:

ولعلماء التفسير دور هام في بيان أثر القرآن على المخلوقات، فكان من أبرزهم:

١- المفسر ابن كثير (ت: ٧٧٤هـ)

فقد قال في تفسيره في معرض الحديث عن وجوه الإعجاز من حيث اللفظ وجهة المعنى: "أما القرآن فجميعه فصيح، فإنه إن تأملت أخباره وجدتها في غاية الحلاوة، ولا يمل منه العلماء، وإن أخذ في الوعيد والتهديد، جاء منه ما تقشعر منه الجبال الصم الراسيات، فما ظنك بالقلوب الفاهمات، وإنْ وَعَدَ أتى بما يفتح القلوب والآذان، ويشوق إلى دار السلام ومجاورة عرش الرحمن"[٢].

فالملاحظ أن ابن كثير يتحدث بما يدل عن تأثير القرآن الكريم على النفس البشرية، والجبال كذلك تقشعر خوفاً وجلالاً لله تعالى.

٢- الإمام الزركشي (ت: ٧٩٤هـ).

إن للقرآن الكريم روعة في تأثيره على قلوب السامعين: "سواء المقرين والجاحدين، ثم إن سامعه إن كان مؤمناً به، بداخله روعة في أول سماعه وخشية، ثم لا يزال يجد في قلبه هشاشة إليه ومحبةً له، وإن كان جاحداً، وجد فيه مع تلك الروعة نفوراً وعياً لانقطاع مادته بحسن سمعه، ومنها: أنه لم يزل ولا يزال غضاً طرياً في أسماع السامعين وعلى ألسنة القارئين"[٣].

٣- الإمام السيوطي (ت:٩١١).

تحدث السيوطي في كتابه" معترك الأقران" عن وجوه الإعجاز القرآني، وذكر في الوجه العشرين عن(الروعة التي تلحق قلوبَ سامعيه وأسماعهم عند سماعه)، والهيْبَة التي تعْتَريهم عند تلاوته لقوة حاله وإبانة خطره، وهي على المكذبين به أعظم حتى كانوا يستثقلون سماعه، ويزيدهم نفوراً، كما قال تعالى، ويودّون انقطاعه لكراهتهم له، ولذا قال عليه السلام: "إن القرآن صعب مستَصْعَب على من كرهه وهو الحكم"[٤].

---

(١) انظر: نشأة الإعجاز التأثيري للقرآن وتطوره، د. محمد يوسف، ص:٥٧٥.

(٢) تفسير القرآن العظيم ،لإسماعيل ابن كثير، ١٠٩/١.

(٣) البرهان في علوم القرآن، بدر الدين الزركشي، ١٠٦/٢.

(٤)الشفا بتعريف حقوق المصطفى، القاضي عياض، ٥٢٩/١، رواه الديلمي عن الحكم بن عمير مرفوعاً.

وأما المؤمن فلا تزال روعته به وهيبته إياه مع تلاوته توليه انجذاباً، وتكسبه هشاشة لميل قلبه إليه، وتصديقه به، قال تعالى: ﴿ ﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ تَقۡشَعِرُّ مِنۡهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ ﴾ (الزمر: ٢٣)، وقال تعالى: ﴿ لَوۡ أَنزَلۡنَا هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ عَلَىٰ جَبَلٖ لَّرَأَيۡتَهُۥ خَٰشِعٗا مُّتَصَدِّعٗا مِّنۡ خَشۡيَةِ ٱللَّهِۚ ﴾ (الحشر: ٢١) ".

ثم دلل الإمام السيوطي: "بأن القرآن يؤثر على من يفهم ومن لا يفهم معانيه، ولا يعلم تفاسيره، وشبه ذلك: "بما روي عن نصراني أنه مر بقارئ فوقف يبكي، فقيل له: مِمّ بكيت، قال: للشجاعة والنظم، وهذه الروْعة قد اعترف بها جماعة قبل الإسلام وبعده، فمنهم من أسلم لها لأول وهْلة وآمن به، ومنهم من كفر، فحكي في الصحيح عن جُبير بن مطعم، قال: "سمعت النبي ﷺ **يقرأ في المغرب:** ﴿وَٱلطُّورِ ﴾... "[1]، **فلما بلغ هذه الآية:** ﴿ أَمۡ خُلِقُواْ مِنۡ غَيۡرِ شَيۡءٍ أَمۡ هُمُ ٱلۡخَٰلِقُونَ ﴾ (الطور: ٣٥).. إلى قوله: ﴿ٱلۡمُصَيۡطِرُونَ ﴾، **كاد قلبي أن يطير، وفي رواية: وذلك أول ما دخل الإيمانُ قلبي**"[2].

وبهذا يعتبر السيوطي القدرة التأثيرية للقرآن على مستمعيه وجهاً مستقلاً من وجوه الإعجاز القرآني.

٤- الإمام الزرقاني (ت: ١٣٦٧هـ).

تحدث في الوجه الرابع عشر من وجوه إعجاز القرآن، تحت عنوان تأثير القرآن ونجاحه قائلاً: "هذا التأثير الخارق أو النجاح الباهر، الذي نتحدث فيه أدركه، ولا يزال يدركه كل من قرأ القرآن في تدبر وإمعان، ملماً بظروفه وأسباب نزوله، أما الذين لم يحذقوا لغة العرب، فيكفيهم أن يسألوا التاريخ عما حمل هذا الكتاب من قوة محولة، غيرت صورة العالم، عن طريق استيلائها على قلوب المخاطبين به لأول مرة، استيلاء أشبه بالقهر وما هو بالقهر، وأفعل من السحر وما هو بالسحر، سواء في ذلك أنصاره وأعداؤه".

وأرجع الإمام الزرقاني هذا التأثير على النفس فقال: "وما ذاك إلا لأنهم ذاقوا بسلامة فطرتهم العربية بلاغته، ولمسوا بحاستهم البيانية إعجازه، فوجد تياره الكهربائي موضعاً في نفوسهم، لشرارة ناره أو لهطول غيثه وانبلاج أنواره "[3].

---

(١) شرح صحيح البخاري، لابن بطال، كتاب الجهاد، باب فداء المشركين، ح(٨٦٩)، ٥/٢١١.

(٢) معترك الأقران في إعجاز القرآن، لجلال الدين السيوطي، ١/ ١٨٢.

(٣) مناهل العرفان في علوم القرآن، محمد الزرقاني، ٢/٤٠٧_ ٤٠٨.

٥- سيد قطب (ت : ١٣٨٦هـ).

من العلماء المحدثين أطلق عليه بأنه سحر القرآن، وتذوق الجمال الفني في القرآن، فقد قال سيد قطب:" بأنه سحر العرب منذ اللحظة الأولى، سواء منهم في ذلك من شرح الله صدره للإسلام، ومن جعل على بصره منهم غشاوة "(١).

فالعرب الذين تلقوا القرآن الكريم، تذوقوا بحاستهم الفنية جماله الفني الساحر، وأحسّوا تأثيره المباشر على قلوبهم، وتحسسوا سلطانه العجيب على نفوسهم، والكافرون منهم الذين شنوا ضده حرباً دعائية ضخمة، وقالوا عنه: إنه شعر وإنه سحر، لكنهم اعترفوا بالعجز البالغ عن معارضته، وأدركوا إعجازه البياني الرفيع، وتذوقوا جماله الفني، وتحسسوه شبه مسحورين.

وهذه المرحلة الأولى لتذوق الجمال الفني القرآني، هي مرحلة التذوق الفطري المباشر، يجد فيها الإنسان مس القرآن، ويلمس تأثيره ويبهر به، ويستسلم له، ولا يحاول أن يبحث عن سر ما يلمس، وتعليل ما يجد، لأنه في شغل عن بيان كل هذا (٢).

إن الناظر للقرآن يجد له جاذبية، ويحس له أثراً، وهذا هو ما يبينه سيد قطب خلال حديثه عن تأثير القرآن فيقول: "إن في هذا القرآن سراً خاصاً، يشعر به كل من يواجه نصوصه ابتداء، قبل أن يبحث عن مواضع الإعجاز فيها، إنه يشعر بسلطان خاص في عبارات هذا القرآن، يشعر أن هنالك شيئاً ما وراء المعاني التي يدركها العقل من التعبير، وأن هنالك عنصراً ما ينسكب في الحس بمجرد الاستماع لهذا القرآن، يدركه بعض الناس واضحاً ويدركه بعض الناس غامضاً".

ثم يعود سيد قطب ليبين أن هذا راجع إلى شيء آخر فقال: "ذلك سر مودع في كل نص قرآني، يشعر به كل من يواجه نصوص هذا القرآن ابتداء.. ثم تأتي وراءه الأسرار المدركة بالتدبر والنظر والتفكير في بناء القرآن كله"(٣).

ثم تحدث الدكتور صلاح الخالدي معلقاً على التصوير الفني للقرآن فقال: " هذا هو اللون الأول في إعجاز القرآن الكريم، وهو سلطانه الباهر العجيب في القلوب المؤمنة والقلوب الكافرة على حد سواء، فما أن يتلو الإنسان آيات من القرآن الكريم، أو يسمعها تتلى عليه، حتى يحس لها في نفسه وقعاً خاصاً، ويحس له في قلبه تأثيراً خاصاً" (٤).

---

(١) التصور الفني في القرآن، سيد قطب، ص: ١١.

(٢) انظر: مباحث في إعجاز القرآن، د. .مصطفي مسلم، ص: ١٠٧.

(٣) في ظلال القرآن، سيد قطب، ٦/ ٣٣٩٩.

(٤) نظرية التصوير الفني عند سيد قطب، د. .صلاح الخالدي، ص: ٨٥.

ويعلق عباس بن شيخ على سيد قطب في مقولته هذه: بأنه يُثبت الإعجازَ النفسي التأثيري للقرآن، لكنه يحار في منبعه، غير أنه سلط الضوء على جوانب فنية في النص يعتقدها مكمن السر وراء ذلك، ونجده في موضع آخر ينكشف له السر أو بعضه، فيقول عن العرب الأُولى الذين تلقوا القرآن:" لقد راع خيالهم بما فيه من تصوير بارع، وسحر وجدانهم بما فيه من منطق ساحرأ وأخذ أسماعهم بما فيه من إيقاع جميل"(١).

ثم بين سيد قطب أن للقرآن سلطان على النفوس فقال: ".. يبقى ذلك السلطان الذي له على الفطرة متى خلي بينها وبينه لحظة! وحتى الذين رانت على قلوبهم الحجب، وثقل فوقها الركام، تنتفض قلوبهم أحياناً وتتململ قلوبهم أحياناً تحت وطأة هذا السلطان وهم يستمعون إلى هذا القرآن! إن الذين يقولون كثيرون.. وقد يقولون كلاماً يحتوي مبادئ ومذاهب وأفكارا واتجاهات.. ولكن هذا القرآن ينفرد في إيقاعاته على فطرة البشر وقلوبهم فيما يقول! إنه قاهر غلاب بذلك السلطان الغلاب!"(٢).

والذي يتأمل كتابات سيد قطب يرى أنه: "يؤثّر بتلاوته المجرّدة على الذين لا يعرفون العربية، وعلى العوام الذين يسمعون إلى تلاوته لا يطرق عقولهم منه شيء، لكن يطرق قلوبهم إيقاعه ويظهر على ملامحهم سره، إن كل آية وكل سورة تنبض بالعنصر المستكن العجيب المعجز في هذا القرآن، وتشي بالقوّة الخفيّة المودعة في هذا الكلام، وإن الكيان الإنساني ليهتزّ ويرتجف ولا يملك التماسك أمام هذا القرآن كلّما تفتّح القلب، وصفى الحسّ، وارتفع الإدراك، وارتقت حساسيّة التّلقّي والاستجابة، وإنّ هذه الظّاهرة لتزداد وضوحاً كلّما اتّسعت ثقافة الإنسان"(٣).

ولذلك نرى سيّد قطب رحمه الله تعالى قد تناول الإعجاز التأثيري حيث بيّن ما للقرآن الكريم من وسائل وقوّة تأثيريّة كبيرة على النفوس المؤمنة وغير المؤمنة.

٦- محمد الغزالي (ت: ١٤١٦هـ).

تحدث الإمام محمد الغزالي عن الإعجاز في القرآن الكريم وخصص له فصلاً كاملاً، وقال فيه: "أن إعجاز القرآن يبرز في وجوه ثلاثة: الإعجاز النفسي، والإعجاز العلمي، والإعجاز البياني، ومن خلال حديثه عن الإعجاز النفسي التأثيري نراه يتمثّل في نقاط أربع:

١- مكانة الإعجاز التأثيري

٢- تأثير القرآن في المؤمن والكافر

---

(١) الإعجاز النفسي التأثيري للقرآن، عباس بن شيخ، ص: ٢٨٤.

(٢) في ظلال القرآن، سيد قطب، ٣/ ١٤٢١.

(٣) المرجع السابق، ٥/٢٨٥.

٣- من وسائل تأثير القرآن: تقديم الدليل المفحم على كل شبهة، تعريف الأمثال.

٤- موانع التأثّر بالقرآن"[١].

أما حديث الإمام الغزالي عن مكانة الإعجاز النفسي، فبعد أن تحدّث عمّا يعرض له القرآن من عقائد دينيّة، وأحكام تشريعية، وحقائق علمية يقول:" قد تجد في القرآن حقيقة مفردة، ولكن هذه الحقيقة تظهر في ألف ثوب، وتتوزّع تحت عناوين شتّى، كما تذوق السكر في عشرات الطعوم والفواكه وهذا التكرار مقصود، وإن لم تزد به الحقيقة العلميّة في مفهومها، ذلك أن الغرض ليس تقرير الحقيقة فقط، بل بناء الأفكار والمشاعر ونقاط مؤلفه آخر ما تختلفه اللجاجة من شبهات....، ثم الكرّ عليها بالحجج الدامغة حتى تبقى النفس وليس أمامها مفرّ من الخضوع لمفهومها للحق والاستكانة لله وعندي أن قدراً من إعجاز القرآن الكريم يرجع إلى هذا"[٢].

تلك هي مكانة الإعجاز التأثيري عند الشيخ، فإن كان للقرآن الكريم وجوه إعجاز أخرى غير أنها لا تصل في قدرها وأهميّتها إلى الإعجاز التأثيري للقرآن الكريم في نفس الإنسان، ولكن هل يتأثّر كل إنسان بالقرآن؟ أم يقتصر هذا التأثير على المؤمنين به؟ ويرد الإمام الغزالي على هذا التساؤل بما يؤكد مكانة الإعجاز التأثيري بين وجوه الإعجاز، وعدم اقتصاره على نفس إنسانية دون أخرى فيقول:" فما أظن امرءاً سليم الفكر والضمير يتلو القرآن ويستمع إليه ثم يزعم أنه لم يتأثر به، قد تقول: ولم يتأثر به ؟ والجواب: أنه ما من هاجس يعرض للنفس الإنسانية من ناحية الحقائق الدينية إلا ويعرض له القرآن بالهداية وسداد التوجيه، ما أكثر ما يعزّ المرء من نفسه، وما أكثر الذين يمضون في سبل الحياة هائمين على وجوههم، ما تمسكهم بالدنيا إلا ضرورات المادة فحسب"[٣].

وهنا يواصل الإمام الغزالي حديثه عن النقطة الثانية المتمثلة بتأثير القرآن الكريم على أصحاب الضيق، ومن وقع في الزلل فقال: "إن القرآن الكريم بأسلوبه الفريد يردّ الصواب إلى أولئك جميعاً، وكأنه عرف ضائقة كل ذي ضيق، وزلّة كل ذي زلل، ثم تكفّل بإزاحتها كلّها، كما يعرف الراعي خرافه، فهو يجمعها من هنا وهناك لا يغيب عن بصره ولا عن عطفه واحدة منهم".

ثم عاد الإمام الغزالي يبين تأثير القرآن على المؤمن والكافر على حد سواء فقال: "وذلك سر التعميم في قوله تعالى ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَىْءٍ جَدَلًا﴾ (الكهف:٥٤)، حتى الذين يكذبون بالقرآن ويرفضون الاعتراف بأنه من عند الله أنهم

(١) نظرات في القرآن، محمد الغزالي،ص:١٠٤.

(٢) المرجع السابق، ص:١٠٥

(٣) عناية المسلمين بإبراز وجوه الإعجاز في القرآن الكريم، محمد السيد جبريل، ص:٢٩٢

يقفون منه مثلما يقف الماجن أمام أب ثاكل، قد لا ينخلع من مجونه الغالب عليه ولكنّه يؤخذ فترة ما يصدّ من العاطفة الباكية، أو مثلما يقف الخلي أمام خطيب يهدر بالصدق ويحدث العميان عن اليقين الذي يريد ولا يرون أنه قد يرجع مستهزئاً، ولكنه يرجع بغير النفس التي جاء بها.

والمنكرون من هذا النوع لا يطمعون في التأثير النفساني للقرآن الكريم، كما أن العميان لا يطعنون في قيمة الأشعة ولذا يقول الله ﷻ: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ﴾ (الزمر: ٢٣)"[١].

ويعلق الدكتور محمد السيد جبريل بقوله: "هذا التأثير الذي أشار إليه الشيخ – رحمه الله– من أظهر خصائص القرآن الكريم التي تبرز عند سماعه، فيمضي سامعه في تفكير يملك عليه أقطار نفسه، فيفضي به الى الإيمان إذا صفت نفسه، واستقامت فطرته، أو يفضي به الى مزيد من العناد يدفع به هذا التأثير الغالب خشية الإقتناع به إذا كان السامع غليظ القلب، جاحداً للحق، مظلم النفس، وعندها يأتي من أبواب التدليس والعناد ما يعلل به هذا العناد"[٢].

ومن ذلك نستطيع أن نلخص وسائل تأثير القرآن عند الغزالي وهي كالتالي: [٣]

١) تقديم الدليل المفحم لكل شبهة، وتسليط البرهان على كل حجة.

٢) لا تستطيع النفس أمام صوت الحق إلا أن تخشع وتصيخ.

٣) محاربة القرآن الكريم للملل، والعمل على تجديد حياتهم بين الحين والآخر.

٤) الترغيب والترهيب.

والحديث في هذا يطول، فقد كتب فيه كثير من العلماء الأفذاذ، ولهذا نكتفي بهذا القدر حتي لا يطول البحث.

(١) نظرات في القرآن، محمد الغزالي، ص:١٠٦

(٢) عناية المسلمين بإبراز وجوه الإعجاز في القرآن الكريم، محمد السيد جبريل، ص:٢٩٣

(٣) نظرات في القرآن، محمد الغزالي، ص: ١٠٦–١١٠

الفصل الأول

تأثير القرآن على النبي ﷺ والمؤمنين

ويتكون من أربعة مباحث:.

المبحث الأول: تأثير القرآن على النبي ﷺ.

المبحث الثاني: تأثير القرآن على المؤمنين.

المبحث الثالث: تأثير القرآن على الجن.

المبحث الرابع : تأثير القرآن على الملائكة.

المبحث الأول

تأثير القرآن على النبي ﷺ.

ويشتمل على خمسة مطالب:

المطلب الأول: تغير ملامحه عند نزول القرآن عليه

المطلب الثاني: بكاء المصطفى عليه السلام

المطلب الثالث: التزامه بالقرآن سلوكاً وعملاً وخلقاً

المطلب الرابع: تلاوته آناء الليل وأطراف النهار

المطلب الخامس: حب سماع القرآن من غيره

المطلب الأول
تغير ملامحه عند نزول القرآن عليه

تأثر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام بسكينة القرآن تأثراً كبيراً لدرجة أنهم خروا إلى الأرض سجداً، باكين إلى الله تعالى، كما في قوله تعالى : ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنۡ حَمَلۡنَا مَعَ نُوحٖ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنۡ هَدَيۡنَا وَٱجۡتَبَيۡنَآۚ إِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُ ٱلرَّحۡمَٰنِ خَرُّواْ سُجَّدٗا وَبُكِيّٗا﴾ (مريم:٥٨).

وها هو القرآن يثني على كل واحد ممن تقدم ذكره من الأنبياء بما يخصه من الثناء، ثم بين أنهم ممن هدينا واجتبينا، منبهاً بذلك على أنهم اختصوا بهذه المنازل لهداية الله تعالى لهم، ولأنه اختارهم للرسالة، فتحدث سيد قطب عنهم قائلاً: "هم أتقياء شديدو الحساسية بالله، ترتعش وجدانهم حين تتلى عليهم آياته، فلا تسعفهم الكلمات للتعبير عما يخالج مشاعرهم من تأثر، فتفيض عيونهم بالدموع ويخرون سجداً وبكياً"(١).

وقال الصابوني في تفسيره: "أن هؤلاء الأنبياء إذا سمعوا كلام الله سجدوا وبكوا من خشية الله مع ما لهم من علو الرتبة، وسموِّ النفس، والزلفى من الله تعالى"(٢).

والرسول ﷺ ممن أنعم الله عليهم، فكان من أكثر المتأثرين بالقرآن الكريم، ويظهر ذلك عند تحمله أعباء الوحي ومشقة ثقله، فلقد كان ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد، فيتحدر جبينه عرقاً في البرد كأنه الجمان، وربما غط كغطيط البكر محمرة عيناه.

وعن زيد بن ثابت ﷺ قال: "كان إذا نزل الوحي على رسول الله ﷺ ثقل لذلك، ومرة وقع فخذه على فخذي، فو الله ما وجدت شيئاً أثقل من فخذ رسول الله ﷺ، وربما أوحي إليه وهو على راحلته فترعد حتى يظن أن ذراعها ينفصم وربما بركت"(٣)، فالأمر يثقل على رسول الله ﷺ، حتى إنه إنْ أسند فَخِذه على أحد الصحابة أثناء الوحي يشعر الصحابي بثقلها كأنها جبل، وإذا نزل الوحي ورسول الله ﷺ على دابته يثقل عليها حتى تنخّ به، ولهذا قال الله تعالى ﴿إِنَّا سَنُلۡقِي عَلَيۡكَ قَوۡلٗا ثَقِيلًا﴾ (المزمل:٥).

ويؤكد هذه المعاناة، ما رواه جابر ﷺ حين قال: "أحدثكم ما حدثنا رسول الله ﷺ، قال : "**جاورت بحراء شهراً، فلما قضيت جواري نزلت فاستبطنت بطن الوادي، فنوديت فنظرت أمامي**

(١) في ظلال القرآن، سيد قطب،٤/ ٢٣١٤.
(٢) صفوة التفاسير، محمد الصابوني، ٢/ ٢٠٢.
(٣) إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون، علي الحلبي، ١/ ٣٦٧.

وخلفي، وعن يميني وعن شمالي، فلم أر أحداً، ثم نوديت فنظرت فلم أر أحداً، ثم نوديت فرفعت رأسي، فإذا هو على العرش في الهواء – يعني جبريل عليه السلام– فأخذتني رجفة شديدة، فأتيت خديجة، فقلت: دثروني، فدثروني، فصبوا علي ماء، فأنزل الله عز وجل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ۝ قُمۡ فَأَنذِرۡ ۝ وَرَبَّكَ فَكَبِّرۡ ۝ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرۡ ۝﴾ (المدثر: ١ –٤)"[١].

وفي رواية أخرى: "أن النبي ﷺ عندما دخل على خديجة بنت خويلد رضي الله عنها، فقال: «زملوني زملوني» فزملوه حتى ذهب عنه الروع "[٢].

فأنزل الله قوله: "يا أيها المزمل"، مخاطباً به نبيه عليه السلام، "لأنه كان يتزمل بالثياب في أول ما جاءه جبريل فرقاً منه، حتى أنس به"[٣].

وذكر الخطيب في تفسيره للآية أن هذا الذي يصدع به النبيّ ويخرجه من صدره، هو مما تتزوّد به النفوس، وتحيا عليه القلوب، كما تتزود الأجساد بما تخرج الأرض من حب وثمر، يمسك وجودها، ويحفظ حياتها..[٤].

المطلب الثاني

بكاء المصطفى عليه السلام

البكاء عند التلاوة والذكر صفة العارفين بالله ﷻ، وشعار عباد الله الصالحين، وضح ذلك في كثير من آيات القرآن الكريم:

١) قال تعالى : ﴿قُلۡ ءَامِنُواْ بِهِۦٓ أَوۡ لَا تُؤۡمِنُوٓاْۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ مِن قَبۡلِهِۦٓ إِذَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ يَخِرُّونَ لِلۡأَذۡقَانِ سُجَّدٗا ۝ وَيَقُولُونَ سُبۡحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعۡدُ رَبِّنَا لَمَفۡعُولٗا ۝ وَيَخِرُّونَ لِلۡأَذۡقَانِ يَبۡكُونَ وَيَزِيدُهُمۡ خُشُوعٗا﴾ (الإسراء : ١٠٧–١٠٩) ، "والذين يخشون ربهم ويتقونه، ويعيشون في حذر وخشية، وفي تطلع ورجاء، يتلقون هذا الذكر في وجل وارتعاش، وفي تأثر شديد تقشعر منه الجلود ثم تهدأ نفوسهم، وتأنس قلوبهم بهذا الذكر، فتلين جلودهم وقلوبهم وتطمئن إلى ذكر الله"[٥].

٢) وقال تعالى: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ تَقۡشَعِرُّ مِنۡهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمۡ وَقُلُوبُهُمۡ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهۡدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٍ﴾ (الزمر: ٢٣).

---

(١) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بدء الوحي الى رسول الله، ح (٢٥٧)، ١/١٤٤.

(٢) صحيح البخاري، كتاب: بدء الوحي، باب: كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ، ح(٣)،١/ ٧.

(٣) التفسير الوسيط، علي الواحدي، ٤/ ٣٧١.

(٤) انظر: التفسير القرآني للقرآن، عبد الكريم الخطيب، ٧/ ٢٦٤.

(٥) في ظلال القرآن، سيد قطب، ٥/ ٣٠٤٨.

يقول محمد حجازي في تفسيره: "إذا سمع المؤمنون القرآن الكريم اقشعرت منه الجلود، واضطربت منه القلوب، ووجلت منه النفوس، وإذا سمعوا وعيد الله، ورأوا بعيون البصيرة ما أعد للمكذبين الكفار دمعت عيونهم وخشعت أصواتهم، واقشعرت جلودهم، ثم تلين قلوبهم وتسكن حينما يسمعون ذكر رحمة الله بالمؤمنين، تفرح نفوسهم، وتنشرح صدورهم إلى ذكر فضله على المؤمنين يوم لقائه"(١).

٣) قال تعالى: ﴿إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَٰنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾ (مريم : ٥٨) قال القرطبي رحمه الله: " في هذه الآية دلالة على أن لآيات الرحمن تأثير في القلوب"(٢).

ومما يدلل على تأثر النبي ﷺ بسماع القرآن، أنه كان يطلب أن يسمع تلاوة القرآن من غيره، **فعن عبد الله قال: "قال لي النبي ﷺ: «اقرأ علي» قلت: آقرأ عليك وعليك أنزل؟ قال: «فإني أحب أن أسمعه من غيري» فقرأت عليه سورة النساء، حتى بلغت: { فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾ } [النساء: ٤١] قال: «أمسك» فإذا عيناه تذرفان"(٣)، وهذا دليل على تدبره لآيات القرآن وزيادة تفهمه، لأن المستمع أقوى على ذلك من القارىء وأنشط منه"(٤).**

وكان الحبيب المصطفي ﷺ كثير البكاء في صلاته، حتي يسمع من صدره أزيزاً كأزيز المرجل، فعن ثابت بن مطرف، عن أبيه، قال: "**أتيت النبي ﷺ وهو يصلي ولجوفه أزيز كأزيز المرجل**(٥) " (٦).

وعن علي بن أبي طالب ﷺ قال: "ما كان فينا فارس يوم بدر غير المِقداد، ولقد رأيتُنا وما فينا قائم إلا رسول الله ﷺ تحت شجرة يصلي ويبكي حتى أصبح"(٧) .

---

(١) التفسير الواضح، محمد الحجازي، ٣/ ٢٦٦.

(٢) الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبدالله محمد القرطبي، ١٢٠/١١.

(٣) صحيح البخاري، كتاب: تفسير القرآن، باب: {فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا}، ح(٤٥٨٣)،٦/ ٤٥.

(٤) منار القاري شرح مختصر صحيح البخاري، حمزة قاسم، ٥/ ٨٦.

(٥) الأزيز : حنين من الجوف، وهو صوت البكاء .
والمرجل : بكسر الميم، الإناء الذي يغلي فيه الماء، سواء كان من حديد، أو صفر، أو حجارة.

(٦) حاشية السندي على سنن النسائي، كتاب الإفتتاح، ١٣/٣، قال الألباني: صحيح.

(٧) مسند الإمام أحمد بن حنبل، باب مسند علي بن أبي طالب، ٢٩٩/٢، اسناده صحيح.

المطلب الثالث

التزامه ﷺ بالقرآن سلوكاً وعملاً وخلقاً

إن الله عز وجل عندما اختار الأنبياء على من سواهم، اصطفى لهم من الأخلاق أزكاها، واختار لهم أفضلها وأولاها، وجمع الفضائل التي فرقها فيهم لخاتمهم وسيدهم وأفضلهم محمد ﷺ فقد كانت أخلاقه ﷺ مقتبسة من القرآن، وهذا من أعظم آيات نبوته، وأدلة رسالته، قال تعالى: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ (القلم:٤) .

قال الشيخ السعدي – رحمه الله – في تفسير الآية التي زكّت خلق النبيﷺ تزكية عظيمة، ليس قبلها ولا بعدها تزكية، إذ قال – رحمه الله– ما نصه أي: "عليا به، مستعلياً بخلقك الذي منّ الله عليك به، وقال تعالى أيضاً ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ﴾ (آل عمران: ١٥٩)، ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾(التوبة: ١٢٨)"[١].

ولما **سئلت عائشة أم المؤمنين ﵂ عن خلق رسول الله ﷺ قالت: "كان خلقه القرآن، أما تقرأ القرآن، قول** الله عز وجل:﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ (القلم: ٤) "[٢].

"يا له من شرف رفيع، وقدر منيع؛ لم يخطر على قلب بشر، ولم يطمح لإدراكه إنسان، ولم يدرك شأوه مخلوق: رب العزة يصف محمد بن عبد الله بأنه على خلق عظيم، فأي فضل شمل الله تعالى به نبيه، وأي مقام رفع إليه عبده ورسوله وصفيه وخليله"[٣] .

قال ابن عباس ومجاهد في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ (القلم: ٤) أي: "على دين عظيم، وقال الحسن: "كان خلقه آداب القرآن"، وقال قتادة: "هو ما كان يأتمر به من أمر الله وينتهي عنه من نهي الله"، والمعنى إنك لعلى الخلق الذي أمرك الله به في القرآن"[٤].

و سمي خلقه عظيماً لأنه لم تكن له همة سوى الله تعالى، وقيل سمي خلقه عظيما لاجتماع مكارم الأخلاق فيه، يدل عليه قوله ﷺ: " **إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق** "[٥].

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن السعدي، ٨٧٩/١.

(٢) مسند الإمام أحمد بن حنبل، باب مسند الصديقة عائشة بنت الصديق، ١٤٨/٤١، حديث صحيح.

(٣) أوضح التفاسير، محمد الخطيب، ١/ ٧٠١.

(٤) الكشف والبيان عن تفسير القرآن، أحمد الثعلبي، ١٠/ ٩

(٥) مسند أحمد، باب: مسند أبي هريرة، ٥١٣/١٤، حديث صحيح.

وقيل: لأنه امتثل تأديب الله تعالى إياه بقوله تعالى: ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾ (الأعراف: ١٩٩)[١].

ومعنى هذا أنه عليه السلام صار امتثال القرآن أمراً ونهياً سجيةً له، وخلقا تطبعه وترك طبعه الجبلي، فمهما أمره القرآن فعله، ومهما نهاه عنه تركه، هذا مع ما جبله الله عليه من الخلق العظيم، من الحياء والكرم والشجاعة والصفح والحلم، وكل خلق جميل[٢].

وروى أنس بن مالك قال: " **خدمت رسول الله ﷺ عشر سنين فما قال لي: أف قط، ولا قال لشيء فعلته: لم فعلته؟ ولا لشيء لم أفعله: ألا فعلته**"[٣]. فكان كلامه مطابقاً للقرآن تفصيلاً وتبييناً، علومه علوم القرآن، وإرادته وأعماله ما أوجبه وندب إليه القرآن، وإعراضه وتركه لما منع منه القرآن، ورغبته فيما رغب فيه، وزهده فيما زهد فيه، وكراهته لما كرهه، ومحبته لما أحبه، وسعيه في تنفيذ أوامره[٤] .

المطلب الرابع
تلاوته ﷺ للقرآن آناء الليل وأطراف النهار

قال ﷻ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ۞ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ۞ نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ۞ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ۞ إِنَّا سَنُلْقِى عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ۞ إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيْلِ هِىَ أَشَدُّ وَطْـًٔا وَأَقْوَمُ قِيلًا ۞ إِنَّ لَكَ فِى ٱلنَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا ﴾ (المزمل ١– ٧)

يقول سيد قطب في تفسيره: "إنها دعوة السماء، وصوت الكبير المتعال.. قم.. قم للأمر العظيم الذي ينتظرك، والعبء الثقيل المهيأ لك، إنها لكلمة عظيمة رهيبة تنتزعه ﷺ من دفء الفراش، في البيت الهادئ والحضن الدافئ، لتدفع به في الخضم، فالذي يعيش لنفسه قد يعيش مستريحاً، ولكنه يعيش صغيراً ويموت صغيراً، فأما الكبير الذي يحمل هذا العبء الكبير.. فماله والنوم؟ وماله والراحة؟ وماله والفراش الدافئ، والعيش الهادئ؟ والمتاع المريح؟! ولقد عرف رسول الله ﷺ حقيقة الأمر وقدّره، فقال لخديجة رضي الله عنها وهي تدعوه أن يطمئن وينام: "مضى عهد النوم يا خديجة"! أجل مضى عهد النوم وما عاد منذ اليوم إلا السهر والتعب والجهاد الطويل الشاق!"[٥]

ولهذا كان كبار الصحابة يأتون إلى نساء النبي ﷺ يسألونهن عما كان يصنع في بيته، فكان ﷺ يقوم من الليل يعني في الصلاة تهجداً، وقد قال الله تعالى:﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَىِ ٱلَّيْلِ وَنِصْفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَ ﴾ (المزمل: ٢٠).

---

(١) انظر: الجامع لأحكام القرآن، محمد القرطبي، ١٨/ ٢٢٧.

(٢) انظر: توفيق الرحمن في دروس القرآن، فيصل النجدي، ٤/ ٣٣٤.

(٣) صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب: حسن الخلق والسخاء، ح(٦٠٣٨)، ١٤/٨.

(٤) انظر: منحة القريب المجيب في الرد على عباد الصليب، لعبد العزيز آل معمر،ج١، ٣٠٧/١ .

(٥) في ظلال القرآن، سيد قطب، ٣٧٤٤/٦.

كان ﷺ يقوم الليل حسب طاقته وقدرته، فأحياناً أكثر الليل، وأحياناً نصف الليل، وأحياناً ثلث الليل؛ لأنه ﷺ يعطي نفسه حقها من الراحة مع القيام التام بعبادة ربه، فكان يقوم أدنى من ثلثي الليل، يعني فوق النصف ودون الثلثين، ونصفه وثلثه؛ حسب نشاطه ﷺ؛ وكان يقوم حتى تتورم قدماه وتتفطر من طول القيام"(١) .

عن عائشة ﷺ **أن النبي ﷺ " كان يقوم من الليل حتى تتفطر قدماه، فقالت عائشة: لم تصنع هذا يا رسول الله، وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ قال: " أفلا أحب أن أكون عبدا شكورا "**(٢).

فعن سعد بن هشام.... : " **قلت: يا أم المؤمنين، أنبئيني عن قيام رسول الله ﷺ قالت: ألست تقرأ هذه السورة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ﴾ ؟ قلت: بلى، قالت: فإن الله افترض قيام الليل في أول هذه السورة؛ فقام رسول الله ﷺ وأصحابه حولاً، حتى انتفخت أقدامهم، وأمسك الله ختامها في السماء اثني عشر شهراً**"(٣).

ثم أنزل التخفيف في آخر هذه السورة، فصار قيام الليل تطوعاً من بعد فريضة.. "إنها لمسة الرحمة والود والتيسير والطمأنينة، تجيء بعد عام من الدعوة إلى القيام! ولقد خفف الله عن المسلمين، فجعل قيام الليل لهم تطوعاً لا فريضة، أما رسول الله ﷺ فقد مضى على نهجه مع ربه، لا يقل قيامه عن ثلث الليل، يناجي ربه، في خلوة من الليل وهدأة، ويستمد من هذه الحضرة، زاد الحياة وزاد الجهاد"(٤).

فعندما أمر الله تعالى نبيه بصلاة الليل أمره بترتيل القرآن، قال تعالى: ﴿**أَوۡ زِدۡ عَلَيۡهِ وَرَتِّلِ ٱلۡقُرۡءَانَ تَرۡتِيلًا**﴾ (المزمل: ٤)،" فعندما يصل إلى ذكر الله يستشعر عظمته وجلالته، وعند الوصول إلى الوعد والوعيد يحصل الرجاء والخوف، وحينئذ يستنير القلب بنور معرفة الله، والإسراع في القراءة يدل على عدم الوقوف على المعاني، لأن النفس تبتهج بذكر الأمور الإلهية الروحانية، ومن ابتهج بشيء أحب ذكره، ومن أحب شيئا لم يمر عليه بسرعة، فظهر أن المقصود من الترتيل إنما هو حضور القلب وكمال المعرفة... وبيانه، والترتيل تنسيق الشيء، وحسن التنضيد، ورتلت الكلام ترتيلاً، إذا تمهلت فيه وأحسنت تأليفه، وقوله تعالى: ترتيلاً تأكيد في إيجاب الأمر به، وأنه مما لا بد منه للقارئ "(٥).

---

(١) شرح رياض الصالحين، محمد بن عثيمين، ١/١١٧.

(٢) صحيح البخاري، كتاب: تفسير القرآن، كتاب: صلاة المسافرين وقصرها، باب: ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك، ح(٤٨٣٧)، ٦/ ١٣٥.

(٣) صحيح مسلم، كتاب: صلاة المسافرين وقصرها، باب: جامع صلاة الليل، ح(١٣٩)، ١/٥١٣ .

(٤) في ظلال القرآن، سيد قطب، ٦/٣٧٤٤.

(٥) مفاتيح الغيب، محمد الرازي، ٣٠/ ٦٨٣.

قال تعالى﴿ **وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً** ﴾ أي: (اقرأه على تمهل فإنه يكون عوناً على فهم القرآن وتدبره، وكذلك كان يقرأ عليه السلام[1].

قالت عائشة رضي الله عنها : "**كان يقرأ السورة فيرتلها حتى تكون أطول من أطول منها**"، وفي البخاري **عن أنس أنه سئل عن قراءة رسول الله ﷺ فقال: "كانت مدا ثم قرأ بسم الله الرحمن الرحيم يمد بسم الله ويمد الرحمن ويمد الرحيم"**[2]).

والمقصود بترتيل القرآن: "قراءته على ترسل وتؤدة، بتبيين الحرف، وإشباع الحركات، حتى يجيء المتلوّ منه شبيها بالثغر المرتل، وهو المفلج المشبه بنور الأقحوان، وأن لا يهذّه هذّا، ولا يسرده سردا"[3].

المطلب الخامس

حب سماع القرآن من غيره

أنزل القرآن على نبينا محمدﷺ وهو الذي علمه لأصحابه، ومع ذلك كان يحب أن يستمع لقراءتهم خاصة من عرف عنه حسن الصوت وجودة القراءة كعبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

ويعقب الدكتور الخطيب قائلاً: "بهذا التدبير الحكيم فى نظم القرآن، يظل النبيعليه السلام، قائماً فى مقام الخطاب من ربه، وفى الحضور بين يديه، كلما تلا آية من آيات الله، أو سمع تالياً يتلوها عليه، فقد روى أنه ﷺ، كان يطلب إلى بعض أصحابه أن يقرءوا عليه ما تيسر من كلام الله، فيقول قائلهم له: أأتلوه عليك وعليك أنزل؟ فيقول عليه السلام: " نعم إنى أحب أن أسمعه من غيرى " [4].

عن عبد اللّه بن مسعود رضي الله عنه قال: " قال لي النّبيّ ﷺ: اقرأ عليّ: قلت: أقرأ عليك وعليك أنزل؟ قال: فإنّي أحبّ أن أسمعه من غيري، فقرأت عليه سورة النّساء، حتّى بلغت ﴿ **فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا** ﴾ (النساء: ٤١)، قال: أمسك، فإذا عيناه تذرفان"[5].

يتحدث محمد رضا في تفسيره قائلاً: "إذا كان الله لا يضيع من عمل مثقال ذرة، فكيف يكون حال الناس إذا جمعهم الله، وجاء بالشهداء عليهم وهم الأنبياء، فما من أمة إلا ولها بشير ونذير.

هذه الشهادة هي التي غفل عنها الناس، وبكى لها النبي ﷺ؛ إذ أمر بعض الصحابة بأن يقرأ عليه شيئاً من القرآن وهو ﷺ أعلم الناس بالقرآن.

---

(١) تفسير القرآن العظيم، اسماعيل بن كثير، ٨/ ٢٥٠.

(٢) صحيح البخاري، كتاب: فضائل القرآن، باب: مد القراءة، ح(٥٠٤٦)، ١٩٥/٦.

(٣) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، محمود الزمخشري، ٤/ ٦٣٧.

(٤) التفسير القرآني للقرآن، عبد الكريم الخطيب، ١٥/ ١٢١٦.

(٥) صحيح البخاري، محمد البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب من أحب أن يسمع القرآن من غيره، ح(٥٠٤٩)، ١٩٥/٦.

هذه الشهادة يوم يجمع الله الناس مع أنبيائهم، هي عبارة عن مقابلة عقائدهم وأخلاقهم وأعمالهم بعقائد الأنبياء، تعرض أعمال كل أمة على نبيها، لا فرق بين اليهود والنصارى، والمسلمين وسائر أتباع الأنبياء، فمن شهد لهم نبيهم بعد معرفة أعمالهم وظهورها، بأنهم على ما جاء به وعمل وأمر الناس بالعمل به فهم الناجون"(١).

وأما الشعراوي فقال: "إذا كان الشهيد بكى من وقع الآية فكيف يكون حال المشهود عليه؟ الشهيد الذي سيشهد بكى من الآية، نعم؛ لأنك تعلم أن رسول الله ﷺ ملئ قلبه رحمة بأمته؛ ولذلك قلنا: إن حرص رسول الله ﷺ على أمته جعل ربه يعرض عليه أن يتولى أمر أمته، بعد أن علم سبحانه مدى عنايته ﷺ بهذه الأمة: ﴿ لَعَلَّكَ بَٰخِعٞ نَّفۡسَكَ أَلَّا يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ ﴾ (الشعراء: ٣)"(٢) .

وذكر ابن كثير في تفسيره أن المراد من تحسين الصوت بالقرآن: "تطريبه وتحزينه والتخشع به(٣)، كما جاء عن أبي موسى قال: قال النبي ﷺ ذات يوم" **لو رأيتني يا أبا موسى وأنا أسمع قراءتك البارحة لقد أعطيت مزمارا من مزامير آل داود"، قال قلت أم والله يا رسول الله لو علمت أنك تسمع لقراءتي لحبرته لك تحبيراً**"(٤).

وعن عائشة ﵂ قالت: " **أبطأت على رسول الله ﷺ ليلة بعد العشاء، ثم جئت فقال: "أين كنت؟ " قلت: كنت أستمع قراءة رجل من أصحابك لم أسمع مثل قراءته وصوته من أحد، قالت: فقام فقمت معه حتى استمع له، ثم التفت إلي فقال: "هذا سالم مولى أبي حذيفة، الحمد لله الذي جعل في أمتي مثل هذا**" (٥).

فهذه الأحاديث تدل على حب سماع النبي ﷺ القرآن من غيره، ويثني على من يزين صوته بالقرآن الكريم ويخشع عند تلاوته، والبكاء عند قراءة القرآن صفة المؤمنين، وشعار الصالحين، وخاصة إذا كانت قراءة القرآن أو سماعه من حافظ متقن مجود، يستمتع بقراءته لكتاب الله ويتدبر معانيه وأحكامه.

وقال أهل العلم : "إن الإنسان إذا استمع للقرآن من غيره، وأصغي له، ربما كان أبلغ في التفهم والتدبر، فإن القارئ قد يكون ذهنه مشغولاً بالقراءة ومخارج الحروف وتذكر الآيات، وأما المستمع فربما يفهم ويتدبر من القراءة أكثر من تدبر القارئ نفسه"(٦).

---

(١) تفسير المنار، محمد رضا، ٥/ ٨٩.

(٢) تفسير الشعراوي، محمد الشعراوي، ٤/ ٢٢٥٢.

(٣) تفسير القرآن العظيم، اسماعيل ابن كثير، ١/ ٨٠.

(٤) صحيح مسلم، كتاب الصلاة، باب: فضل القرآن بحسن الصوت، ح(١٨٠٣)، ٢/٣٨٤.

(٥) سنن ابن ماجه، كتاب: إقامة الصلاة والسنة فيها، باب: في حسن الصوت بالقرآن، ح(١٣٣٨)، ١/٤٢٥، قال الألباني بأنه صحيح.

(٦) شرح مختصر صحيح مسلم، زكي الدين المنذري، كتاب فضائل القرآن، باب : استماع النبي ﷺ القرآن من غيره، ص:٢٩.

المبحث الثاني
تأثير القرآن على المؤمنين

ويشتمل على خمسة مطالب :

المطلب الأول: وجل القلوب

المطلب الثاني: خشوع وسجود

المطلب الثالث: قشعريرة الجلود ولين القلوب

المطلب الرابع: فيض من الدموع

المطلب الخامس: إعلان الإسلام

المطلب الأول
وجل القلوب

أولاً- تعريف الوجل لغة واصطلاحاً:

١- الوجل في اللغة:

الوجل: وجل وجلاً، بالفتح، الفزع والخوف، قال تعالى:﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾ (الأنفال:٢) [١].

الوجل" هو الفزع، ويربطونه بإضطراب القلب تحديداً، كضرمة السعفة[٢] (سعفة النخل)، كما قالت عائشة وأم الدرداء رضي الله عنهما: "إنما إيمان الرجل في القلب كاحتراق السعفة لا يكاد يلبث طويلا فإذا وجد أحدكم فليدع الله تعالى فإن الدعاء عند ذلك يستجاب"[٣].

٢- الوجل في الاصطلاح:

أطلق العلماء والمفسرون عدة تعريفات للوجل منها:

- " رجفان القلب وانصداعه لذكر من يخاف سلطانه وعقوبته أو لرؤيته"[٤].
- قال الشاطبي رحمه الله: "تأثر ولين يحصل في القلب بسبب الموعظة، فترى الجلد من أجل ذلك يقشعر، والعين تدمع، واللين إذا حلّ بالقلب – وهو باطن الإنسان- حلّ بالجلد بشهادة الله ﷻ وهو ظاهر الإنسان[٥].
- "هو اضطراب النفس، ولذلك في القرآن لم نجد اسناد الوجل إلا للقلب، إما للشخص عامة ﴿ قَالَ إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُونَ ﴾ (الحجر: ٥٢)، أو للقلب خاصة ﴿ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾ (الأنفال:٢)، فقد أسند للقلب، في حين أن الخوف والخشية لم يسندا للقلب في القرآن كله، لا يمكن أن يحدث الوجل إلا بحصول الخوف والخشية من الله ﷻ"[٦].
- "الفزع من عذاب الله ﷻ " [٧].

---

(١) لسان العرب، محمد بن منظور، ١١/ ٧٢٢.

(٢) الضرمة: الجمرة، وقيل: هي النار نفسها، والضرمة: السعفة والشيحة في طرفها نار، (لسان العرب، محمد بن منظور، ١٢/ ٣٥٥).

(٣) نوادر الأصول في أحاديث الرسول، الحكيم الترمذي، ١/ ٣٧٩.

(٤) مدارج السالكين، محمد بن القيم، ص:٥٠٧.

(٥) الإعتصام، إبراهيم الشاطبي، ١/٢٨٠.

(٦) لمسات بيانية في سورة الحج، د. فاضل السامرائي، ص:٩.

(٧) الجامع لأحكام القرآن، محمد القرطبي، ٧/ ٣٦٥.

وبذلك يتبين أن الوجل: هو الشعور بالقشعريرة التي تصيب قلب الإنسان خوفاً وخشيةً من الله تعالى عند التأمل والتدبر في آياته.

ثانياً- الوجل في الآيات القرآنية:

وردت كلمة الوجل في خمس آيات مختلفة[1]، وجميعها تدور حول معنى واحد وهو الخوف، وهي كالآتي:

١) لفظ "وجلت"، قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾ (الأنفال:٢).

٢) قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمْ ﴾ (الحج: ٣٥).

٣) لفظ" توجل"، قال تعالى: ﴿ قَالُواْ لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ ﴾ (الحجر:٥٣).

٤) لفظ" وجلون"، قال تعالى: ﴿إِذْ دَخَلُواْ عَلَيْهِ فَقَالُواْ سَلَٰمًا قَالَ إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُونَ ﴾ (الحجر:٥٢).

٥) لفظ" وجلة"، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴾ (المؤمنون:٦٠).

ثالثاً- الفرق بين الخوف والخشية والخضوع والإخبات والوجل:

الخوف والخشية والخضوع والإخبات والوجل ": معانيها متقاربة، الخوف اضطراب القلب وحركته من تذكر المخوف، وقيل: الخوف هرب القلب من حلول المكروه عند استشعاره، والخشية أخص من الخوف فإن الخشية للعلماء بالله فهي خوف مقرون بمعرفة الله"[2].

وأما الوجل: "فرجفان القلب وانصداعه لذكر من يخاف سلطانه وعقوبته أو لرؤيته، والخضوع والإخبات، والوجل: فإنها تنشأ عن الخوف والخشية لله، فيخضع العبد لله ويخبت إلى ربه منيباً إليه بقلبه، ويحدث له الوجل، وأما الخشوع فهو حضور القلب وقت تلبسه بطاعة الله وسكون ظاهره وباطنه، فهذا خشوع خاص، وأما الخشوع الدائم الذي هو وصف خواص المؤمنين فينشأ من كمال معرفة العبد بربه ومراقبته، فيستولي ذلك على القلب كما تستولي المحبة"[3].

كان النبي ﷺ يحرص أن يغرس في أتباعه من المسلمين التأثّر بالقرآن عند تلاوته، وامتثل المؤمنون لتوجيه الرسول ﷺ ففتحوا آذانهم وقلوبهم لآيات الله، لتعمل فيها عملها، تؤثر فيها ما شاء الله لها من تأثير، وحال بينهم وبين كل ما من شأنه أن يمنع قلوبهم من التأثّر بالقرآن.

---

(١) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد عبد لباقي، ص: ٧٤٣.

(٢) مدارج السالكين، محمد بن القيم،٥١٣/١.

(٣) تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن، عبد الرحمن السعدي، ٢/ ٣٦١.

فهذا هو القلب المؤمن الذي يجد في آيات هذا القرآن ما يزيده إيماناً، وما ينتهي به إلى الاطمئنان.. ولا يمكن أن يحدث ذلك إلا لأحياء القلوب الذين إذا تليت عليهم آيات الرحمن خروا سجداً وبكياً، بينما غيرهم خر عليها صماً وعمياً، لأنهم أصحاب حياة يسمعون بقلوبهم قبل أسماعهم، قال تعالى: ﴿ وَتَعِيَهَآ أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ ﴾ (الحاقة : ١٢) أي: " إنما تعي القلوب ما تسمع الآذان من الخير والشر "(١) .

ويقال: "قلب واع وأذن واعية لما بين الأذن والقلب من الارتباط، فالعلم يدخل من الأذن إلى القلب، فهي بابه والرسول الموصل إليه العلم؛ كما أن اللسان رسوله المؤدي عنه، ومن عرف ارتباط الجوارح بالقلب علم أن الأذن أحقها أن توصف بالوعي، وأنها إذا وعت وعى القلب "(٢) .

فيجب على كل صاحب قلب أن يتلمس قلبه، ويتحسسه وينظر إن حقق الإفتقار إلى مولاه، وذل إليه، ليكون من الذين قال الله تعالى عنهم:

١) ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ **(الأنفال:٢).**

يصف لنا سيد قطب الوجل:"بأنه الإرتعاشة الوجدانية التي تنتاب القلب المؤمن حين يذكر بالله، في أمر أو نهي فيغشاه جلاله، وتنتفض فيه مخافته ويتمثل عظمة الله ومهابته، إلى جانب تقصيره هو وذنبه، فينبعث إلى العمل والطاعة" (٣)...

وبين ابن كثير معني ﴿وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾ (الأنفال:٢): بقوله: "فزعت وخافت، وهذه صفة المؤمن الذي إذا ذكر الله وجل قلبه أي خاف منه، ففعل أوامره وترك زواجره"(٤).

وجاءت بمعنى: "خافت ورهبت، فأوجبت لهم خشية الله تعالى الانكفاف عن المحارم، فإن خوف الله تعالى أكبر علاماته أن يحجز صاحبه عن الذنوب"(٥).

وهذه الحقيقة تحدث عنها الصحابي (أبي الدرداء) من خلال تجربة عاشها متأثراً من آيات القرآن، فوجل قلبه، فقال في وصف الوجل الذي ينتاب القلب عند تأثره بالقرآن : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ

(١) جامع البيان في تأويل آي القرآن، محمد الطبري، ٥٨٠/٢٣.
(٢) مفتاح دار السعادة، ابن قيم الجوزية، ١٢٥/١.
(٣) في ظلال القرآن، سيد قطب، ١٤٧٣/٣.
(٤) تفسير القرآن العظيم، إسماعيل ابن كثير، ٤/ ٩.
(٥) تيسير الكريم الرحمن، عبد الرحمن السعدي، ص:٣١٦.

ﭐلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ ﴾ (الأنفال:٢)، قال: "الوجل في القلب كإحراق السَّعَفة[١]، أما تجد له قشعريرة؟ قال: بلى! قال: إذا وجدت ذلك في القلب فادع الله، فإن الدعاء يذهب بذلك"[٢].

وتحدث القرطبي عن وصف الله تعالى للمؤمنين في هذه الآية بالخوف والوجل عند ذكره، وذلك لقوة إيمانهم ومراعاتهم لربهم، وكأنهم بين يديه، ونظير هذه الآية قوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلۡمُخۡبِتِينَ ۝ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَٱلصَّٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمۡ وَٱلۡمُقِيمِي ٱلصَّلَوٰةِ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ﴾ (الحج: ٣٤-٣٥)، وقال﴿ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِ ﴾ (الرعد:٢٨)، فهذا يرجع إلى كمال المعرفة وثقة القلب، والوجل: الفزع من عذاب الله، فلا تناقض، وقد جمع الله بين المعنيين في قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ تَقۡشَعِرُّ مِنۡهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمۡ وَقُلُوبُهُمۡ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ ﴾ (الزمر:٢٣)، أي: تسكن نفوسهم من حيث اليقين إلى الله وإن كانوا يخافون الله، فهذه حالة العارفين بالله، الخائفين من سطوته وعقوبته[٣].

فمن كملت عظمة الحق تعالى في قلبه؛ عظمت عنده مخالفته؛ لأن مخالفة العظيم ليست كمخالفة من هو دونه ومن عرف قدر نفسه وحقيقتها وفقرها إلى مولاها في كل لحظة ونَفَس وشدة حاجتها إليه؛ عظمت عنده جناية مخالفة من يحتاجه في كل حين .

وأكد الطبري هذا المعنى حين قال: "ليس المؤمن بالذي يخالف الله ورسوله، ويترك اتباعَ ما أنزله إليه في كتابه من حدوده وفرائضه، والانقياد لحكمه، ولكن المؤمن هو الذي إذا ذكر الله وَجِل قلبه، وانقاد لأمره، وخضع لذكره، خوفًا منه، وفَرَقًا من عقابه، وإذا قرئت عليه آيات كتابه صدّق بها، وأيقن أنها من عند الله، فازداد بتصديقه بذلك، إلى تصديقه بما كان قد بلغه منه قبل ذلك، تصديقًا، وذلك هو زيادة ما تلى عليهم من آيات الله إيَّاهم إيمانًا"[٤] .

ثم استشهد بقول قتادة في قول الله تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ ﴾ (الأنفال:٢) قال: "فرقاً من الله، ووجلاً من الله، وخوفاً من الله تبارك وتعالى"[٥].

فالإيمان بالله هو أحد الأسباب التي تورث الوجل من الله ﷻ، فحصول الخوف من الله والفزع منه عند ذكره هو شأن المؤمنين الكاملي الإيمان المخلصين لله، وهذا ما تحدث به البيضاوي

---

(١) "السعفة " (بفتحتين) ورق جريد النخل إذا يبس .

(٢) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير الطبري ،ح:١٥٦٩١، ٣٨٧/١٣.

(٣) انظر: الجامع لأحكام القرآن، محمد القرطبي، ٧/ ٣٦٥.

(٤) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد الطبري، ١٣/ ٣٨٥.

(٥) المرجع السابق، محمد الطبري، ١١/ ٢٩.

حين قال: ﴿ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ﴾ (الأنفال:٢)، "فزعوا لذكره استعظاماً له، وتهيباً من جلاله، وقيل هو الرجل يهم بمعصية فيقال له اتق الله فينزع عنها خوفاً من عقابه"(١).

سأل رجل الحسن البصري فقال: "أمؤمن أنت؟ فقال: الإيمان إيمانان فإن كنت تسأل عن الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والجنة والنار والبعث والحساب فأنا بها مؤمن، وإن كنت تسألني عن قوله ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾ إلى قوله تعالى : ﴿عِندَ رَبِّهِمْ ﴾ فوالله ما أدري أمنهم أنا أم لا"(٢).

وتساءل البغوي في تفسيره: "كيف تكون الطمأنينة والوجل في حالة واحدة؟ فأجاب بأن: الوجل عند ذكر الوعيد والعقاب، والطمأنينة عند ذكر الوعد والثواب، فالقلوب توجل إذا ذكرت عدل الله وشدة حسابه، وتطمئن إذا ذكرت فضل الله وكرمه"(٣).

فإن الخائف من الله يفر منه إليه، وإذا ذكر عظمته وعزته وشدة بطشه، ذكر رحمته ولطفه بعباده، وعفوه ومغفرته، فحينئذ يسكن إلى ربه، ويحسن ظنه بربه، ويقوى رجاؤه لفضله، فيجتمع في قلب العبد الخوف والرجاء والمحبة والإجلال، وبهذا فلا تعارض بين ﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴾ (الرعد:٢٨)، وقوله ﴿ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾ (الأنفال:٢).

فمداومة الذكر والاستغفار علامة من علامات الافتقار إلى الله، فقلب المؤمن عاكف على ذكر مولاه، والثناء عليه بأسمائه الحسنى وصفاته العلى، دائم التوبة والاستغفار، يجد لذته وأنسه بتلاوة القرآن، ويرى راحته وسكينته بمناجاة الرحمن، كما قال تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ﴾ (الرعد :٢٨).

فالذكر الذي ينبعث عن إيمان، تهتزّ له المشاعر، وتدفأ به الصدور، وتطمئن به القلوب.. ولهذا قدّم سبحانه الإيمان على الذكر.. حتى يكون للذكر أصل يرجع إليه، ومنطق ينطق منه، وهو الإيمان.. فإذا ذكر المؤمن بالله ربّاً، غرّدت فى نفسه بلابل البهجة، وزغردت فى صدره عرائس الرضا، واستولت عليه حال من الشجا الممزوج بالنشوة، حتى ليكاد يكون كلّه عاطفة ترفّ بجناحي الصبابة والوجد، وتحلّق فى سماوات عالية، مشرقة بنور الحق، معطرة بأريج الصفاء والطهر(٤).

---

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ناصر الدين البيضاوي، ٣/ ٤٩.
(٢) الكشف والبيان عن تفسير القرآن، أحمد الثعلبي، ٤/ ٣٢٨.
(٣) معالم التنزيل في تفسير القرآن، الحسين البغوي، ٣/ ٢٠.
(٤) التفسير القرآني للقرآن، عبد الكريم الخطيب، ٧/١١١.

ولهذا يتضح أن: "الذكر لله ذكراً يثمر هذه الثمرة، التي يطمئن بها القلب، إلا إذا انبعث من قلب عارف بالله، مدرك لما ينبغي له سبحانه، من صفات الكمال والجلال، فذلك هو الذي يفيض على القلب خشية عند ذكر الله، وهو الذي يستثير مشاعر الولاء لله، والإخبات له، فتقشعر الجلود، وتدمع العيون..

فإن حمد الله تعالى وشكره والثناء عليه بما هو أهله مع الاعتراف بالذنب والعجز؛ يعمّر القلب بالنور، ويوجب له الطمأنينة والسعادة، فإن في القلب حاجة لا يسدها إلا ذكر الله عز وجل .

وهذا ما يشير إليه قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾ (الأنفال:٢)، وقوله سبحانه: ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ ۞ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ ﴾ (الحج: ٣٤- ٣٥)، وقوله جلّ شأنه: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ﴾ (الزمر:٢٣)"[١].

وهنا نستشعر بأن القرآن يتعامل مع القلوب المؤمنة دون حواجز، ولقد أكد على ذلك سيد قطب حين قال: "إن هذا القرآن يتعامل مع القلب البشري بلا وساطة، ولا يحول بينه وبينه شيء إلا الكفر الذي يحجبه عن القلب، ويحجب القلب عنه، فإذا رفع هذا الحجاب بالإيمان وجد القلب حلاوة هذا القرآن، ووجد في إيقاعاته المتكررة زيادة في الإيمان، تبلغ به إلى الاطمئنان.. كما أن إيقاعات القرآن على القلب المؤمن تزيده إيماناً، ومن ذلك قول جندب ﷺ: " **فتعلمنا الإيمان قبل أن نتعلم القرآن، ثم تعلمنا القرآن فازددنا به إيمانا**"[٢].

وبهذا الإيمان كانوا يجدون في القرآن ذلك المذاق الخاص، يساعدهم عليه ذلك الجو الذي كانوا يتنسمونه، وهم يعيشون القرآن فعلاً وواقعاً، ولا يزاولونه مجرد تذوق وإدراك![٣]

إن من حقق الفقر إلى الله، ووجل له قلبه كان غنياً بلا مال، عزيزاً بلا عشيرة، مهاباً بلا سلطان، وأما من لم يحقق ذلك فهو فقير مع كثرة ماله، حقير مع كبر عشيرته، ذليل مع عظم سلطانه وجاهه.

---

(١) التفسير القرآني للقرآن، عبد الكريم الخطيب، ١١١/٧.

(٢) سنن ابن ماجه، في الإفتتاح في الإيمان وفضائل الصحابة، باب: في الإيمان، ح(٦١)، ١/ ٢٣، المعجم الكبير، سليمان الطبراني، باب الجيم، جندب، ح(١٦٧٨)، ١٦٥/٢.

(٣) في ظلال القرآن، سيد قطب، ٣/ ١٤٧٥.

المطلب الثاني
خشوع وسجود

أولاً- معني الخشوع لغة واصطلاحاً:

١- معنى الخشوع لغة:

وردت معاني كثيرة، في آيات عديدة، معظم هذه المعاني تدور حول: الخضوع، والإخبات، والتذلل، والإسكان.

قال ابن فارس: "(خشع) الخاء والشين والعين أصل واحد، يدل على التطامن، يقال خشع، إذا تطامن وطأطأ رأسه، وهو قريب المعنى من الخضوع، إلا أن الخضوع في البدن والإقرار بالاستخذاء، والخشوع في الصوت والبصر، قال الله تعالى: ﴿خَٰشِعَةً أَبۡصَٰرُهُمۡ﴾ (القلم: ٤٣)، قال ابن دريد: الخاشع المستكين والراكع"[١].

والخشوع: "الخضوع، والتخشع: تكلف الخشوع، والتخشع لله: الإخبات والتذلل"[٢].

والخشوع من: "خشع، يخشع، خشوعاً، فهو خاشع وخشوع، والمفعول مخشوع به، خشع الشخص لربه: خضع واستكان، تضرع، تذلل،﴿ لَوۡ أَنزَلۡنَا هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ عَلَىٰ جَبَلٖ لَّرَأَيۡتَهُۥ خَٰشِعٗا مُّتَصَدِّعٗا مِّنۡ خَشۡيَةِ ٱللَّهِۚ وَتِلۡكَ ٱلۡأَمۡثَٰلُ نَضۡرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (الحشر: ٢١)"[٣].

وجاء الخشوع بمعنى: "الإنخفاض والسكون والذل، قال تعالى: ﴿وَخَشَعَتِ ٱلۡأَصۡوَاتُ لِلرَّحۡمَٰنِ فَلَا تَسۡمَعُ إِلَّا هَمۡسٗا ﴾ (طه:١٠٨)، أي: سكنت وذلت وخضعت"[٤].

وقال الأصفهاني: "الخشوع : الضراعة وأكثر ما يستعمل الخشوع فيما يستعمل على الجوارح، والضراعة أكثر ما تستعمل فيما يوجد في القلب.."[٥].

٢- معني الخشوع اصطلاحاً:

١) "قيام القلب بين يدي الرب بالخضوع والذل"[٦] .

---

(١) مقاييس اللغة، أحمد بن فارس، ٢/ ١٨٢.
(٢) لسان العرب، جمال الدين بن منظور، ٨/ ٧١.
(٣) معجم اللغة العربية المعاصرة، د. أجمد عمر، ١/ ٦٤٥.
(٤) مدارج السالكين، ابن القيم، ١/٥٢٠.
(٥) مفردات ألفاظ القرآن، للراغب الأصفهاني، ص: ٢٨٣.
(٦) مدارج السالكين، محمد بن القيم ،١/ ٥١٦.

٢) "تذلل القلوب لعلام الغيوب"[١].

٣) "الانقياد للحق، وقيل: هو الخوف الدائم في القلب"[٢].

٤) "هو حضور القلب وقت تلبسه بطاعة الله وسكون ظاهره وباطنه"[٣].

٥) "لين القلب وخضوعه ورقته وسكونه وحضوره وقت تلبسه بطاعة الله..."[٤].

فالخشوع إذن هو: خضوع القلب وذله وانكساره وعبوديته، وسكون جوارحه وانقياده للحق ﷻ، ومحله القلب، وثمرته على الجوارح.

ثانياً- الخشوع في الآيات القرآنية:

ذكرت كلمة خشية في القرآن الكريم في أكثر من ست وستين آية[٥]، كلها تصب في المعنى اللغوي التي ذكرت وهي كالتالي:

١) لفظ خشعت: ﴿وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾ (طه: ١٠٨).

٢) لفظ تخشع: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾ (الحديد: ١٦).

٣) لفظ خشوعاً: ﴿وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾ (الإسراء: ١٠٩).

٤) لفظ خاشعاً: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ﴾ (الحشر: ٢١).

٥) لفظ خاشعون: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ﴾ (المؤمنون: ١، ٢).

٦) لفظ خاشعين: ﴿وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ﴾ (البقرة: ٤٥).

٧) ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَمَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَٰشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ (آل عمران: ١٩٩).

٨) ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾ (الأنبياء: ٩٠).

---

(١) مدارج السالكين، محمد بن القيم ،١/ ٥١٧.

(٢) التعريفات، علي الجرجاني، ص: ٩٨.

(٣) تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن، عبد الرحمن السعدي، ٢/ ٣٦١.

(٤) الخشوع في الصلاة، د. سعيد القحطاني، ص:١٣.

(٥) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد عبد الباقي، ص: ٢٣٣.

٩) ﴿وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ﴾ (الأحزاب: ٣٥).

١٠) ﴿وَتَرَىٰهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَٰشِعِينَ مِنَ ٱلذُّلِّ﴾ (الشورى: ٤٥).

١١) لفظ خشعاً: ﴿خُشَّعًا أَبْصَٰرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ﴾ (القمر: ٧).

١٢) لفظ خاشعة: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً﴾ (فصلت: ٣٩).

١٣) ﴿خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ۖ وَقَدْ كَانُوا۟ يُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ وَهُمْ سَٰلِمُونَ﴾ (القلم: ٤٣).

١٤) ﴿خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يُوعَدُونَ﴾ (المعارج: ٤٤).

١٥) ﴿قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ ۝ أَبْصَٰرُهَا خَٰشِعَةٌ﴾ (النازعات: ٨، ٩).

١٦) ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَٰشِعَةٌ﴾ (الغاشية: ٢).

١٧) لفظ الخاشعات: ﴿وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ﴾ (الأحزاب: ٣٥).

ثالثاً- من معاني الخشوع في القرآن:

يرى شيخ الإسلام ابن تيمية أن الخشوع يتضمن معنيين وهما:

١) "التواضع والتذلل .

٢) السكون والطمأنينة، يقول: "وذلك مستلزم للين القلب ومنافي للقسوة، فخشوع القلب يتضمن عبوديته لله وطمأنينته أيضًا، والله سبحانه استبطأ المؤمنين بقوله: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾ (الحديد: ١٦) فدعاهم إلى خشوع القلب لذكره وما نزل من كتابه" [١].

رابعاً- درجات الخشوع:

وهي على النحو الآتي:

"**الدرجة الأولى:** التذلل للأمر، والاستسلام للحكم، والإنصياع الحق.

تلقيه بذلة القبول والانقياد والامتثال، والاستسلام للحكم الشرعي، وعدم معارضته برأي أو شهوة، واتضاع القلب والجوارح، وانكسارها لنظر الرب إليها.

الدرجة الثانية: ترقب آفات النفس والعمل.

(١) مجموع الفتاوى، تقي الدين بن تيمية، ٧/ ٢٨.

وذلك: " بأن يجعل القلب خاشعاً لا محال، لمطالعة عيوب نفسه وأعماله ونقائصهما، وأن تراعي حقوق الناس فتؤديها، وينقل لنا عبارة سمعها من ابن تيمية يقول: العارف لا يرى له على أحد حقا، ولا يشهد على غيره فضلا، ولذلك لا يعاتب، ولا يطالب، ولا يضارب، ولما كان الفناء عنده غاية، جعل هذه الدرجة كالنسيم لرقته، والخشوع سبب موصل إلى الفناء، فاضله ومفضوله.

الدرجة الثالثة: حفظ الحرمة عند المكاشفة، وإخفاء أحواله عن الخلق كخشوعه وذله وانكساره، لا يرى الفضل والإحسان إلا من الله تعالى"(١).

وبذلك يكون الخشوع عبارة عن: "صورة وضيئة للأرواح المؤمنة اللطيفة المرتجفة من خشية الله وتقواه المنحنية إلى ربّها بالطاعة المتطلّعة إليه بالرجاء، في غير ما استعلاء ولا استكبار، هذه الأرواح هي التي تؤمن بآيات الله وتتلقاها بالحس المتوفّر والقلب المستيقظ والضمير المستنير.

قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴾ (السجدة:١٥).

فأهل الإيمان إذا ذكّروا بآيات الله، تفتحت لها قلوبهم، واستنارت بها بصائرهم، فعرفوا ربهم، وانقادوا لجلاله وعظمته، وخشعوا لعزته وجبروته، وسجدوا مع الساجدين، وسبحوا بحمده مع المسبحين، في ولاء لا يطوف به كبر، وفي خضوع لا يخالطه استعلاء!"(٢)

والله سبحانه يعلم أن هناك قلوب متحجرة ألفت الكفر، فجاءت هذه الآيات: "تسلية للنبي ﷺ، أي أنهم لإلفهم الكفر لا يؤمنون بك، إنما يؤمن بك وبالقرآن المتدبرون له والمتعظون به، وهم الذين إذا قرئ عليهم القرآن خروا سجداً لله تعالى على وجوههم، تعظيماً لآياته وخوفاً من سطوته وعذابه، فيخلطوا التسبيح بالحمد، أي نزهوه وحمدوه، فقالوا في سجودهم: سبحان الله وبحمده، سبحان ربي الأعلى وبحمده، تنزيهاً لله تعالى عن قول المشركين"(٣).

الخشوع هو سِرُّ العبادات، الخشوع روحُ العِبادة، فالعِبادة التي ليسَ فيها خشوعٌ عِبادةٌ جوفاء، عِبادةٌ أقربُ ما تكون إلى الطقوس، فلابد للعبد أن يشهد دائماً بفقره إلى الله، وحاجته في أن يكون عابداً له، وأن يطلب منه المعونة، فلا حول ولا قوة إلاّ بالله، ولا ملجأ من الله إلاّ إليه، فإن

(١) انظر: مدارج السالكين، ابن القيم، ١/ ٥١٨.
(٢) التفسير القرآني للقرآن، عبد الكريم الخطيب، ١١/ ٦١٨.
(٣) الجامع لأحكام القرآن، محمد القرطبي، ١٤/ ٩٩.

العبد كلما كان أذل لله وأعظم افتقاراً إليه وخضوعاً له ؛ كان أقرب إليه وأعزّ له، وأعظم لقدره، فأعظم الخلق أعظمهم عبودية لله .

ولقد وصفهم سيد قطب في تفسيره قائلاً: "هؤلاء إذا ذكروا بآيات ربهم خروا سجداً تأثراً بما ذكروا به، وتعظيماً لله الذي ذكروا بآياته، وشعوراً بجلاله الذي يقابل بالسجود أول ما يقابل، تعبيرا عن الإحساس الذي لا يعبر عنه إلا تمريغ الجباه بالتراب ﴿وَسَبَّحُواْ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾، مع حركة الجسد بالسجود، ﴿وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾، فهي استجابة الطائع الخاشع المنيب الشاعر بجلال الله الكبير المتعال".(١)

فسر حياة القلب هو في خشوعه إلى ربه الذي متى ما حصل خشع البدن كله، لأن القلب ملك الجوارح وسيدها، وهذه المنزلة الجليلة من عبودية القلب مرتبة شمر لها المشمرون وسعا إليها الساعون يساعدك على نيلها أمران:

الأمر الأول : أن تدرك عظمة هذا الخالق وجبروته، فإن العبد كلما كان أعلم بربه وصفاته وأسمائه كان أعظم حباً له وأشد افتقاراً إليه، كما قال ربنا : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴾(فاطر :٢٨) فإن أصل خشوع القلب إنما هو من معرفة الله، ومعرفة عظمته، وجلاله وكماله، فمن كان بالله أعرف فهو له أخشع .

الأمر الثاني: الذي يعينك على تحصل خشوع القلب بإدراك ضعفك وعجزك ﴿ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ۞ خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ۞ يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ۞ إِنَّهُۥ عَلَىٰ رَجْعِهِۦ لَقَادِرٌ ۞ يَوْمَ تُبْلَى ٱلسَّرَآئِرُ ۞ فَمَا لَهُۥ مِن قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ ﴾ (الطارق:٥-١٠) (٢).

يقول الإمام الغزالي: "الخشوع ثمرة من ثمرات الإيمان، ونتيجة اليقين الحاصل بعظمة الله تعالى، أن يكون خاشعاً في الصلاة، وكذلك في سائر العبادات، فموجب الخشوع استشعار عظمة الله، ومعرفة اطلاعه على العبد، ومعرفة تقصير العبد، فمن هذه المعارف يتولد الخشوع" (٣).

فمن كملت عظمة الحق تعالى في قلبه ؛ عظمت عنده مخالفته ؛ لأن مخالفة العظيم ليست كمخالفة من هو دونه، ومن عرف قدر نفسه وحقيقتها وفقرها إلى مولاها في كل لحظة ونَفَس وشدة حاجتها إليه ؛ عظمت عنده جناية مخالفة من يحتاجه في كل حين .

---

(١) في ظلال القرآن، سيد قطب،٥/٢٨١٢.

(٢) المرجع السابق، ٤/ ٢٢٥٤.

(٣) إحياء علوم الدين، محمد الغزالي، ١/١٦٠.

"فالذين أوتوا العلم، من مؤمني أهل الكتاب يخروا سجداً لما أثر فيهم القرآن، في حال كونهم باكين من خشية الله، فيزيدهم سماع القرآن خشوعا كما يزيدهم علماً ويقيناً بالله"(١).

والأصل في الصلاة هو الخشوع، وحضور القلب، فإذا خشع الناس وحضرت قلوبهم فإنهم يخرّون للأذقان باكين، لما عرفوا من الحق.. فيزدادون خشوعاً إلى خشوعهم، وإيماناً إلى إيمانهم(٢).

قال تعالى: ﴿ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ﴾، إنه بكاء التلاوات، وبكاء الصلوات، ومثل هذا البكاء بكاء قوة لا ضعف، وبكاء عز لا ذل، إنه نعمة من الله، وقربة إلى الله.

قال الغزالي: "فإن لم يحضره حزن وبكاء كما يحضر أرباب القلوب الصافية فليبك على فقد الحزن والبكاء، فإن ذلك من أعظم المصائب"(٣).

وبذلك يتبين حال المستمعين إلى آيات الله، من أهل العلم وهم:

الحال الأولى: حين تلقاهم آيات الله، وتطلع عليهم كلماته لأول وهلة، فتسكن معه الجوارح، وتخمد الأنفاس، فيرى فيها من الحسن والجمال ما لم تشهده عين، ولم يتصوره خاطر، فيخرّ مغشيا عليه، جلالا ورهبة..

والحال الثانية: أنه حين يعيشون مع هذه الآيات وقتاً ما، ويأنسون إليها، عندئذ يجدون شيئا من العقل يلقونه بها، وإذا هى لعقولهم أروع جمالا، مما استقبلته منها أول الأمر مشاعرهم، فيتأكد لذلك حكم البداهة.. ﴿ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ﴾(٤).

---

(١) الهداية الى بلوغ النهاية، مكي بن أبي طالب، ٦/ ٤٣٠٩.

(٢) انظر: الجواهر الحسان في تفسير القرآن، عبد الرحمن الثعالبي، ٣/ ٥٠٢.

(٣) إحياء علوم القرآن، محمد الغزالي، ٢٧٧/١ .

(٤) انظر: التفسير القرآني للقرآن، عبد الكريم الخطيب، ٨/ ٥٧٢.

المطلب الثالث
قشعريرة الجلود ولين القلوب

أولاً- تعريف القشعريرة لغة واصطلاحاً:

١- القشعريرة في اللغة:

جاءت بعدة معان، منها:

١) "الرعدة"[١]، "وتقول العرب : واقشعر جلده اقشعراراً، فهو مقشعر: أخذته قشعريرة، أي رعدة"[٢].

٢) "تغير الجلد من فزع" [٣].

٣) " انتفاش الشعر وقيامه"[٤].

٢- القشعريرة في الإصطلاح:

الاقشعرار: "انتفاض شعر الجلد وقيامه من الخوف والفزع، فيرتعد الجسد من الخوف رِعدة وانتفاضة يسيرة لا تخرج عن حد الاعتدال"[٥] .

والقشعريرة: "حال تعترى الجسد من أثر رهبة أو خوف، فيموج الجلد بموجات أشبه بمسّة الكهرباء"[٦].

ثانياً- القشعريرة في الآيات القرآنية:

وردت كلمة القشعريرة في آية واحدة من كتاب الله جاءت بلفظ تقشعر[٧]، وهي:

﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ تَقۡشَعِرُّ مِنۡهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمۡ وَقُلُوبُهُمۡ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهۡدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٖ﴾ (الزمر: ٢٣).

---

(١) لسان العرب، جمال الدين بن منظور، ٩٥/٥.

(٢) تاج العروس، محمد الحسيني، ٤٢٠/١٣ .

(٣) كتاب الأفعال، علي بن القطاع، ٧١/٣.

(٤) الدلائل في غريب الحديث، قاسم السرقسطي، ٥٦٢/٢.

(٥) موقع الإسلام سؤال وجواب، الشيخ : محمد المنجد، http://islamqa.info/

(٦) التفسير القرآني للقرآن، عبد الكريم الخطيب، ١١٤٤/١٢.

(٧) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد عبد الباقي، ص:٥٤٥.

والمتأمل لهذه الآية يجد أنها قد جمعت بين أمرين وهما: الوجل والخشية، والطمأنينة عند ذكر الله.

فالوجل: خوف وخشية تقع في القلب عند ذكر عظمة الله ﷻ ونظره للقلوب والاعمال، وذكر الآخرة وما فيها من حساب وعقاب، فيقشعر الجلد بسبب الآخذ بمجامع القلوب، وخاصة عند تفريطهم في جنب الله تعالى.

وأما الطمأنينة فهي ما يحصل في القلب من لينه وسكونه، وذلك عند سماعهم ما أعد الله ﷻ للمتقين من مغفرة وثواب، وقد يصحب الخشية بكاء وفيض من الدموع.

كأن القرآن الكريم بالنسبة إلى هؤلاء قد تغلغل في وجودهم، لم يقتصر على الفكر فحسب، وإنما تجاوز الفكر إلى القلب، والقلب أيضاً تجاوز إلى الحواس، ولهذا أخذ يقشعر.. ومعنى ذلك، أن الأمر وصل مداه، تجاوز الفكر والقلب، ووصل إلى الجلد، فضلاً عن العين والدمع..

فالله ﷻ شرح للإسلام قلوباً يعلم منها الخير، ويصلها بنوره فتشرق به وتستضيء، فشتان بين هؤلاء وهؤلاء في تلقيهم لآيات الله وهذا ما وضحه الخطيب في تفسيره فقال: "هناك فرق بين سماع المؤمنين وغيرهم لآيات الله، فإذا نزل هذا القرآن على القلوب المؤمنة اهتزت لجلاله، وزلزلت أقطارها لرهبته.. أما غير المؤمنين، الذين لا يعرفون الله ولا يقدرونه قدره، فلا تلمس قلوبهم نفحة من آيات الله، ولا تصوبها قطرة من سماء كلماته"(١).

وجاء عن ابن كثير أنه بين حال هؤلاء فقال:

أحدها: أن سماع هؤلاء هو تلاوة الآيات، وسماع أولئك نغمات لأبيات، من أصوات القينات.

الثاني: أنهم إذا تليت عليهم آيات الرحمن خروا سجداً وبكياً، بأدب وخشية، ورجاء ومحبة، وفهم وعلم، كما قال: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ (الأنفال:٢) وقال تعالى:﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا۟ عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ﴾ (الفرقان:٧٣) أي: لم يكونوا عند سماعها متشاغلين لاهين عنها، بل مصغين إليها، فاهمين بصيرين بمعانيها؛ فلهذا إنما يعملون بها، ويسجدون عندها عن بصيرة لا عن جهل ومتابعة لغيرهم.

الثالث: أنهم يلزمون الأدب عند سماعها، كما كان الصحابة ﷺ عند سماعهم كلام الله من تلاوة رسول الله ﷺ تقشعر جلودهم، ثم تلين مع قلوبهم إلى ذكر الله. لم يكونوا يتصارخون ولا

(١) التفسير القرآني للقرآن، عبد الكريم الخطيب، ١٢/ ١١٤٤.

يتكلفون ما ليس فيهم، بل عندهم من الثبات والسكون والأدب والخشية ما لا يلحقهم أحد في ذلك[١].

ويبين ابن عاشور في تفسيره بأن اقشعرار الجلود حالة طارئة عليها لا يكون إلا من وجل القلوب وروعتها، فكنّي به عن تلك الروعة.

ثم يذكر سبب ذكر لين الجلود عقب تلك القشعريرة، وذلك لأن رجوع الجلود إلى حالتها السابقة قبل اقشعرارها، يحصل عن تناسٍ أو تشاغل بتلك الروعة، فعطف عليه لين القلوب ليعلم أنه لين خاص ناشىء عن اطمئنان القلوب بالذكر كما قال الله تعالى:﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴾ (الرعد: ٢٨)، وليس مجرد رجوع الجلود إلى حالتها التي كانت قبل القشعريرة. فلين القلوب أعم من الجلود، لذا فأثره ظاهر على الجلود[٢].

المطلب الرابع
فيض من الدموع

أولاً- معنى الفيض لغة واصطلاحاً:

١- معنى الفيض لغة:

"الفيض: مصدر فاض يفيض فيضاً، يدل على جريان الشيء بسهولة، منها فاض الماء والدمع والمطر والخير، يفيض فيضاً أي: كثر. وفاضت عينه، تفيض فيضاً أي: سالت. ومنه قوله تعالى: ﴿تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ ﴾ (المائدة: ٨٣) وأفاض دمعه يفيضه إفاضة. وفاض صدر فلان بسره اذا امتلأ فأظهره. وأفاضوا في الحديث أي أخذوا فيه"[٣].

٢- معنى الفيض اصطلاحاً:

الفيض هو: إمتلاء العين بالدمع ثم سيلانها منه[٤].

ثانياً- فيض الدموع في القرآن الكريم:

جرى ذكر البكاء عند سماع آي القرآن والتأثر به في مواطن كثيرة:

---

(١) تفسير القرآن العظيم، اسماعيل ابن كثير، ٧/ ٥٥.

(٢) انظر: التحرير والتنوير، محمد بن عاشور، ٣٩٠/٢٣ .

(٣) العين، الخليل الفراهيدي، ٧/ ٦٥، جمهرة اللغة، محمد الأزدي، ٢/ ١٠٧٨، معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس، ٤/ ٤٦٥، معجم اللغة العربية المعاصرة، أحمد عمر،٣/ ١٧٥٩.

(٤) جامع البيان في تأويل القرآن، محمد الطبري، ٥٠٧/١٠.

ووردت هذه الكلمة (فاض) ومشتقاتها في ثمان آيات[1]، وهي:

١) قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَمِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعۡيُنَهُمۡ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمۡعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ ٱلۡحَقِّۖ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكۡتُبۡنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴾(المائدة: ٨٣).

٢) **قال تعالى:** ﴿تَوَلَّواْ وَّأَعۡيُنُهُمۡ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمۡعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُواْ مَا يُنفِقُونَ ﴾ (التوبة: ٩٢).

٣) قال تعالى: ﴿ ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنۡ حَيۡثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ وَٱسۡتَغۡفِرُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾ (البقرة: ١٩٩)

٤) قال تعالى:﴿ وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ أَنۡ أَفِيضُواْ عَلَيۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ أَوۡ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُۚ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾ (الأعراف: ٥٠)

٥) قال تعالى:﴿فَإِذَآ أَفَضۡتُم مِّنۡ عَرَفَٰتٖ فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ عِندَ ٱلۡمَشۡعَرِ ٱلۡحَرَامِۖ ﴾ (البقرة: ١٩٨)

٦) قال تعالى:﴿ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ لَمَسَّكُمۡ فِي مَآ أَفَضۡتُمۡ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ (النور: ١٤)

٧) قال تعالى:﴿ وَمَا تَكُونُ فِي شَأۡنٖ وَمَا تَتۡلُواْ مِنۡهُ مِن قُرۡءَانٖ وَلَا تَعۡمَلُونَ مِنۡ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيۡكُمۡ شُهُودًا إِذۡ تُفِيضُونَ فِيهِۚ ﴾ (يونس: ٦١)

٨) قال تعالى:﴿ أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُۖ قُلۡ إِنِ ٱفۡتَرَيۡتُهُۥ فَلَا تَمۡلِكُونَ لِي مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـًٔاۖ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ ﴾ (الأحقاف: ٨)

١- وصفه ﷻ لبكاء أهل الصدق عند سماع القرآن:

فقال تعالى: ﴿وَإِذَا سَمِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعۡيُنَهُمۡ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمۡعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ ٱلۡحَقِّۖ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكۡتُبۡنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴾(المائدة: ٨٣). **وقال الحق سبحانه:** ﴿تَوَلَّواْ وَّأَعۡيُنُهُمۡ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمۡعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُواْ مَا يُنفِقُونَ ﴾ (التوبة: ٩٢).

ها هو القرآن الكريم يصف القلوب المشفقة، والعقول المتدبرة، والألسن التالية لكتاب الله، والشفاه المسبحة بحمد الله، عندما تنهمر الدموع خوفاً وخشيةً من الله ﷻ، هو بكاء الرجاء والشوق،

(١) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد عبد الباقي، ص:٥٢٨.

بكاء التوبة والندم، بكاء تغسل به الدموعُ الذنوبَ، وتمحو به العبراتُ السيئاتِ، لله ذلك البكاء، ما أجلاه للقلوب، وما أزكاه للنفوس!.

وجاء القرطبي يصف لنا حالة العارفين بالله، الخائفين من سطوته وعقوبته، حال الرسولﷺ وأصحابه في معرفتهم بالله وتعظيمه، فكانت حالهم عند المواعظ الفهم عن اللهﷻ، والبكاء خوفاً منه، ﴿تَرَىٰٓ أَعۡيُنَهُمۡ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمۡعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ ٱلۡحَقِّۖ﴾ (المائدة: ٨٣)، فهذا وصف حالهم وحكاية مقالهم[١]. لو قلنا لم اختار الله ﷻ لفظة تفيض في قوله: ﴿تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمۡعِ﴾ ؟

وأما الإمام النسفي قال عنهم: "تمتلئ من الدمع حتى تفيض، لأن الفيض أن يمتلئ الإناء أو غيره حتى يطلع ما فيه من جوانبه، فوضع الفيض الذي هو من الامتلاء موضع الامتلاء، أو قصدت المبالغة في وصفهم بالبكاء، فجعلت أعينهم كأنها تفيض بأنفسها فتسيل من أجل البكاء"[٢].

فهذه صفة من نظر إليه الحق نظر القبول، فإذا قَرعت سَمعَهم دعوةُ الحقِّ ابتسمت البصيرة في قلوبهم[٣].

وصور ذلك الخطيب في تفسيره: "لقد كانوا يحسون أنهم في ظلام وضلال، فلما سمعوا الحق أشرقت له نفوسهم ودخلوا في نوره وهدايته، وأعينهم تتدفق بالدموع من شدة تأثرهم به وحبهم له، وهذا ما دعا إلى دخول كثير من أتباع المسيح فى الإسلام عن اعتقاد صحيح، وإيمان وثيق، ودعو ربهم بأن يجعلهم من الذين شهدوا النبي واستمعوا إليه وآمنوا به"[٤].

٢- وصفه ﷻ للذين أوتوا العلم والمعرفة بالله، وتأثرهم عند سماعهم للقرآن والذكر:

فقال تعالى: ﴿قُلۡ ءَامِنُواْ بِهِۦٓ أَوۡ لَا تُؤۡمِنُوٓاْۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ مِن قَبۡلِهِۦٓ إِذَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ يَخِرُّونَ لِلۡأَذۡقَانِ سُجَّدٗا ۞ وَيَقُولُونَ سُبۡحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعۡدُ رَبِّنَا لَمَفۡعُولٗا ۞ وَيَخِرُّونَ لِلۡأَذۡقَانِ يَبۡكُونَ وَيَزِيدُهُمۡ خُشُوعٗا﴾ (الإسراء: ١٠٦-١٠٩).

"هم العلماء الذين قرءوا الكتب وعلموا ما الوحى وما أمارات النبوة، قد آمنوا به وصدّقوه، فإذا تلى عليهم القرآن خرّوا سجداً، وسبحوا الله تعظيماً لأمره، ويزيدهم القرآن لين قلب ورطوبة عين"[٥].

---

(١) الجامع لأحكام القرآن، محمد القرطبي، ٧/ ٣٦٦.

(٢) مدارك التنزيل وحقائق التأويل، عبد الله النسفي، ١/ ٤٦٩.

(٣) لطائف الإشارات، عبد الكريم القشيري، ١/ ٤٤٣.

(٤) التفسير القرآني للقرآن، عبد الكريم الخطيب، ٤/ ٨.

(٥) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، محمود الزمخشري، ٢/ ٦٩٩.

وأكد ذلك الزمخشري حين قال: "يخر العالمون العارفون بحقانية القرآن بعد تأملهم وتوغلهم في حقائقه ومعارفه للأذقان سجداً، متذللين واضعين جباههم وأذقانهم على تراب المذلة والهوان، تعظيماً لأمر الله، ما يزيدهم التأمل والتدبر فيه على وجه التدقيق والتعمق مراراً وتكراراً الا خشوعاً وخضوعاً"(١).

ووصفهم سيد قطب بأنهم فئة من الناس، إذا سمعوا لهذا القرآن: "اهتزّت مشاعرهم ولانت قلوبهم وفاضت أعينهم بالدمع والذي لا يجدون له في أوّل الأمر كفاء من التعبير إلا الدمع الغزير، فيفيض الدمع ليؤدي مالا يؤديه القول، وليطلع الشحنة الحبيسة من التأثّر العميق العنيف"(٢)، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ (فاطر: ٢٨).

وعلى هذا فإن العلماء هم أكثر الناس خشية لله ﷻ، ومن إزداد بالله علماً إزداد منه خوفاً، جاء في الحديث الصحيح أن النبي ﷺ قال: " **فوالله إني لأعلمهم بالله، وأشدهم له خشية** "(٣)، وروى مالك والشافعي أن النبيﷺ قال: "**والله إني لأتقاكم لله، وأعلمكم بحدوده**"(٤)، وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ﴾ (فاطر: ١٨)، فهؤلاء هم العلماء... أما الجاهلون بالله فلا يخشونه ولا يخافون عقابه (٥).

ثالثاً- فيض الدموع في السنة النبوية:

إن البكاء دليل على رقة القلب ولينه، وكما تحفظ الدموع العين من الجفاف، كذلك هي تحفظ القلب من الجفاء والقسوة، وقد وردت أمثلة كثيرة تبين بكاء رسول الله والصحابة الكرام نورد منها.

١- كان ﷺ يبكي بكاء خوف من الله، فعن بن مسعود ﷺ: قال لي النبي ﷺ: "اقرأ عليّ"، قلت: يا رسول الله أقرأ عليك وعليك أنزل؟ قال: "**إني أحب أن أسمعه من غيري**"، فقرأت سورة النساء حتى أتيت إلى هذه الآية: ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍۭ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴾ (النساء: ٤١)، قال: "حسبك الآن"، فالتفت إليه فإذا عيناه تذرفان(٦).

---

(١) الفواتح الإلهية والمفاتح الغيبية، نعمة الله النخجواني، ١/ ٤٦٨.

(٢) في ظلال القرآن، سيد قطب، ٢/ ٩٦٢.

(٣) صحيح البخاري، كتاب: الأدب، باب: من لم يواجه الناس بالعتاب، ح(٦١٠١)، ٨/ ٢٦.

(٤) موطأ مالك، كتاب: الصيام، باب: القبلة للصائم، ح(٣٥٢)، ١/١٢٤، شرح صحيح البخاري، ابن بطال بن عبد الملك، كتاب: الصيام، باب: القبلة للصائم، ٤/٥٦.

(٥) انظر: معجم التعبيرات القرآنية، محمد عتريس، ص: ٤٨٩.

(٦) صحيح البخاري، كتاب: فضائل القرآن، باب: قول المقرئ للقارئ حسبك، ح(٥٠٥٠)، ٦/١٩٦.

٢- وعُرف عن أبي بكر ﷺ أنه كان بكاّءً عند قراءة القرآن، فلما أمره رسول الله ﷺ في فترة مرضه أن ينوب عنه في الصلاة بالناس قالت عائشة ﷺ: "**إن أبا بكر رجل رقيق إذا قرأ غلبه البكاء**"(١).

٣- وعُرف عمر بن الخطاب ﷺ بشدة الإنابة والتبتل وكثرة الخشية من الله ﷻ، وقد قال عنه عبد الله ابن شداد: "**سمعت نشيج عمر وأنا في آخر الصفوف في صلاة الصبح، وهو يقرأ سورة يوسف حتى بلغ: ﴿إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ﴾**(٢).

ولقد رؤي في وجهه خطان أسودان من البكاء.

٤- عن أنس ﷺ قال: "**خطب رسول الله ﷺ خطبة ما سمعت مثلها قط، قال: لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا، ولبكيتم كثيراً، قال: فغطى أصحاب رسول الله ﷺ وجوههم لهم خنين**"(٣) .

٥- عندما سأل النجاشي جعفر بن أبي طالب عن دينهم فقال له: هل معك مما جاء به عن الله من شيء؟ فقال له جعفر: نعم، فقال له النجاشي: فاقرأه علي، قالت: فقرأ عليه صدراً من: «كهيعص »، فبكى والله النجاشي حتى اخضلت لحيته، وبكت أساقفته حتى أخضلوا مصاحفهم، حين سمعوا ما تلا عليهم(٤).

فإن كان الضحك أوكسجين القلب، وهو نعمة من الله تعالى، وهبنا إياها لنستروح بها عما يصيب النفس من كدر وتعب، ففي البكاء حياة القلب، وهو نعمة أيضاً؛ وقد حُرمها أهل النار؛ إذ هم فيها يصطرخون ولا يبكون.

رابعاً- فيض الدموع عند السلف الصالح:

"كان السلف الصالح يتلو الواحد منهم آية واحدة، ليلة كاملة، أو معظم ليلة يتدبرها، ويتفكر فيها"(٥)، ويستحبّ البكاء عند تلاوة القرآن، فهذا ما بينه الإمام الغزالي في قوله: " البكاء مستحبّ مع القراءة، والطريق في تحصيله أن يحضر قلبه الحزن، بأن يتأمّل ما في القرآن من الوعيد والتهديد والمواثيق والعهود، ثم يتأمّل تقصيره في ذلك، فإن لم يحضر حزن وبكاء كما يحضر الخواص فليبك على فقد ذلك منه، فإنه من أعظم المصائب "(٦)

---

(١) صحيح البخاري، كتاب: الآذان، باب: أهل العلم والفضل أحق بالإمامة، ح(٦٨٢)،١/١٣٧.
(٢) صحيح البخاري، كتاب: الأذان، باب: إذا بكى الإمام في الصلاة، ح(٧١٥)، ١/١٤٤.
(٣) صحيح البخاري، كتاب: تفسير القرآن، باب: لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم، ح(٤٦٢١)، ٦/٥٤.
(٤) سيرة ابن هشام، عبد الملك بن هشام، ١/ ٣٣٦.
(٥) الجواهر الحسان في تفسير القرآن، عبد الرحمن الثعالبي، ٢/ ٤١٢.
(٦) التبيان في آداب حملة القرآن، أبي زكريا النووي، فصل: في البكاء عند قراءة القرآن، ١/٨٨.

وقد يكون البكاء مصحوباً بالنشيج[1]، كما يذكر عن عمر بن عبد العزيز أنّه قرأ عنده رجلٌ: ﴿وَإِذَآ أُلۡقُواْ مِنۡهَا مَكَانٗا ضَيِّقٗا مُّقَرَّنِينَ دَعَوۡاْ هُنَالِكَ ثُبُورٗا﴾ (الفرقان:١٣) ، فبكى حتى غلبه البكاء، وعلا نشيجه، فقام من مجلسه فدخل بيته، وتفرق الناس[2].

المطلب الخامس
إعلان الإسلام

إن أثر القرآن في النفوس عجيب وصنيعه بالقلوب أعجب يسمعه الذي أنزل عليه فيبكي، ويسمعه المشرك الضال فيضطرب ولا يمل سماعه، ويسمعه الكتابي المنصف فيخر ساجداً مما عرف من الحق، ولم يُعْرَف في تاريخ البشر أنَّ كلامًا قَارَبَ القرآن في قُوَّة تأثيره في العقول والقلوب؛ وهناك العديد من الصحابة وغيرهم، من أسلم بمجرد سماعه آيات تتلى، ونذكر على سبيل المثال:

أولاً- تأثر عمر بن الخطاب بالقرآن:

تعرض عمر بن الخطاب إلى هزات متكررة، ووقفات أثرت في تحول حياته رأساً على عقب، نتيجة سماعه لآيات القرآن الكريم .

١- عند سماعه آيات من القرآن الكريم، وهو حول الكعبة:

يقول عمر بن الخطاب: خرجت أتعرض رسول الله ﷺ قبل أن أسلم، فوجدته قد سبقني إلى المسجد، فقمت خلفه، فاستفتح سورة الحاقة، فجعلت أعجب من تأليف القرآن، قال: فقلت: هذا والله شاعر كما قالت قريش، قال: فقرأ: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ۞ وَمَا هُوَ بِقَوۡلِ شَاعِرٖۚ قَلِيلٗا مَّا تُؤۡمِنُونَ﴾ (الحاقة: ٤٠ – ٤١)، قال: فقلت: كاهن. قال فقرأ: ﴿وَلَا بِقَوۡلِ كَاهِنٖۚ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ۞ تَنزِيلٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ (الحاقة: ٤٢ – ٤٣) فوقع الإسلام في قلبي كل موقع[3].

٢- قصته مع أخته فاطمة وختنه سعيد بن زيد، "حيث خرج متوشحاً سيفه، يريد القضاء على النبي ﷺ، فلقيه نعيم فقال: أين تعمد يا عمر؟ قال: أريد أن أقتل محمدا .. قال: أفلا أدلك على العجب يا عمر! إن أختك وختنك قد صبوا، وتركا دينك الذي أنت عليه، فمشى عمر دامراً حتى أتاهما، وعندهما خباب بن الأرث، معه صحيفة فيها طه يقرئهما إياها- وكان

(١) النشيجُ: الغصص بالبكاء وتردده في الصدر،(اللباب في قواعد اللغة، محمد السراج، ١/ ٢٢٤)، أما النحيب: رفع الصوت بالبكاء،(مختار الصحاح، زين الدين الحنفي، ٣٠٦/١).

(٢) الرقة والبكاء، عبد الله بن أبي الدنيا ٨٥/٨٣.

(٣) إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون، علي الحلبي، ٤٦٩/١.

يختلف إليهما ويقرئهما القرآن.. وكان قد سمع عمر حين دنا من البيت قراءة خباب إليهما، فلما دخل عليهما قال: ما هذه الهينمة التي سمعتها عندكم؟ فقالا: ما عدا حديثا تحدثناه بيننا، قال: فلعلكما قد صبوتما، ثم ضرب زوج أخته، فجاءت أخته فرفعته عن زوجها فنفحها نفحة بيده، فدمى وجهها، فلما يئس عمر، ورأى ما بأخته من الدم ندم واستحى، وقال: أعطوني هذا الكتاب الذي عندكم فأقرؤه، فقالت أخته: إنك رجس، ولا يمسه إلا المطهرون، فقم فاغتسل، فقام فاغتسل، ثم أخذ الكتاب، فقرأ ﴿طه ۞ مَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لِتَشۡقَىٰٓ ۞ إِلَّا تَذۡكِرَةٗ لِّمَن يَخۡشَىٰ﴾ (طه:١-٣)، فقال: ما أحسن هذا الكلام وأكرمه؟ دلوني على محمد، فانطلق حتى أتى الدار، فضرب الباب، فقام رجل ينظر من خلل الباب فرآه متوشحا السيف، فأخبر رسول الله ﷺ، فخرج إلى عمر حتى لقيه في الحجرة، فأخذ بمجامع ثوبه وحمائل السيف، ثم جبذه جبذة شديدة فقال: اللهم! هذا عمر بن الخطاب، اللهم أعز الإسلام بعمر بن الخطاب، فقال عمر: أشهد ألا إله إلا الله، وأنك رسول الله. وأسلم فكبر أهل الدار تكبيرة سمعها أهل المسجد"(١).

ثانياً- تأثر الطفيل بن عمرو بالقرآن:

"قدم الطفيل إلى مكة ورسول الله ﷺ بها، فقال له رجال قريش: يا طفيل، إنك قدمت بلادنا، وهذا الرجل الذى بين أظهرنا قد أعضل بنا، وفرق جماعتنا، وإن قوله كالسحر يفرق بين الرجل وأهله، وإنا نخشى عليك وعلى قومك ما قد دخل علينا، فلا تكلمنه ولا تسمعن منه شيئاً.

قال: فو الله ما زالوا بي حتى أجمعت أن لا أسمع منه شيئا ولا أكلمه، حتى حشوت في أذني حين غدوت إلى المسجد كرسفاً فرقاً من أن يبلغني شيء من قوله، وأنا لا أريد أن أسمعه. قال: فغدوت إلى المسجد، فإذا رسول الله ﷺ قائم يصلي عند الكعبة، قال: فقمت منه قريبًا، فأبى الله إلا أن يسمعني بعض قوله، قال: فسمعت كلاماً حسناً، قال: فقلت في نفسي: وا ثكل أمي، والله إني لرجل لبيب شاعر ما يخفى علي الحسن من القبيح، فما يمنعني أن أسمع من هذا الرجل ما يقول! فإن كان الذي يأتي به حسناً قبلته، وإن كان قبيحاً تركته.

قال: فمكثت حتى انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بيته فاتبعته، حتى إذا دخل بيته دخلت عليه، فقلت: يا محمد، إن قومك قد قالوا لي كذا وكذا، للذي قالوا، فو الله ما برحوا يخوفونني أمرك حتى سددت أذني بكرسف لئلا أسمع قولك، ثم أبى الله إلا أن يسمعني قولك، فسمعته قولاً حسناً، فاعرض علي أمرك، قال: فعرض علي رسول الله ﷺ الإسلام، وتلا علي القرآن، فلا والله ما سمعت قولاً قط أحسن منه، ولا أمراً أعدل منه.

(١) الرحيق المختوم، صفي الرحمن المباركفوري، ٩١/١، باختصار.

قال: فأسلمت وشهدت شهادة الحق، وقلت: يا نبي الله، إني امرؤ مطاع في قومي، وأنا راجع إليهم، وداعيهم إلى الإسلام، فادع الله أن يجعل لي آية تكون لي عوناً عليهم فيما أدعوهم إليه فقال: اللهم اجعل له آية"(١).

١) تأثر سعد بن معاذ وأسيد بن حضير بالقرآن:

أرسل رسول الله ﷺ مصعب بن عمير إلى المدينة يعلّم الناس الدين ويقرئهم القرآن، فأخذ الإسلام ينتشر في بيوت المدينة، "وذات يوم قال سعد لأسيد بن خضير: لا أبا لك، انطلق إلى هذين الرجلين اللذين أتيا دارينا ليسفّها ضعفاءنا فازجرهما، فأخذ أسيد بن حضير حربته ثم أقبل عليهما، فلما راه أسعد بن زرارة قال: هذا سيد قومه وقد جاءك فاصدق الله فيه، قال مصعب: أو تجلس فتسمع، فإن رضيت أمراً قبلته، وإن كرهته كفّ عنك ما تكره؟!

فركز أسيد حربته، وجلس إليهما، فكلمه مصعب بالإسلام، وقرأ عليه القرآن، ثم قال: ما أحسن هذا الكلام وأجمله! ثم قام فاغتسل وطهّر ثوبيه وتشهّد شهادة الحق، ثم قام فركع ركعتين، ثم أخذ حربته وانصرف إلى سعد وقومه وهم جلوس في ناديهم، فلما نظر إليه سعد مقبلا قال: أحلف بالله لقد جاءكم أسيد بن حضير بغير الوجه الذي ذهب به من عندكم!! "(٢).

هؤلاء وقفوا عند حدود الله، فأيقنوا صدق النبي ﷺ وقد كانوا على الشرك، فكان منهم الكثير من الصناديد الشجعان، يتأهبوا لقتل سيدنا محمد ﷺ، ووأد دعوة الحق، لكن الله ﷻ أعز بهم الإسلام، ورفع راية الحق. وفي كل عصر من العصور هناك الكثير ممن يتأثرون بآيات الله ﷻ، ونذكر منهم :

٢) تأثر الدكتور ميلر بسبب إعجاز القرآن الكريم:

كان من المبشرين النشطين جداً في الدعوة إلى النصرانية، وأيضاً هو من الذين لديهم علم غزير بالكتاب المقدس، في أحد الأيام أراد أن يقرأ القرآن، بقصد أن يجد فيه بعض الأخطاء التي تعزز موقفه عند دعوته للمسلمين للدين النصراني.

كان يتوقع أن يجد القرآن كتاب قديم مكتوب منذ ١٤ قرن، يتكلم عن الصحراء وما إلى ذلك، لكنه ذهل مما وجده فيه، بل واكتشف أن هذا الكتاب يحوي على أشياء لا توجد في أي كتاب آخر في هذا العالم .

(١) سيرة بن هشام، عبد الملك بن هشام، ٣٨٣/١.

(٢) السيرة النبوية على ضوء القرآن والسنة، محمد أبو شهبة، ٤٤١/١.

بل الذي جعله في حيرة من أمره أنه وجد أن هناك سورة كاملة في القرآن تسمى سورة مريم، وفيها تشريف لمريم عليها السلام، لا يوجد مثيل له في كتب النصارى ولا في أناجيلهم !!

ولم يجد سورة باسم عائشة أو فاطمة رضي الله عنهما، وكذلك وجد أن عيسى عليه السلام ذكر باسمه خمسة وعشرون مرة في القرآن، في حين أن النبي محمد ﷺ لم يذكر إلا خمس مرات فقط فزادت حيرة الرجل، أخذ يقرأ القرآن بتمعن أكثر لعله يجد مأخذا عليه .... ولكنه صعق بآية عظيمة وعجيبة ألا وهي: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴾ (النساء:٨٢)

أيضاً من الآيات التي وقف الدكتور ميلر عندها طويلاً هي الآية:﴿ أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا ۖ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ ۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴾ (الأنبياء:٣٠)

يقول: "إن هذه الآية هي بالضبط موضوع البحث العلمي الذي حصل على جائزة نوبل في عام ١٩٧٣، وكان عن نظرية الانفجار الكبير، وهي تنص أن الكون الموجود هو نتيجة انفجار ضخم حدث منه الكون بما فيه من سماوات وكواكب ".

فالرتق هو الشي المتماسك في حين أن الفتق هو الشيء المتفكك فسبحان الله [1].

وكلٌّ من طالع القرآن الكريم، قد أحس بشيء من هذا التأثير الطاغي والسلطان الآسر لكلام الله عز وجل، وهو سر من أسرار القرآن باقٍ ما بقيت السماوات والأرض.

(١) المنتدي العربي لإدارة الموارد البشرية، في رحاب الاسلام.

المبحث الثالث
تأثير القرآن على الجنّ

ويشتمل على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: استماع الجن للقرآن وتأثرهم به

المطلب الثاني: دعوة الجن قومهم وإنذارهم

المطلب الثالث: إيمان الجن بالله

المطلب الأول
استماع الجن للقرآن وتأثرهم به

أولاً- الجن لغة واصطلاحاً:

١- تعريف الجن في اللغة:

قال ابن منظور: "الجن بالكسر: اسم جنس جمعي واحده جني، وهو مأخوذ من الاجتنان، وهو التستر والاستخفاء. وقد سموا بذلك لاجتنانهم عن الأبصار، والجمع جنان وهم الجنة"(١). قال الليث: "الجن: ولد الجان، وإنما سموا جناً لأنهم استجنوا من الناس، فلا يرون"(٢).

وقال ابن فارس: "سميت الجن لأنها تتقى ولا ترى"(٣).

٢- تعريف الجن في الإصطلاح:

أطلق العلماء عدة تعريفات للجن نذكر منها:

١) "الجن: عالم غير عالم الإنسان وعالم الملائكة، بينهم وبين الإنسان قدر مشترك من حيث الاتصاف بصفة العقل والإدراك، ومن حيث القدرة على اختيار طريق الخير والشر، ويخالفون الإنسان في أمور أهمها أن أصل الجان مخالف لأصل الإنسان"(٤).

٢) "الجن: هم نوع من الأرواح العاقلة، المريدة، المكلفة على نحو ما عليه الإنسان، مجردون عن المادة، مستترون عن الحواس، لا يرون على طبيعتهم، ولا بصورتهم الحقيقية، ولهم قدرة على التشكل، يأكلون، ويشربون، ويتناكحون، ولهم ذرية، محاسبون على أعمالهم في الآخرة"(٥).

ثانياً- الجن في الآيات القرآنية:

وردت كلمة الجن في السياق القرآني إثنين وعشرين مرة(٦)، سيأتي ذكر بعض منها خلال السياق التالي.

---

(١) لسان العرب، جمال الدين بن منظور، ١٣/ ٩٥.
(٢) تهذيب اللغة، محمد الأزهري، ١٠/ ٢٦٥.
(٣) مجمل اللغة، أحمد بن فارس، ص: ١٧٥.
(٤) عالم الجن والشياطين، عمر الأشقر، ص: ١١.
(٥) عالم الجن في ضوء الكتاب والسنة، عبد الكريم عبيدات، ص:٨.
(٦) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد عبد الباقي، ص: ١٧٩.

تأثر الجن بالقرآن.

خرج النبي ﷺ على الطائف فجلس إليهم ودعاهم إلى الله، وإلى نصرة الإسلام، ولكنهم قابلوه بجحود، فأدموا قدميه الشريفة بالحجارة، فرجع ﷺ كئيباً محزوناً كسير القلب، فلما بلغ قرن المنازل بعث الله ﷻ إليه جبريل عليه السلام يستأمره أن يطبق الأخشبين على أهل مكة[1]، ولكن النبي ﷺ قال: " **بل أرجو أن يخرج الله عز وجل من أصلابهم من يعبد الله عز وجل وحده لا يشرك به شيئاً**"[2]، فعاد ﷺ بعد أن صدوه إلى مكة، ولما وصل إلى منطقة نخلة جلس للإستراحة ليتلوا كتاب الله ﷻ بعد صلاة الفجر، فاستمع له نفر من الجن، حيث قال تعالى:﴿ **وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓا۟ أَنصِتُوا۟ ۖ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْا۟ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ۞ قَالُوا۟ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ۞ يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُوا۟ دَاعِىَ ٱللَّهِ وَءَامِنُوا۟ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ** ﴾ (الأحقاف:٢٩-٣١)، وجاء في سورة الجن: ﴿ **قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓا۟ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ۞ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا** ﴾ (الجن:١-٢).

لقد تفاعلت قلوبهم لتلاوة القرآن، وهذا ظهر في النقاط التالية:

١) قال تعالى: ﴿ **قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓا۟ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا** ﴾ (الجن:١).

"هو خبر صريح لم يكن النبي ﷺ يعلم من أمر هذا النفر من الجن شيئاً، أمر لم يقع منه موقع الحس والمشاهدة، والله سبحانه قد أوحى إليه بأن الجن قد استمعوا إليه، فعلم النبي ﷺ عن هؤلاء الجن إنما كان بما أوحى إليه الله سبحانه وتعالى من خبرهم، وما أعلمه من أمرهم.."[3].

فقد سخر الله الجن للنبيﷺ للإيمان به وبالقرآن، وهذا تأييد له، فكان رسول الله ﷺ مصدقاً عند الثقلين، ومعظماً في العالمين، وذلك ما لم يحصل لرسول قبله"[4].

فصرف الله عز وجل هؤلاء النفر لسماع آياته لتقوم عليهم الحجة، وتتم عليهم النعمة، ويكونوا منذرين لقومهم وأمر الله رسوله أن يقص نبأهم على الناس، وذلك أنهم لما حضروه، قالوا: أنصتوا، فلما أنصتوا فهموا معانيه، ووصلت حقائقه إلى قلوبهم،﴿ **فَقَالُوٓا۟ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا** ﴾ (الجن:١).

---

(١) انظر الرحيق المختوم، صفي الرحمن المباركفوري، ص: ١٤٣-١٤٤.

(٢) صحيح البخاري. كتاب: بدء الخليقة، باب: إذا قال أحدكم آمين، ح(٣٢٣١)، ٤/١١٥.

(٣) التفسير القرآني للقرآن، عبد الكريم الخطيب، ١٣/ ٢٩٥، بتصرف.

(٤) التحرير والتنوير، محمد ابن عاشور، ٢٦/ ٥٧.

وهنا يصف سيد قطب حالهم قائلاً: "أول ما بدالهم منه أنه عجب غير مألوف، وأنه يثير الدهش في القلوب، وهذه صفة القرآن عند من يتلقاه بحس واع وقلب مفتوح، ومشاعر مرهفة، وذوق ذواق.."(١).

وفي قوله تعالى: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا﴾ ثلاثة أوجه بينها الماوردي في تفسيره : "أحدها: عجباً في فصاحة كلامه، الثاني: عجباً في بلاغة مواعظة، الثالث: عجباً في عظم بركته"(٢).

وهنا يبين هؤلاء الجن أثر القرآن عليهم، فهم يعترفون بهدايته لهم.

٢) قال تعالى:﴿يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا﴾ (الجن:٢).

الرشد هو: "اسم جامع لكل ما يرشد الناس إلى مصالح دينهم ودنياهم، فجمعوا بين الإيمان الذي يدخل فيه جميع أعمال الخير، وبين التقوى، المتضمنة لترك الشر"، فإن ذلك آية عظيمة، وحجة قاطعة، لمن استنار به، واهتدى بهديه، وهذا الإيمان النافع، المثمر لكل خير، المبني على هداية القرآن(٣).

إذن هي الاستجابة الطبيعية لسماع القرآن، والتأثر بحقيقته.. "فهؤلاء هم الجن مبهورين بالقرآن مسحورين متأثرين أشد التأثر، منفعلين أشد الانفعال، ثم يعرفون الحق، فيستجيبون له مذعنين، غير منكرين لما مس نفوسهم منه ولا معاندين، فهو الإيمان الخالص، الإيمان الذي ينبعث من إدراك حقيقة القرآن، والحقيقة التي يدعو إليها القرآن، حقيقة التوحيد لله بلا شريك"(٤).

وقد ذكر الشوكاني بأن في هذه الآية: "توبيخ للكفار من بني آدم، حيث آمنت الجن بسماع القرآن مرة واحدة، وانتفعوا بسماع آيات يسيرة منه، وأدركوا بعقولهم أنه كلام الله، وآمنوا به، ولم ينتفع كفار الإنس، لا سيما رؤساؤهم وعظماؤهم بسماعه مرات متعددة وتلاوته عليهم في أوقات مختلفة، مع كون الرسول منهم يتلوه عليهم بلسانهم، ولعذاب الآخرة أشد لو كانوا يعلمون"(٥).

بعد إطلاع الله النبي ﷺ على أمر استماع الجن له، وإخباره عن أمر وقع ولم يعلم به، كانت هذه هي المرة الأولى، ثم توالت مرات أخرى قرأ الرسول ﷺ فيه على الجن عن علم وقصد، ولا بد أن هذه المرة هي التي تحكيها آيات الأحقاف.

---

(١) في ظلال القرآن، سيد قطب، ٦/ ٣٧٢٦.
(٢) النكت والعيون، علي الماوردي، ٦/ ١٠٩.
(٣) تيسير الكريم الرحمن، عبد الرحمن السعدي، ص: ٨٩٠.
(٤) في ظلال القرآن، سيد قطب، ٦/ ٣٧٢٦.
(٥) فتح القدير، محمد الشوكاني، ٥/ ٣٦٤.

٣) قال تعالى: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓا۟ أَنصِتُوا۟ ۖ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْا۟ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ﴾ (الأحقاف:٢٩)

يبين لنا سيد قطب بأن كل ما حصل: "هو تدبير من الله، بصرف هؤلاء النفر من الجن إلى استماع القرآن، فيصور لنا ما وقع في قلوبهم من الروعة والتأثر والرهبة والخشوع عند إنصاتهم للقرآن، فقد استمعوا صامتين منتبهين حتى النهاية" (١).

المطلب الثاني
دعوة الجن قومهم وإنذارهم

قال تعالى: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓا۟ أَنصِتُوا۟ ۖ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْا۟ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ۞ قَالُوا۟ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ۞ يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُوا۟ دَاعِىَ ٱللَّهِ وَءَامِنُوا۟ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ۞ وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِىَ ٱللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُۥ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءُ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ (الأحقاف:٢٩-٣٢)

هذه الآيات تنبئ الجن عن مفاجأة أطارت تماسكهم، وزلزلت قلوبهم، وهزت مشاعرهم، وأطلقت في كيانهم دفعة عنيفة من التأثر امتلأ بها كيانهم كله وفاض، فانطلقوا إلى قومهم بنفوس محتشدة، لا تطيق السكوت أو التلكؤ في إبلاغه والإنذار به!

فبعدما انتهى النبي ﷺ من القراءة تم مراد الله ﷻ من إقبال نفر من الجن يستمعون القرآن، فلما حضروه قالوا أنصتوا ليتم التدبر والتفكر، فلما فرغ من قراءته، كمل تأثرهم به، فأرادوا التأثير به، لذلك ولوا راجعين إلى قومهم منذرين لهم عما هم فيه من الضلال(٢).

قال ابن قيم الجوزية في تفسيره: قوله تعالى: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ (الأحقاف: ٢٩)، " **أنها تدل على تكليف الجن من عدة وجوه:**

أحدها: أن الله ﷻ صرفهم إلى رسوله يستمعون القرآن ليؤمنوا به، ويأتمروا بأوامره وينتهوا عن نواهيه.

الثاني: أنهم أخبروا أنهم سمعوا القرآن وعقلوه وفهموه، وأنه يهدي إلى الحق، وهذا القول منهم يدل على أنهم عالمون بموسى وبالكتاب المنزل عليه، وأن القرآن مصدق له، وأنه هاد إلى صراط

(١) انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب، ٦/ ٣٢٧٣.

(٢) انظر: محاسن التأويل، محمد القاسمي، ٨/ ٤٥٢.

مستقيم، وهذا يدل على تمكنهم من العلم الذي تقوم به الحجة، وهم قادرون على امتثال ما فيه، والتكليف إنما يستلزم العلم والقدرة.

الثالث: أنهم قالوا لقومهم: ﴿يَٰقَوۡمَنَآ أَجِيبُواْ دَاعِيَ ٱللَّهِ وَءَامِنُواْ بِهِۦ﴾ (الأحقاف: ٣١)، والآية صريحة في أنهم مكلفون، مأمورون بإجابة الرسولﷺ، وهو تصديقه فيما أخبر وطاعته فيما أمر"[١].

ثم واصل سيد قطب الحديث في ذات المسار بأن هؤلاء الجن ولوا إلى قومهم مسارعين، يقولون لهم:" إنا سمعنا كتاب جديداً أنزل من بعد موسى، يصدق كتاب موسى في أصوله"، فهم إذن كانوا يعرفون كتاب موسى، فأدركوا الصلة بين الكتابين بمجرد سماع آيات من هذا القرآن، قد لا يكون فيها ذكر لموسى ولا لكتابه، ولكن طبيعتها تشي بأنها من ذلك النبع الذي نبع منه كتاب موسى"[٢].

بعدها عبروا عما يجيش في قلوبهم من أحاسيس ومشاعر، فقالوا عن القرآن: ﴿يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلۡحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ (الأحقاف: ٣٠).. فهو يهدي إلى الحق في الاعتقاد والأخبار، وإلى طريق مستقيم في الأعمال، فإن القرآن مشتمل على شيئين: خبر وطلب، فخبره صدق، وطلبه عدل، كما قال تعالى: ﴿وَتَمَّتۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدۡقٗا وَعَدۡلٗاۚ﴾ (الأنعام: ١١٥)، وقال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ﴾ (التوبة: ٣٣)، فالهدى هو العلم النافع، ودين الحق هو العمل الصالح، وهكذا قالت الجن: يهدي إلى الحق في الاعتقادات، وإلى طريق مستقيم، أي في العمليات[٣].

أما الطريق المستقيم فهو ما بينه ابن عاشور في تفسيره: ما يسلك من الأعمال والمعاملة، وما يترتب على ذلك من الجزاء، شبه ذلك بالطريق المستقيم الذي لا يضل سالكه عن القصد من سيره، ويجوز أن يراد بالحق ما يشمل الاعتقاد والأعمال الصالحة، ويراد بالطريق المستقيم الدلائل الدالة على الحق وتزييف الباطل، فإنها كالصراط المستقيم في إبلاغ متبعها إلى معرفة الحق[٤].

ثم مضوا في نذارتهم لقومهم بأسلوب النداء للاهتمام بما بعد النداء، وهو أجيبوا داعي الله إلى آخره لأنه المقصود من توجيه الخطاب إلى قومهم وليس المقصود إعلام قومهم بما لقوا من عجيب الحوادث وإنما كان ذلك توطئة لهذا.

---

(١) مختصر طبقات المكلفين لابن القيم، عبدالله آل جار الله، ص: ٢٣.

(٢) في ظلال القرآن، سيد قطب، ٣٢٧٣/٦.

(٣) انظر: تفسير القرآن العظيم، إسماعيل ابن كثير، ٣٠٣/٧.

(٤) انظر: التحرير والتنوير، محمد ابن عاشور، ٢٦/ ٦٠.

بعدها واصل هؤلاء النفر من الجن دعوة قومهم بالجمع بين أسلوبي الترغيب والترهيب، مبينين لهم ثواب من يستجيب، وعقاب من يعرض، وهذا فيه بشارة لمن آمن بالرسول واستجاب لدعوته، وإنذار لمن كذب وعصى ﴿يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ (الأحقاف:٣١).

وأخيراً يعقب الله تعالى على ذلك بقوله عنهم: ﴿وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءُ أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ (الأحقاف:٣٢).

وهذا تهديد شديد لمن تخلف عن إجابة داعي الله منهم، فقال: الزحيلي في تفسيره: "من لا يجب رسول الله ﷺ إلى التوحيد وطاعة الله، فلا يفوت الله ولا يسبقه، ولا يفلت منه، ولا يقدر على الهرب منه، لأنه في أرض الله، وليس له من غير الله أنصار ينصرونه ويمنعونه من عذاب الله، أولئك الذين لا يجيبون داعي الله في خطأ ظاهر واضح"(١).

المطلب الثالث

إيمان الجن بالله ﷻ

قال تعالى: ﴿وَأَنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ كُنَّا طَرَائِقَ قِدَدًا ۞ وَأَنَّا ظَنَنَّا أَن لَّن نُّعْجِزَ اللَّهَ فِي الْأَرْضِ وَلَن نُّعْجِزَهُ هَرَبًا ۞ وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَىٰ آمَنَّا بِهِ ۖ فَمَن يُؤْمِن بِرَبِّهِ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا ۞ وَأَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ ۖ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَٰئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا ۞ وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾ (الجن:١١-١٥)

يتبين لنا من هذه الآيات صفات الجن وحالهم، وذلك بأن لهم طبيعة مزدوجة كطبيعة الإنسان في الاستعداد للهدى والضلال، وهل يتقبلون هذا الهدى الذي اهتدوا هم إليه، بعد استماعهم إلى آيات الله، التي تلاها عليهم رسول اللهﷺ، أم أنهم يرفضونه كما رفضه هؤلاء المشركون من قريش؟ إنهم يتساءلون هذه التساؤلات قبل أن يبرحوا مجلس النبي ﷺ.

فهناك من الآيات التي دلت على إيمانهم بالقرآن، وأخذهم عهداً على أنفسهم أن لا يشركوا بالله ﷻ، وذلك في قول الله تعالى عنهم: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ۞ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا﴾ (الجن:١-٢)، وقوله عنهم: ﴿وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَىٰ آمَنَّا بِهِ﴾ (الجن:١٣).

ففي إيمانهم بالقرآن، ووصفهم له بأنه يهدي إلى الرشد، وعدم إشراكهم بالله، دلالة على أنهم مكلفون، وكذلك مسارعتهم لاستماعه، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا﴾ (الجن:١٩)، أي: لما قام رسول الله ﷺ يدعو ربه ويقرأ القرآن، اجتمع الجن عليه متلبدين متراكمين، حرصاً على ما جاء به من الهدى(٢).

---

(١) التفسير المنير، وهبة الزحيلي، ٢٦/ ٦٤.

(٢) انظر: تفسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن السعدي، ٧/ ٤٩٤.

لأنهم استمعوا إلى الحق وإلى الطريق المستقيم فصدقوا به، ولن يعودوا إلى ما كانوا عليه من الإشراك بالله تعالى(١).

ولقد صور سيد قطب حال الجن وتأثرهم بالقرآن فقال: "فإن هذه الآيات تنبئ عن وهلة المفاجأة بهذا القرآن للجن مفاجأة أطارت تماسكهم، وزلزلت قلوبهم، وهزت مشاعرهم، وأطلقت في كيانهم دفعة عنيفة من التأثر امتلأ بها كيانهم كله وفاض، فانطلقوا إلى قومهم بنفوس محتشدة مملوءة فائضة بما لا تملك له دفعاً، وقبل أن تفيضه على الآخرين في هذا الأسلوب المتدفق، النابض بالحرارة ..... وتدفعه إلى نقل ما يحسه إلى نفوس الآخرين في حماسة واندفاع، وفي جد واحتفال"(٢).

ثم علق قائلاً: هذه صفة القرآن عند من يتلقاه بحس واع وقلب مفتوح، ومشاعر مرهفة...، هذه هي الصفة التي أحسها النفر من الجن، حين وجدوا حقيقتها في قلوبهم، فهداهم إلى الهدى والحق والصواب(٣).

وبذلك يتبين لنا أن الجن أنواع:

أولاً- الجن المسلم:

١) قوله تعالى: ﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ كُنَّا طَرَآئِقَ قِدَدًا﴾ (الجن:١١) .

الجن كالبشر، فهم كذلك أصحاب ملل ونحل متباينة، منهم الكاملون في الصلاح، ومنهم أقل صلاحاً، ومنهم البله المغفلون، ومنهم الكفرة، فهم على مذاهب مختلفة.

يقول سبحانه في حكايته عن الجن الذين استمعوا للقرآن﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ﴾، فهذا من قول الجن، قال بعضهم لبعض لما دعوا أصحابهم إلى الإيمان بمحمد ﷺ، بأنه لم يكن كل الجن كفارا بل كانوا مختلفين: منهم كفار، ومنهم مؤمنون صلحاء، ومنهم مؤمنون غير صلحاء(٤).

وبين د. محمد الحجازي: "بأنهم آمنوا أن منهم الصالحون في أنفسهم، الطيبون في المعاملات مع غيرهم، المائلون للخير بطبعهم، ومنا غير ذلك، وهم كثير"(٥).

---

(١) انظر: تفسير المراغي، أحمد المراغي، ٩٦/٢٩.
(٢) في ظلال القرآن، سيد قطب، ٦/ ٣٧٢٦.
(٣) المرجع السابق، ٣٧٢٧/٦، بتصرف.
(٤) الجامع لأحكام القرآن، محمد القرطبي، ١٩/ ١٥، بتصرف.
(٥) التفسير الواضح، محمد الحجازي، ٣/ ٧٦١.

وذكر بعض العلماء أن هذه المذاهب المختلفة في الجن إنما هي بعد مبعث الرسول ﷺ واستماعهم للقرآن منه، فقد عبروا عن حالتهم السابقة قبل استماع القرآن بلفظ الماضي فقالوا: ﴿كُنَّا طَرَآئِقَ قِدَدًا﴾، أي: جماعات متفرقين وأصنافاً مختلفة، والقدة: القطعة من الشيء، يقال: صار القوم قدداً إذا اختلفت حالاتهم، وأصلها من القد وهو القطع.

ونقل قول مجاهد: يعنون مسلمين وكافرين، وقال الحسن والسدي: الجن أمثالكم فمنهم قدرية ومرجئة ورافضة(١).

هذه صفة أحوال الجن، وما هم عليه من أحوالهم وعقائدهم، فقد قسمهم الزمخشري: "أخيار وأشرار، ومقتصدون، وأنهم يعتقدون أن الله ﷻ عزيز غالب لا يفوته مطلب، ولا ينجي عنه مهرب"(٢).

٢) قال تعالى: ﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا ٱلْقَـٰسِطُونَ ۖ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ تَحَرَّوْا۟ رَشَدًا﴾ (الجن:١٤)

فلما تفاعل الإيمان في عقولهم، وخالط بشاشة قلوبهم، دفعهم إلى: "الدقة في طلب الرشد والاهتداء، وتحري الصواب واختياره عن معرفة وقصد بعد تبين ووضوح، وليس هو خبط عشواء ولا انسياقا بغير إدراك"(٣).

"وأنا منا المسلمون ومنا الكافرون الجائرون عن طريق الحق، فمن أسلم منهم، فقد قصد الهدى بعمله، ثم أذعن وانقاد فكانت نتيجتهم بأنهم ترجوا وتوخوا رشداً عظيماً، وقصدوا صواباً واستقامة"(٤).

بعدها يصفون حال من سمع القرآن، فاستجاب له، وأدرك طبيعته، ثم تأثر بحقيقته، فها هم الجن مبهورين بالقرآن، متأثرين به أشد التأثر، لا يملكون من أنفسهم إلا أن يعلنوا لقومهم أنهم آمنوا به.

٣) قال تعالى: ﴿وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا ٱلْهُدَىٰٓ ءَامَنَّا بِهِۦ ۖ فَمَن يُؤْمِنۢ بِرَبِّهِۦ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا﴾ (الجن:١٣).

فكما ينبغي لكل من يسمع الهدى، أن يؤمنوا به، فهم سمعوا القرآن، فسمونه هدى كما هي حقيقته ونتيجته، ثم يقررون ثقتهم في ربهم، وهي ثقة المؤمن في مولاه(٥).

---

(١) معالم التنزيل في تفسير القرآن، الحسين البغوي، ٥/ ١٦١، بتصرف.
(٢) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، محمود الزمخشري، ٤/ ٦٢٧.
(٣) في ظلال القرآن، سيد قطب، ٦/ ٣٧٣٣.
(٤) محاسن التأويل، محمد القاسمي، ٩/ ٣٣٣، بتصرف.
(٥) انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب، ٦/ ٣٧٣٣.

إذن هي ثقة المطمئن إلى عدل الله، وإلى قدرته، ثم إلى طبيعة الإيمان وحقيقته، فالله ﷻ عادل، ولن يبخس المؤمن حقه، ولن يرهقه بما فوق طاقته، فالمؤمن إذن في أمان نفسي من البخس ومن الرهق، وهذا الأمان يولد الطمأنينة والراحة طوال فترة العافية، فلا يعيش في قلق وتوجس، وهذا ما دفعهم إلى الإيمان بالله لما سمعوا من القرآن من غير تلعثم وتردد(١) .

ولقد جاء عن قتادة أنه قال: "وأنا لما سمعنا القرآن الذي يهدى إلى الطريق المستقيم، صدقنا به وأقررنا بأنه من عند الله، ومن يصدق بالله وبما أنزله على رسله فلا يخاف نقصاً من حسناته، ولا ذنباً يحمل عليه من سيئات غيره(٢).

ثانياً- الجن القاسطون:

أولاً- تعريف القاسطون لغة واصطلاحاً:

١- القاسطون في اللغة:

"قسط فلَان قسطاً: عدل، وقسطاً وقسوطاً: جَار وَعدل عَن الْحق، فَهُوَ قاسط، والجمع: قساط وقاسطون"(٣)، "وقاسط غير مقسط: جائر غير عادل"(٤)، "والقسط: الجور، والقسوط: الجور والعدول عن الحق، وفي التنزيل العزيز: ﴿وَأَمَّا ٱلْقَـٰسِطُونَ فَكَانُوا۟ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾ (الجن: ١٥)؛ قال الفراء: هم الجائرون الكفار"(٥).

٢- القاسطون في الاصطلاح:

القاسطون: "هم الجائرون المجانبون للعدل والصلاح"(٦).

أما الخطيب قال في القاسطون : "الظالمون، المنحرفون عن طريق الحق والهدى.."(٧).

يقول الشيخ عبد العزيز بن باز: القاسطون: "الظالمين الجائرين المعتدين لحدود الله وهم الذين توعدهم الله بأن يكونوا حطبًا لجهنم"(٨).

---

(١) انظر: التفسير الواضح، محمد الحجازي، ٣/ ٧٦١.
(٢) تفسير المراغي، احمد المراغي، ٢٩/ ١٠٠.
(٣) المعجم الوسيط، أحمد الزيات وآخرين، ٢/ ٧٣٤.
(٤) أساس البلاغة، محمود الزمخشري، ٢/ ٧٦.
(٥) لسان العرب، جمال الدين بن منظور، ٧/ ٣٧٨.
(٦) في ظلال القرآن، سيد قطب، ٣٧٣٣/٦.
(٧) التفسير القرآني للقرآن، عبد الكريم الخطيب،١٥/ ١٢٢٨.
(٨) الموقع الرسمي د. عبد العزيز بن باز، شرح معنى القاسطين والمقسطين في القرآن الكريم.

القاسطون: "الجَائرون الظالمون الذين حادوا عنْ طريق الحقّ"[١].

ثانياً- القاسطون في الآيات القرآنية:

ورد ذكر القاسطون في السياق القرآني مرتين، سيأتي ذكرهم في الآية التالية[٢].

١) قال تعالى:﴿ وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا ٱلْقَـٰسِطُونَ ۖ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ تَحَرَّوْا۟ رَشَدًا ۞ وَأَمَّا ٱلْقَـٰسِطُونَ فَكَانُوا۟ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴾ (الجن: ١٤ – ١٥).

جعل سيد قطب هذا النفر من الجن فريقاً يقابل المسلمين، وقال: "بأنه في هذا إيماءة لطيفة بليغة المدلول، فالمسلم عادل مصلح، يقابله القاسط: الجائر المفسد"[٣].

ثم ذم الجنّ الكافرين منهم بأنهم القاسطون وسيكونون حطباً لجهنم .

"وقد زعم من لا يرى للجن ثواباً، أن الله تعالى أوعد قاسطيهم، وما وعد مسلميهم، وكفى به وعداً أن قال: فأولئك تحروا رشدا، فذكر سبب الثواب وموجبه، والله أعدل من أن يعاقب القاسط، ولا يثيب الراشد"[٤].

(١) التفسير الميسر، مجمع الملك فهد، ص:٥٧٣.

(٢) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد عبد الباقي، ص: ٥٤٤.

(٣) في ظلال القرآن، سيد قطب، ٣٧٣٣/٦.

(٤) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، محمود الزمخشري، ٤/ ٦٢٨

المبحث الرابع
تأثير القرآن على الملائكة

ويشتمل على ثلاثة مطالب :

المطلب الأول: دنو الملائكة لسماع القرآن.

المطلب الثاني: شهود الملائكة لقرآن الفجر.

المطلب الثالث: شهودهم حلق الذكر، وحفهم أهلها بأجنحتهم.

المطلب الأول
دنو الملائكة لسماع القرآن

أولاً- تعريف الملائكة لغة واصطلاحاً:

١- تعريف الملائكة لغة:

الملائكة لغة: جمع مَلاَك ومألك ومَلك، قال ابن فارس: "الميم واللام والكاف أصل صحيح يدل على قوة في الشيء وصحة"(١).

"والملك أصله (ملاك) نقلت حركة الهمزة فيه إلى الساكن قبله، ثم حذفت الألف تخفيفاً فصارت ملكاً، وهو مشتق من الألوكة والملأكة وهي: الرسالة، والملأك: الملك؛ لأنه يبلغ عن الله تعالى، يقال: ألك؛ أي تحمل الرسالة، وقال الخليل: الألوك الرسالة"(٢).

"وإنما سميت الرسالة ألوكة ومألكة لأنها تؤلك في الفم، من قولهم: يألك اللجام ويعلكه"(٣).

قال الطبري: "سميت الملائكة ملائكة بالرسالة؛ لأنها رسل الله بينه وبين أنبيائه ومن أرسلت إليه من عباده"(٤).

٢- -تعريف الملائكة اصطلاحاً:

الملائكة: عالم غير عالم الإنس وعالم الجن، وهو عالم كريم، كله طهر وصفاء ونقاء، وهم كرام أتقياء، فهم خلق من خلق الله تعالى، خلقهم الله عز وجل من نور، مربوبون مسخرون، عباد مكرمون، لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، لا يوصوفون بالذكورة ولا بالأنوثة، لا يأكلون ولا يشربون، ولا يملون ولا يتعبون ولا يتناكحون ولا يعلم عددهم إلا الله(٥).

ثانياً- الملائكة في الآيات القرآنية:

وردت كلمة (ملائكة) في القرآن الكريم في أكثر من ٦٨مرة(٦)، وإليكم بعضها:

---

(١) مقاييس اللغة، أحمد بن فارس، ٥/ ٣٥١.

(٢) مقاييس اللغة، أحمد بن فارس، ١٣٢/١،مادة ألك. القاموس المحيط، مجد الدين الفيروز أبادي، ٤٣٢/٣، مادة ملك. المصباح المنير، أحمد الفيومي، ٢٣/١.

(٣) تاج العروس، محمد الحسيني، ٢٧/ ٤٨. لسان العرب، جمال الدين بن منظور، ١٠/ ٣٩٢. شمس العلوم، نشوان الحميري، ١/ ٣١٠.

(٤) جامع البيان في تأويل القرآن، محمد الطبري، ٢٦١/١.

(٥) انظر: الإيمان، محمد ياسين، ص:٣٢، عالم الملائكة الأبرار، عمر الأشقر، ص: ١٣.

(٦) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد عبد الباقي، ص: ٦٧٥- ٦٧٦.

١) قال تعالى: ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ (البقرة: ٣١).

٢) قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا ۚ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴾ (النساء: ٩٧).

٣) قال تعالى: ﴿ مَا نُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَمَا كَانُوٓا۟ إِذًا مُّنظَرِينَ ﴾ (الحجر: ٨).

٤) قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ ۙ يَقُولُونَ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمُ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (النحل: ٣٢).

٥) قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴾ (فصلت: ٣٠).

ثالثاً- تأثر الملائكة بكتاب الله:

فالملائكة الكرام يحبون استماع القرآن الكريم، وتحف مجالسه، وتتنزل لاستماعه والإنصات إليه، فتأملوا كيف انبهرت الملائكة الكرام بسكينة القرآن، فصارت تتهادى من السماء، مقتربةً إلى الأرض، حين سمعت أحد قراء الصحابة يتغنى بالقرآن في جوف الليل، وقد وردت أدلة صحيحة لبيان هذا الأمر ونحن نعرف أن السنة النبوية شارحة للقرآن الكريم ومكملة له، ومن الأدلة الواردة في ذلك:

قال تعالى: ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ﴾ (البقرة: ٢١٠)

قال البقاعيّ: "تجلي الملائكة في ظلل من الغمام هو أمر مألوف"[١].

رابعاً- حضور الملائكة لمجالس الذكر تحبباً:

ومن الأحاديث التي ذكرت في ذلك ما يلي:

عن أسيد بن حضير قال: "**بينما هو يقرأ من الليل سورة البقرة، وفرسه مربوط عنده إذ جالت الفرس، فسكت فسكتت، فقرأ فجالت الفرس، فسكت وسكتت الفرس، ثم قرأ فجالت الفرس، فانصرف، وكان ابنه يحيى قريبا منها، فأشفق أن تصيبه، فلما اجترّه رفع رأسه إلى السماء حتى ما يراها، فلما أصبح حدّث النبيّ ﷺ، فقال: اقرأ يا ابن حضير، اقرأ يا ابن حضير، قال: فأشفقت**

(١) محاسن التأويل، محمد القاسمي، ٢/ ٩١.

يا رسول الله أن تطأ يحيى وكان منها قريباً، فرفعت رأسي فانصرفت إليه، فرفعت رأسي إلى السماء فإذا مثل الظلة فيها أمثال المصابيح، فخرجت حتى لا أراها، قال: وتدري ما ذاك؟ قال: لا، قال: تلك الملائكة دنت لصوتك، ولو قرأت لأصبحت ينظر الناس إليها، لا تتوارى منهم"[١].

وعن **البراء** ﷺ قال: **كان رجل يقرأ سورة الكهف وإلى جانبه حصان مربوط بشطنين، فتغشته سحابة فجعلت تدنو وتدنو، وجعل فرسه ينفر، فلما أصبح أتى النبيّ ﷺ، فذكر ذلك له، فقال: تلك السكينة تنزلت بالقرآن!**[٢].

وجاء في معني الحديث أنه: " كان ينبغي لك أن تستمر على قراءتك، وتغتنم ما حصل لك من نزول السكينة والملائكة وتستكثر من القراءة، التي هي سبب بقائها"[٣].

" والسحابة كانت فيها الملائكة ومعها السكينة، فإنها تنزل أبدًا مع الملائكة في الظلة أمثال المصابيح" [٤].

قال ابن حجر رحمه الله: "استمراره على القراءة هو استمرار لنزول البركة بنزول الملائكة، واستماعها لقراءته، وقد أشار بقوله: " لا تتوارى منه " إلى أن الملائكة لاستغراقهم في الاستماع كانوا يستمرون على عدم الاختفاء الذي هو من شأنهم، وفيه منقبة لأسيد بن حضير، وفضل قراءة سورة البقرة في صلاة الليل، وفضل الخشوع في الصلاة، وأن التشاغل بشيء من أمور الدنيا ولو كان من المباح، قد يفوت الخير الكثير فكيف لو كان بغير الأمر المباح"[٥]

خامساً- تنزل الملائكة عليك لتستمع اليك وانت تقرأ القرآن:

تجلس الملائكة أمامك حتى مد البصر، ليس هذا فقط بل وتحفك بأجنحتها، وتمنع أى شيطان أو أي أذى يقترب منك، فهذا مصداقا لقول النبى ﷺ: "**إن لله ملائكة يطوفون في الطرق يلتمسون أهل الذكر، فإذا وجدوا قوما يذكرون الله تنادوا: هلموا إلى حاجتكم " قال: فيحفونهم بأجنحتهم إلى السماء الدنيا** "[٦].

وتنزل الملائكة بالسكينة على من يتلون كتاب الله، وتغشاهم الرحمة من الله تعالى على الحاضرين، وتحف الملائكة الجالسين، ويذكرهم الله فيمن عنده من أهل السماء، وهذا مصداقاً

---

(١) صحيح البخاري كتاب: فضائل القرآن، باب: نزول السكينة والملائكة عند قراءة القرآن، ح(٥٠١٨)، ٤٦٦/٧.
(٢) صحيح البخاريّ، كتاب: فضائل القرآن، باب فضل سورة الكهف، ح(٥٠١١)، ٤٦٢/٧.
(٣) إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، أحمد القسطلاني، ٧/ ٤٦٦.
(٤) المرجع السابق.
(٥) فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد ابن حجر، ٦٤/٩.
(٦) صحيح البخاري، كتاب: الدعوات، باب: فضل ذكر الله تعالى، ح(٦٤٠٨)، ٨/ ٨٧.

لحديث رسول الله ﷺ حيث قال: "**وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله، يتلون كتاب الله، ويتدارسونه بينهم، إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده**"(١) .

المطلب الثاني
شهود الملائكة لقرآن الفجر

أولاً- الشهود في القرآن الكريم:

قال تعالى : ﴿ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ ۖ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴾ (الإسراء:٧٨) .

في هذه الآية يأمر الله تعالى رسوله بإقام الصلاة فإنها مأمن الخائفين، ومنار السالكين، ومعراج الأرواح إلى ساحة الأفراح فيقول ﷻ ﴿ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ ﴾

"فالآية جامعة للصلوات الخمس، وإن كان الغروب فقد خرجت منها الظهر والعصر، والغسق: الظلمة، وهو وقت صلاة العشاء"(٢).

وبين سيد قطب أن القيام من وقت الغروب إلى وقت السحر، حيث قال: "أقم الصلاة ما بين ميل الشمس للغروب وإقبال الليل وظلامه"(٣).

ولكن الله سبحانه فضل الأوقات بعضها على بعض، واختار من العبادات كذلك، ففي هذه الآية يؤكد ﷻ أفضلية صلاة الصبح حين قال:﴿ وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ ۖ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴾

١- ويؤكد هذا المعنى ما جاء في كتب التفسير:

المقصود بقرآن الفجر: "صلاة الفجر، حيث استدل العلماء بهذا على وجوب القراءة في الصلاة حيث سمى الصلاة قرآناً، كان مشهوداً تشهده ملائكة الليل وملائكة النهار، ومعنى تشهده: تحضره"(٤).

"أما عن وقت الفجر ولا شك وقت مبارك، تتفتح فيه النفس لتقبل الخير، وتشرق فيه بنور الحق، كما يشرق وجه النهار، ويسفر، حين يطلع الفجر"(٥)..

---

(١) صحيح مسلم، كتاب: الذكر والدعاء، باب: فضل الإجتماع على تلاوة القرآن، ح(٢٦٩٩)، ٤/ ٢٠٧٤.
(٢) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، محمود الزمخشري، ٢/ ٦٨٦.
(٣) في ظلال القرآن، سيد قطب، ٤/ ٢٢٤٦.
(٤) تفسير القرآن، منصور السمعاني، ٣/ ٢٦٨، تفسير البغوي، الحسين البغوي، ٥/١١٤.
(٥) التفسير القرآني للقرآن، عبد الكريم الخطيب، ١٥/ ١٢٥٣.

"وتأتي أهمية صلاة الفجر، وفضيلة إطالة القرآن فيها، وأن القراءة فيها ركن، لأن العبادة إذا سميت ببعض أجزائها دل ذلك على فضيلته وركنيته، وقد عبر الله عن الصلاة بالقراءة وبالركوع وبالسجود وبالقيام، وهذه كلها أركانها المهمة"(١).

"وفي صلاة الصبح تجتمع كلاً من ملائكة الليل وملائكة النهار، وتوسط الصلاة هنا ظاهر بالمعنى الحقيقي، لأن وقتها بين الليل والنهار، فالظهر والعصر نهاريتان، والمغرب والعشاء ليليتان، والصبح وقت متردد بين الوقتين، حتى إن الشرع عامل نافلته معاملة نوافل النهار فشرع فيها الإسرار، وفريضته معاملة فرائض الليل فشرع فيها الجهر، فهي أجدر الصلوات بالمحافظة عليها، لأنها الصلاة التي تكثر المثبطات عنها"(٢).

٢- ما جاء في السنة النبوية:

عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: "**يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار، ويجتمعون في صلاة الصبح، وفي صلاة العصر، فيعرج الذين باتوا فيكم، فيسألهم ربهم- وهو أعلم بهم- كيف تركتم عبادي؟ فيقولون: أتيناهم وهم يصلون، وتركناهم وهم يصلون**"(٣).

فهؤلاء هم الملائكة الذين ينزلون في الأرض ليحضروا أماكن العبادة، ويجتمعون في صلاة الفجر، وصلاة العصر، فيصعد الذين باتوا فيكم يعني أن ملائكة الليل يصعدون إذا نزل ملائكة النهار في صلاة الصبح فيسألهم ربهم، فيقولون: أتيناهم وهم يُصَلُّون، وتركناهم وهم يصلون أي: جاءوا وقت صلاة العصر، وصعدوا وقت صلاة الفجر، فهذا هو شهودهم للصلوات .

المطلب الثالث
شهودهم حلق الذكر، وحفهم أهلها بأجنحتهم

تتضمن حلق الذكر تلاوة للقرآن الكريم وتفسيره، ودراسة للسنة النبوية، وتسبيح وتهليل وحمد وكل ما يتعلق بالعلم الشرعي وغيره، مما له تأثيره الواضح على الملائكة والمؤمنين.

فخير الصحبة صحبة الصالحين، وأزكى المجالس مجالس الذكر، تحضرها الملائكة، ويغفر لجليسها وهذا من بركتهم على نفوسهم وعلى جليسهم.

---

(١) تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن، عبد الرحمن بن حمد، ١/ ٧١.
(٢) التحرير والتنوير، محمد بن عاشور، ٢/ ٤٦٨، بتصرف.
(٣) صحيح البخاري، كتاب: مواقيت الصلاة، باب: فضل صلاة العصر، ح(٥٥٥)، ١/ ١١٦.

١) عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: "**إن لله ملائكة يطوفون في الطرق، يلتمسون أهل الذكر، فإذا وجدوا قوما يذكرون الله تنادوا: هلموا إلى حاجتكم** " **قال: "فيحفونهم بأجنحتهم إلى السماء الدنيا**"(١).

فالملائكة تحف بمن يطلب العلم إكراماً لهم، وتدعو لهم، وتحرسهم، فإذا حفتهم الملائكة استفادوا منها كرامتين: أنهم في ذلك المجلس لا يعصون الله ما أمرهم، ويفعلون ما يؤمرون.

وهذان مقصد الحياة: امتثال أمر الله .. وعدم معصية الله، فالأعمال الصالحة تقرب الملائكة منا وتقربنا منهم.

فقراءة القرآن أفضل من كل ذكر، ومن جملة الأذكار الأدعية والاستغفار، وفي هذا الحديث دلالة على أن للإجتماع على الذكر مزية ومرتبة، وهي بتنادي الملائكة بعضها بعضاً قائلين: "تعالوا مسرعين إلى حاجتكم : من استماع الذكر وزيارة الذاكر وإطاعة المذكور"، فيحفون الذاكرين ثم يحف بعضهم بعضاً، ويتوجهون إلى السماء الدنيا، أي: يقف بعضهم فوق بعض إلى السماء الدنيا(٢).

٢) وعن أبي الدرداء ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: " **من سلك طريقا يطلب فيه علما سلك الله به طريقا من طرق الجنة، وإن الملائكة لتضع أجنحتها رضا لطالب العلم** "(٣).

يراد بهم ملائكة الرحمة ونحوهم من الساعين في مصالح بني آدم، فهي تكف أجنحتها عن الطيران وتنزل لسماع العلم، وتيسير السعي في طلب العلم إذ هو أشرف الذكر(٤).

٣) وفي الحديث:" ... **وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله، يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا حفتهم الملائكة ونزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وذكرهم الله فيمن عنده**"(٥).

"والشاهد من الحديث قوله: " في بيت من بيوت الله"، وذلك لأن الغالب في حلقات القرآن وفي دروس العلم أن تكون في بيوت الله، ومن أولى أولويات الدروس العلمية: حلقات تحفيظ القرآن الكريم للناشئة؛ فما زالت مساجد المسلمين عامرة منذ القديم بمثل تلك الحلقات التي يتخرج فيها حفظة كتاب الله، وهذا شامل لجميع ما يبنى لله تقرباً إليه من المساجد والمدارس.

---

(١) صحيح البخاري، كتاب: الدعوات، باب: فضل الذكر، ح(٦٤٠٨)، ٨/ ٨٦.

(٢) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، علي الملا، (٤/ ١٥٤٦)

(٣) سنن أبو داود، كتاب العلم، باب: الحث على طلب العلم، ح(٣٦٤١)، ٣/٣١٧، قال الألباني: صحيح.

(٤) انظر: دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، محمد الشافعي، ٧/ ١٨٠.

(٥) صحيح مسلم، كتاب: الذكر والدعاء، باب: فضل الإجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر، (ح:٢٦٩٩)، ٤/ ٢٠٧٤.

وقولـه (يتدارسـونه) قيـل: شـامل لجميـع مـا يتعلـق بـالقرآن مـن الـتعلم والتعلـيم، والتفسـير والاستكشاف عن دقائق معانيه.

(إلا حفتهم الملائكة) أي: طافوا بهم وأداروا حولهم تعظيماً لصنيعهم، والسكينة: هي ما يحصل به صفاء القلب بنور القرآن وذهاب ظلمته النفسانية فهي تغطيهم وتسترهم في الملأ الأعلى الطبقة الأولى من الملائكة، وذكرهم هو مباهاة لهم"[١].

(١) حاشية السندي على سنن ابن ماجه، نورالدين السندي، ١/ ٩٩.

الفصل الثاني

تأثر غير المؤمنين بالقرآن

ويتكون من مبحثين:

المبحث الأول : تأثر غير المؤمنين الإيجابي لسماعهم القرآن

المبحث الثاني: تأثر غير المؤمنين السلبي لسماعهم القرآن

المبحث الأول

تأثر غير المؤمنين الإيجابي لسماعهم القرآن

ويشتمل على ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : تأثر الكفار الإيجابي.

المطلب الثاني : تأثر أهل الكتاب الإيجابي.

المطلب الثالث : تأثر المنافقين الإيجابي.

المطلب الأول
تأثر الكفار الإيجابي

أولاً- قوة تأثيره ونفوذه في نفوسهم:

قال تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَسۡمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ وَٱلۡغَوۡاْ فِيهِ لَعَلَّكُمۡ تَغۡلِبُونَ ﴾ (فصلت:٢٦).

"لقد كانت قريش على ثقة من أن الذي يسمع القرآن يهتدي به، لذلك أوصى بعضهم بعضاً ألا يسمعوا القرآن، وإن سمعوه فعليهم أن يحرفوا فيه، أو أن يصنعوا ضجيجاً يحول بين السامع للقرآن وتدبره، فقد قال أبو جهل: إذا قرأ محمد، فصيحوا في وجهه حتى لا يدري ما يقول"(١).

"فهم يشهدون أن للقرآن أثراً في الفطرة الطبيعية للإنسان، وواثقون من أن القرآن يقهرهم بالحجة ويفحمهم بالبينات، وأنهم لو استمعوا إليه لوجدوا فيه حلاوة وطلاوة تستل من قلوبهم الجحود والنكران، ومع ذلك ظل الكافرون على عنادهم بالرغم من عشقهم للأسلوب والبيان والأداء"(٢).

ويظهر أثر القرآن ونفوذه في نفوس الكفار من خلال طلبهم التوقف عن قراءة القرآن، خوفاً أن يصابوا من التهديد والوعيد الذي سمعوه، وخير شاهد على ذلك ما حدث مع عتبة عندما سمع رسول الله ﷺ يتلو من أول سورة فصلت إلى أن بلغ قوله تعالى:﴿ فَإِنۡ أَعۡرَضُواْ فَقُلۡ أَنذَرۡتُكُمۡ صَٰعِقَةً مِّثۡلَ صَٰعِقَةِ عَادٖ وَثَمُودَ ﴾ (فصلت:١٣)، فوثب عتبة ووضع يده على فم النبي ﷺ، وناشده الله والرحم ليسكتن(٣).

فهم يظنوا أنهم بهذا العبث الصبيانى يسدون منافذ الضوء من تلك الشمس الساطعة إذا هم مدّوا أيديهم إليها، وحجبوها عن عيونهم..!

ثانياً- سجودهم عند سماع القرآن:

كان رسول الله ﷺ يقرأ سورة النجم عند الكعبة، وكان يستمع لقراءته العديد من المشركين، فسكتوا وأنصتوا، وتأثروا لدرجة أنه عندما بلغ نهاية السورة، وسجد عند قوله تعالى: ﴿ فَٱسۡجُدُواْ لِلَّهِ وَٱعۡبُدُواْ ﴾ (النجم:٦٢)، لم يتمالك جميع المستمعين السيطرة على أنفسهم وخروا ساجدين(٤).

---

(١) التفسير المنير، وهبة الزحيلي، ٢٤/ ٢١٨.

(٢) انظر: تفسير الشعراوي، محمد الشعراوي، ٦/ ٣٥٧٢.

(٣) انظر: الجامع لأحكام القرآن، محمد القرطبي، ١٥/ ٣٣٩.

(٤) انظر: تحقيق الوصال بين القلب والقرآن، مجدي الهلالي، ٢٧/١.

سجدوا تحت هذه المطارق الهائلة التي وقعت على قلوبهم والرسول يتلو هذه السورة عليهم، وفيهم المسلمون والمشركون، ويسجد فيسجد الجميع.

فعن ابن عباس قال: "**سجد النبي ﷺ بالنجم، وسجد معه المسلمون والمشركون والجن والإنس**"(١). **وعن جعفر بن المطلب، عن أبيه قال: " قرأ رسول الله ﷺ بمكة سورة النجم، فسجد وسجد من عنده، فرفعت رأسي وأبيت أن أسجد، ولم يكن أسلم يومئذ المطلب، فكان بعد ذلك لا يسمع أحداً يقرؤها إلا سجد معه**"(٢).

نعم سجدوا وهم مشركون .. وهم يمارون في الوحي والقرآن .. وهم يجادلون في الله والرسول! ويصف سيد قطب حالهم بأنهم لا يملكون أن يقاوموا وقع هذا القرآن؛ ولا أن يتماسكوا لهذا السلطان .. بعد فترة يفيقوا فإذا هم في ذهول من سجودهم كذهولهم وهم يسجدون(٣).

وهؤلاء عند سماعهم لآيات القرآن يمكن أن تصادف قلوبهم لحظة الاستجابة التي لا يملكون أنفسهم إزاءها، وأن يؤخذوا بسلطان هذا القرآن فيسجدوا مع الساجدين، لكن العناد المصطنع هو الذي يحول بينهم وبين الإذعان...

ومن الأقوال الحسنة التي قيلت في سبب سجود المشركين ما قاله الشيخ ولي الله الدهلوي: "إن المشركين إنما سجدوا لغلبة جلاله وجبروته، فاضطروا إلى السجود ولم يبق اختيارهم في أيديهم، وكيف يستبعد ذلك، وقد قال الله تعالى: ﴿كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوْاْ فِيهِ﴾ (البقرة:٢٠) وقال: ﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ (النمل:١٤)"(٤).

ثالثاً- رقيتهم بالقرآن:

القرآن فيه شفاء للأرواح والأبدان، للأفراد والمجتمع، آيات يشتفى بها من الأدواء والآلام، ورد تعيينها في الأخبار الصحيحة.

عن أبي سعيد الخدري، قال:" كنا في مسير لنا فنزلنا، فجاءت جارية، فقالت: إن سيد الحي سليم، وإن نفرنا غيب، فهل منكم راق؟ فقام معها رجل ما كنا نأبنه برقية، فرقاه فبرأ، فأمر له بثلاثين شاة، وسقانا لبناً، فلما رجع قلنا له: أكنت تحسن رقية أو كنت ترقي؟ قال: لا، ما رقيت إلا بأم

---

(١) صحيح البخاري، كتاب: تفسير القرآن، باب: ﴿فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا﴾ [النجم: ٦٢]، ح(٤٨٦٢) ، ١٤٢/٦.

(٢) مسند أحمد، حديث المطلب بن أبي وداعة، ح(١٥٤٦٥) ، ٢٠٨/٢٤، وسنن النسائي، كتاب: الإفتتاح، باب: السجود في والنجم، ح(٩٥٨) ،١٦٠/٢، قال الألباني: حسن الإسناد.

(٣) في ظلال القرآن، ٦/ ٣٤٢٢، بتصرف.

(٤) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، عبيد الله المباركفوري، ٣/ ٤٣٢.

الكتاب، قلنا: لا تحدثوا شيئاً حتى نأتي – أو نسأل – النبي ﷺ، فلما قدمنا المدينة ذكرناه للنبي ﷺ فقال: "وما كان يدريه أنها رقية؟ اقسموا واضربوا لي بسهم"(١).

وتحدث باهمام خلال حديثه عن عيادة المريض الكافر ورقيته: " أن الحي كانوا من الكفار لإمتناعهم عن إطعام صحابة رسول الله ﷺ مع شدة حاجتهم"(٢).

وقد تضمن هذا الحديث حصول شفاء هذا اللديغ بقراءة الفاتحة عليه فأغنته عن الدواء حيث قال ابن قيم الجوزية:" ربما بلغت من شفائه مالم يبلغه الدواء هذا، مع كون المحل غير قابل، إما لكون هؤلاء الحي غير مسلمين، أو أهل بخل ولؤم، فكيف إذا كان المحل قابلا"(٣).

"فالمؤمن أشد انتفاعاً بالقرآن في علاج الأمراض الحسية، لكن ثبت ما يدل على انتفاع الكفار بالقرآن في الأمراض الحسية كما في حديث أبي سعيد"(٤).

ولا شك أن المؤمن هو من ينتفع ويزيد إيمانه ويشفى صدره بسماع القرآن وتلاوته، وأن الكافر ليس له من ذلك شيء إلا إن اتبع ما فيه قال تعالى:﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۙ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴾ (الإسراء:٨٢).

اختلف العلماء" في كونه شفاء على قولين: **أحدهما:** أنه شفاء للقلوب بزوال الجهل عنها وإزالة الريب، ولكشف غطاء القلب من مرض الجهل لفهم المعجزات والأمور الدالة على الله تعالى. **الثاني:** شفاء من الأمراض الظاهرة بالرقى والتعوذ ونحوه"(٥).

"ويحمل قول الله ﷻ عن القرآن ﴿وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴾ (الإسراء: ٨٢)، على أحد معنيين: إما يزيدهم خساراً لتكذيبهم وكفرهم به، أو يزيدهم خساراً لزيادة ما يرد فيه من عذابهم"...(٦).

رابعاً– شهادتهم بحلاوة قوله وخضوعهم لجلاله وعظمته:

كان العرب هم أرباب الفصاحة والبلاغة، وفرسان البيان، فجاءت معجزة النبيﷺ القرآن الكريم، وكان العربي تستهويه الكلمة الفصيحة، ويكاد يخر ساجداً للكلام البليغ، ويجد فيه حلاوة ليس بعدها حلاوة؛ لأن فيها إشباعاً لغريزته، وإرضاء لفطرته، وتنمية لمواهبه.

---

(١) صحيح البخاري، كتاب: فضائل القرآن، باب: فضل فاتحة الكتاب، ح(٥٠٠٧) ، ١٨٧/٦.
(٢) عيادة المريض الكافر ورقيته والدعاء له، فهد باهمام، موقع الدليل الفقهي.
(٣) مدارج السالكين، محمد بن القيم، ٧٩/١.
(٤) محاسن التأويل، محمد القاسمي، ١/ ٢٤٠.
(٥) الجامع لأحكام القرآن، محمد القرطبي، ١٠/ ٣١٦.
(٦) محاسن التأويل، محمد القاسمي، ١/ ٢٤٠.

فإذا كان هذا تأثير القرآن في مشرك عنيد استشعر هذه الطلاوة وتلك الحلاوة، فكيف بمسلم عَمُرَ قلبه بالإيمان، وأشرقت نفسه بنور القرآن.

ولنا أن نتأمل انبهار صناديد المشركين بسكينة القرآن وهيبته، نذكر منهم:

١) انبهار جبير بن مطعم:

ففي البخاري أن جبير بن مطعم أتى النبي ﷺ يريد أن يفاوضه في أسارى بدر، فلما وصل إلى النبيﷺ وإذا بالمسلمين في صلاة المغرب، وكان النبي إمامهم، فسمع جبير قراءة النبي، ووصف كيف خلبت أحاسيسه سكينة القرآن، كما يقول جبير بن مطعم: **سمعت النبي ﷺ يقرأ في المغرب بالطور، فلما بلغ هذه الآية ﴿ أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ۞ أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴾** (الطور : ٣٥ – ٣٦) **كاد قلبي أن يطير**[١].

وفي رواية: "وذلك أول ما وقر الإيمان في قلبي"[٢].

بهذه العبارة يصور جبير أحاسيسه حين سمع قوارع سورة الطور، "سمعها وهو مشرك، وفي لحظة عداوة تستعر إثر إعياء القتال، وقد جاء يريد تسليمه أسرى الحرب، ففي خضم هذه الحالة يبعد أن يتأثر المرء بكلام خصمه، لكن سكينة القرآن هزّته حتى كاد قلبه أن يطير.. فكانت سبباً في إسلامه، فلو فتح القوم قلوبهم للقرآن لأنارها وأسلموا في أقصر مدة"[٣].

٢) انبهار الوليد بن المغيرة:

قال تعالى: ﴿إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ۞ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ۞ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ۞ ثُمَّ نَظَرَ ۞ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ۞ ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ ۞ فَقَالَ إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ۞ إِنْ هَٰذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ﴾ (المدثر: ١٨–٢٥) .

وذكر الطبري في سياق هذه الآيات أن: "الوليد قال لزعماء قريش: سأختبر لكم الليلة هذا الرجل، فأتى النبي ﷺ فوجده قائماً يصلي ويقرأ القرآن، فعاد فسألوه، فقال: سمعت قولاً حلواً أخضر مثمراً يأخذ بالقلوب، فقالوا: هو شعر؟ فقال: لا والله ما هو بالشعر وليس أحد أعلم بالشعر مني، قالوا: فهو كاهن؟ فقال: لا والله ما هو بكاهن فقد عرضت الكهانة عليّ، قالوا: فهو سحر الأولين اكتتبه؟ فقال: لا أدري إن كان شيئاً فهو إذا سحر يؤثر"[٤].

---

(١) صحيح البخاري، كتاب: تفسير القرآن، باب قوله﴿ **اصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ** ﴾(ق: ٣٩) ، ح(٤٨٥٤) ، ١٤٠/٦.

(٢) صحيح البخاري، كتاب: المغازي، باب: شهود الملائكة بدراً، ح(٤٠٢٣) ،٨٦/٥.

(٣) أيسر التفاسير، أبو بكر الجزائري، ١٨٣/٥، بتصرف.

(٤) جامع البيان في تأويل القرآن، محمد الطبري، ٢٤/ ٢٥.

ولقد جاء أن الوليد بن المغيرة قال: إنْ هذا القرآن إلا سحر يأثره محمد عن غيره فأخذه عمن تقدمه، ويحتمل أن النفوس تؤثر لحلاوته فيها كالسحر"[١].

ولما نزل: ﴿حمٓ ۞ تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿إِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ ﴾ (غافر: ١-٢)، وسمع الوليد النبي ﷺ يتلوها، فكر في شأن النبي والقرآن، وهيأ الكلام في نفسه، فلما عاد إلى قومه قال: والله لقد سمعت منه كلاماً ما هو من كلام الإنس ولا من كلام الجن، وإن له لحلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإن أعلاه لمثمر، وإن أسفله لمغدق، وإنه ليعلو ولا يعلى عليه، وما يقول هذا بشر[٢].

هذا هو سحر القرآن، وتأثيره على النفوس، ولكن الجحود وقساوة القلب، والتأثر بعادات الجاهلية، حالت دون إعلان الوليد اسلامه بين يدي الرسول ﷺ.

٣) انبهار عتبة بن ربيعة:

ذهب عتبة بن ربيعة إلى رسول الله ﷺ ليبين له أمر مخالفته لقومه، وليحتج عليه فيما بينه وبينه وليبعد ما جاء به، فلما تكلم عتبة، قرأ رسول الله ﷺ:﴿حمٓ ﴾، ومر في صدر هذه السورة حتى انتهى إلى قوله:﴿ فَإِنۡ أَعۡرَضُواْ فَقُلۡ أَنذَرۡتُكُمۡ صَٰعِقَةٗ مِّثۡلَ صَٰعِقَةِ عَادٖ وَثَمُودَ ﴾ (فصلت: ١٣)، فأرعد الشيخ، وقفّ شعره، وأمسك على فم رسول الله ﷺ بيده وناشده بالرحم أن يمسك، وقال حين فارقه: والله لقد سمعت شيئاً ما هو بالشعر ولا بالسحر ولا بالكهانة، ولقد ظننت أن صاعقة العذاب على رأسي[٣].

وفي رواية أخرى ذكرها السيوطي: "والله إني قد سمعت قولاً ما سمعت بمثله قط والله ما هو بالشعر ولا بالسحر ولا بالكهانة والله ليكونن لقوله الذي سمعت نبأ"[٤].

خامساً- استراق السمع:

إن مشركي العرب كانوا لا يشكون في صدق نبوة محمدﷺ، لأنه عرف عندهم بالصدق والأمانة، ولم يعلموا عنه كذبة واحدة في حياته الطويلة بينهم قبل الرسالة، ولكنهم كانوا يرفضون إظهار التصديق، ويرفضون الدخول في الدين الجديد! إنهم يرفضوا ذلك لأن في دعوته خطراً على نفوذهم ومكانتهم.. قال الله تعالى: ﴿ قَدۡ نَعۡلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحۡزُنُكَ ٱلَّذِي يَقُولُونَۖ فَإِنَّهُمۡ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجۡحَدُونَ ﴾ (الأنعام:٣٣).

---

(١) النكت والعيون، علي الماوردي، ٦/ ١٤٢.

(٢) انظر: الجامع لأحكام القرآن، محمد القرطبي، ١٩/ ٧٤.

(٣) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، عبد الحق ابن عطية، ٥/ ٣.

(٤) الدر المنثور، جلال الدين السيوطي، ٣٠٩/٧.

" حيث التقى الأخنس وأبو جهل يوماً، فخلا الأخنس بأبي جهل فقال: يا أبا الحكم، أخبرني عن محمد: أصادق هو أم كاذب؟ فإنه ليس هاهنا من قريش غيري وغيرك يسمع كلامنا، فقال أبو جهل: ويحك! والله إن محمدا لصادق، وما كذب محمد قط، ولكن إذا ذهبت بنو قصي باللواء والسقاية والحجاب والنبوة، فماذا يكون لسائر قريش؟ فذلك قوله: ﴿فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ فآيات الله: محمدﷺ"(١).

ففي هذا القرآن من القوة والسلطان، والتأثير العميق، ما كان يهز قلوب زعماء قريش هزاً، ويزلزل أرواحهم، فيغالبون أثره بكل وسيلة فلا يستطيعون إلى ذلك سبيلاً، فهؤلاء المشركون بالرغم من حربهم للرسول ﷺ ، ونفورهم مما جاء به، كانوا يخرجون في جنح الليل البهيم، يستمعون إلى ترتيل النبي عليه السلام للقرآن، ومع ذلك كانوا يتنكروا لإعجابهم وانبهارهم، حتى ماتوا على شركهم، وأمثلة ذلك كثيرة نذكر منها :

"ثلاثةٌ خرجوا من بيوتِهم، وهم يستخفونَ من الناسِ، يمشونَ في طُرقِ مكةَ، ويسترُهم ظلامُ الليلِ، ولا يعلمُ أحدُهم عن الآخرِ، حتى جاءوا عندَ بيتٍ من بيوتِ مكةَ، فجلسَ كلُ واحدٍ منهم في جانبٍ من جوانبِ البيتِ، يستمعُ حتى طلعَ الفجرُ، فمَن هؤلاء؟ ولماذا خرجوا؟ ولمن هذا البيتُ؟.

فعن الزهري رضي الله عنه قال: حدثت أن أبا جهل وأبا سفيان والأخنس بن شريق خرجوا ليلة يستمعون من رسول الله ﷺ وهو يصلي بالليل في بيته، فأخذ كل رجل منهم مجلساً يستمع فيه، وكل لا يعلم بمكان صاحبه، حتى إذا طلع الفجر تفرقوا فجمعتهم الطريق قال بعضهم لبعض: لا تعودوا فلو رآكم بعض سفهائكم لأوقعتم في نفسه شيئاً، ثم انصرفوا وعادوا في الليلة الثانية والثالثة، حتى تعاهدوا ألا يعودوا، ثم قال الأخنس لأبي سفيان أخبرني عن رأيك فيما سمعت من محمد، قال: والله لقد سمعت أشياء أعرفها وأعرف ما يراد بها، وسمعت أشياء ما عرفت معناها ولا ما يراد بها، قال الأخنس: وأنا والذي حلفت به، ثم خرج من عنده حتى أتى أبا جهل فقال: ما رأيك فيما سمعت من محمد قال: ماذا سمعت، تنازعنا نحن وبنو عبد مناف في الشرف أطعموا فأطعمنا، وحملوا فحملنا، وأعطوا فأعطينا، حتى إذا تجاثينا على الركب وكنا كفرسي رهان، قالوا: منا نبي يأتيه الوحي من السماء فمتى ندرك هذه والله لا نؤمن به أبداً ولا نصدقه"(٢).

وهذا هو السبب الذي من أجله قرروا الجحود بآيات الله، والبقاء على الشرك الذي كانوا فيه.. وما كان في هذا من غرابة، ولكنه كان الحسد الذي يدعو إلى العناد والمكابرة والشقاق.

---

(١) تفسير القرآن العظيم ، اسماعيل ابن كثير، ٣/ ٢٥٢.

(٢) دلائل النبوة، أبو بكر البيهقي، ٢/ ٢٠٦.

ولما كان أبو جهل بن هشام، وأبو سفيان بن حرب، والأخنس بن شريق، كلٌّ منهم يجلس عند بيت النبي ﷺ في الليل يستمع القرآن أنزل الله تعالى قوله:﴿ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِن يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا بِهَا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴾ (الأنعام: ٢٥).

يقول سيد قطب: "فهل رأيتُم أثرَ كلامِ اللهِ ﷻ على أشدِ الناسِ عداوةً للإسلامِ؟ يتركونَ لذيذَ النومِ، ويسهرونَ طَوَال الليلِ، ليستمعوا إلى هذا الكلامِ العجيبِ الذي استسلموا لبلاغتِه، وأسرَهم جمالُه، وخضعوا لجلاله وعظمته، فكبراء قريش يستمعون إلى القرآن، ولكنهم يجاهدون قلوبهم ألا ترق له، ويمانعون فطرتهم أن تتأثر به، فجعل الله بينهم وبين الرسول حجاباً خفياً، وجعل على قلوبهم كالأغلفة فلا تفقه القرآن، وجعل في آذانهم كالصمم فلا تعي ما فيه من توجيه"(١).

وفسر محمد رشيد رضا ذلك التأثير فقال: "إذن هو التأثير الذي كان يجذب رءوس أولئك الجاحدين المعاندين ليلاً لاستماع تلاوة رسول الله ﷺ في بيته، على ما كان من نهيهم عنه ونأيهم عنه، وتواصيهم وتقاسمهم لا يسمعن له، ثم كانوا يتسللون فرادى مستخفين، ويتلاقون في الطريق متلاومين"(٢).

لهذا كان كبراء قريش يقولون للجماهير:﴿ لَا تَسْمَعُوا لِهَٰذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴾ (فصلت: ٢٦)، فهذه المقالة تدل على الذعر الذي تضطرب به نفوسهم ونفوس أتباعهم من تأثير هذا القرآن.

"ونتيجة لهذا التأثير حاول المشركون والمنافقون الإعراض عن سماع القرآن لما عرفوا حقيقته، حيث قال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ﴾ (الفرقان:٧٣)، ففعلوا ذلك، فعل من لا يسمع ولا يبصر، وستراً لما رأوا من نورها، كما ذكر عن أبي جهل وأبي سفيان والأخنس بن شريق"(٣).

سادساً- انبهار نسائهم وأطفالهم به:

انبهر المشركون بآيات الرحمن، فملكت عقولهم، وأسرت قلوبهم، فما كان منهم إلا أن يستروا إعجابهم وانبهارهم، خوفاً من فتنة نسائهم وأولادهم بسماعهم للقرآن.

---

(١) في ظلال القرآن، سيد قطب، ٤/ ٢٢٣١.

(٢) تفسير المنار، محمد رشيد رضا، ١٦٨/١١.

(٣) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، إبراهيم البقاعي، ١٣/ ٤٣٣، بتصرف.

هذا التأثير هو الذي حملهم على منع أبي بكر الصديق ﷺ من تلاوة القرآن في المسجد الحرام ليلاً لما كان لتلاوته وبكائه في الصلاة من التأثير الجاذب إلى الإسلام، وعللوا ذلك بأنه يفتن عليهم نساءهم وأولادهم.

"فأبو بكر الصديق ﷺ، حين ضاقت عليه مكة وأصابه فيها الأذى، استأذن رسول الله ﷺ فى الهجرة فأذن له، فخرج أبو بكر مهاجراً، حتى إذا سار من مكة لقيه ابن الدغنة، وهو يومئذ سيد الأحابيش، فقال ابن الدغنة: أين يا أبا بكر؟ قال: أخرجنى قومى وآذوني، وضيقوا علىّ، قال: ارجع فأنت فى جواري، فرجع معه، حتى إذا دخل مكة قام ابن الدغنة فقال: يا معشر قريش، إنى قد أجرت ابن أبى قحافة، فكفوا عنه، وكان لأبى بكر مسجد عند باب داره فى بنى جمح، فكان يصلى فيه، وكان رجلاً رقيقاً، إذا قرأ القرآن استبكى، فيقف عليه الصبيان والعبيد والنساء يعجبون لما يرون من هيئته.

فمشى رجال من قريش إلى ابن الدغنة، فقالوا له: يابن الدغنة، إنك لم تجر هذا الرجل ليؤذينا، إنه رجل إذا صلى، وقرأ ما جاء به محمد يرق ويبكى، فنحن نتخوف على صبياننا ونسائنا وضعفتنا أن يفتنهم، فانهه ومره أن يدخل بيته فليصنع فيه ما شاء، فمشى ابن الدغنة إليه فقال له: يا أبا بكر، إنى لم أجرك لتؤذي قومك، إنهم قد كرهوا مكانك الذى أنت فيه، فادخل بيتك فاصنع فيه ما أحببت، فرد أبا بكر جوار ابن الدغنة ورضي بجوار الله ﷻ" (١) .

وفي صحيح البخاري أنه: " **بدا لأبي بكر، فابتنى مسجداً بفناء داره ..، فكان يصلي فيه، ويقرأ القرآن، فيتقصف عليه نساء المشركين وأبناؤهم، يعجبون وينظرون إليه، وكان أبو بكر رجلاً بكاء، لا يملك دمعه حين يقرأ القرآن، فأفزع ذلك أشراف قريش من المشركين**"(٢).

فانظر كيف كان أبو بكر لا يحتمل نفسه إذا قرأ القرآن فتغلبه دموعه .. وانظر لعوائل قريش كيف لم يستطع عتاة وصناديد الكفار الحيلولة بينهم وبين الهرب لسماع القرآن.. فهذا التأثير هو الذي حملهم على صد النبي ﷺ بالقوة عن تلاوة القرآن في البيت الحرام، وفي أسواق الموسم ومجامعه، وعلى تواصيهم بما حكاه الله تعالى عنهم في قوله: ﴿ **وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَسۡمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ وَٱلۡغَوۡاْ فِيهِ لَعَلَّكُمۡ تَغۡلِبُونَ** ﴾ (فصلت:٢٦).

وقد أدرك هذا أحد فلاسفة فرنسا، فقال: "إن محمداً كان يقرأ القرآن خاشعاً أواهاً متألهاً، فتفعل قراءته في جذب الناس إلى الإيمان ما لم تفعله جميع آيات الأنبياء الأولين (أقول) : ولو

---

(١) الموسوعة القرآنية، إبراهيم الأبياري، ١/ ٧٤-٧٥، بتصرف.

(٢) صحيح البخاري، كتاب: الكفالة، باب: جوار أبي بكر في عهد النبي ﷺ، ح(٢٢٩٨) ، ٣/ ٩٨.

كان القرآن ككتب القوانين المرتبة وكتب الفنون المبوبة، لما كان لقليله وكثيره من التأثير ما كان لسوره المنزلة"[١].

فمن هنا ندرك حكمة تكليف المسلم بأن يُمكِّنَ المشركين من سماع كلام الله، ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ﴾ (التوبة: ٦)، ولم يكلف المسلم بما بعد السماع.. فالإسماع هو الأداة الأولى والمباشرة لنقل كلام الله إلى الآخرين، وهو الوسيلة الأنسب لفتح القلوب إلى هدى الله[٢].

المطلب الثاني
تأثر أهل الكتاب الإيجابي

ومن التأثير الإيجابي على أهل الكتاب ما يلي:

أولاً- تفيض أعينهم من الدمع لسماع القرآن:

وصف الله ﷻ أهل الكتاب برقة قلوبهم، وشدة خشيتهم ومسارعتهم إلى قبول الحق، وعدم تأبيهم عنه، ومودتهم للمؤمنين، فهم يبكون عند سماعهم القرآن.

"فعن النجاشي أنه قال لجعفر بن أبي طالب حين اجتمع في مجلسه المهاجرون إلى الحبشة والمشركون، وهم يقرءونه عليهم، هل في كتابكم ذكر مريم، قال جعفر: فيه سورة تنسب إلى مريم، فقرأها إلى قوله: ﴿ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ قَوْلَ ٱلْحَقِّ ٱلَّذِى فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾ (مريم:٣٤)، وقرأ سورة طه إلى قوله: ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ﴾ (طه: ٩)، فبكى النجاشي، وكذلك فعل قومه الذين وفدوا على رسول الله ﷺ، وهم سبعون رجلاً حين قرأ عليهم سورة يس فبكوا، قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا۟ مِنَ ٱلْحَقِّ ۖ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ (المائدة:٨٣)"[٣].

والمولى ﷻ يخبر عن العلماء الأولياء من أهل الكتاب أن منهم أهل خشية وانقطاع إلى الله تعالى، فهم يتولون تعليم أبنائهم التعليم الديني، ويهذبون أخلاقهم، ويربون فيهم الآداب والفضائل، وهؤلاء الرهبان يعوّدونهم على الزهد والتقشف والإعراض عن زخرف الدنيا ونعيمها، ويكبرون فى نفوسهم الخوف من الله والانقطاع لعبادته، وأنهم لا يستكبرون عن الإذعان للحق إذا ظهر أنه الحق، إذ من فضائل دينهم التواضع والتذلل والخضوع لكل حاكم[٤].

---

(١) تفسير المنار، محمد رشيد رضا، ١٦٨/١١.

(٢) انظر: التعبير القرآني، فاضل السامرائي، ص: ١٠٧.

(٣) تخريج أحاديث الكشاف، جمال الدين الزيلعي، ٤١٥/١.

(٤) انظر: تفسير المراغي، احمد المراغي، ٧/ ٧.

وتحدث ابن كثير في تفسيره فقال: " أن الله سبحانه وصفهم بأن فيهم العلم والعبادة والتواضع، ووصفهم بالانقياد للحق واتباعه والإنصاف، وذلك عند سماعهم لما أنزل على الرسول، فإن أعينهم تفيض من الدمع عند معرفتهم بالحق وهو بشارتهم ببعثة محمد ﷺ"(١).

وجاء في قوله تعالى: ﴿تَرَىٰٓ أَعۡيُنَهُمۡ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمۡعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ ٱلۡحَقِّۖ﴾ " وجهان:

الأول: المراد أن أعينهم تمتلئ من الدمع حتى تفيض لأن الفيض أن يمتلئ الإناء وغيره حتى يطلع ما فيه من جوانبه.

الثاني: أن يكون المراد المبالغة في وصفهم بالبكاء فجعلت أعينهم كأنها تفيض بأنفسها"(٢).

وذكر أبو زُهرة في تفسيره: " أمران يدلان على سبب بكائهم عندما عرفوا الحق.

أولهما: أنه تحقق لديهم ما وجدوه من أوصاف النبيﷺ.

ثانيهما: أنهم كانوا لنفاذ بصائرهم، وعظم مداركهم يحسون بأنهم كانوا في ضلال، فعرفوا الطريق، وكانوا في ظلام فاستناروا، وكانوا في حيرة فاطمأنوا"(٣).

"فالدمع ينزل من عيونهم فائضاً عما تمتلئ به بسبب الحق الذي عرفوه، فتأثروا بدعوة محمدﷺ فقد كانوا في حيرة حتى وجدوه، وأثلجت نفوسهم به، واستقامة قلوبهم وعقولهم نحو الحق، وسُرو به كثيراً، فمن السرور ما يكون مظهره انبثاق الدموع من العين. عندها تقول الفئة المؤمنة من أهل الكتاب ربنا آمنا بمحمد ﷺ، والمراد إنشاء الإيمان والدخول فيه، فاكتبنا مع أمة محمد عليه السلام الذين هم شهداء على سائر الأمم يوم القيامة، ﴿ لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ (البقرة: ١٤٣)، وقالوا ذلك لأنهم وجدوا ذكرهم في الإنجيل كذلك"(٤).

"فهذه هي أحوال العلماء يبكون ولا يصعقون، ويسألون ولا يصيحون، ويتحازنون ولا يتموتون" (٥).

---

(١) تفسير القرآن العظيم، اسماعيل بن كثير، ٣/ ١٥١.
(٢) مفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي ، ١٢/ ٤١٤.
(٣) زهرة التفاسير، محمد بن أحمد(أبي زهرة) ، ٥/ ٢٣٢٨.
(٤) مدارك التنزيل وحقائق التأويل، عبد الله النسفي ، ١/ ٤٦٩، بتصرف يسير.
(٥) الجامع لأحكام القرآن، محمد القرطبي ، ٦/ ٢٥٨.

ثانياً- انبهارهم بسكينة القرآن وتمسكهم بآياته:

أثنى الله ﷻ على الذين امتثلوا أمره من اليهود والنصارى بقوله تعالى: ﴿ وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَمَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَٰشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴾(آل عمران:١٩٩) .

يخبر الله ﷻ عن طائفة من أهل الكتاب، يؤمنون بالله تعالى حق الإيمان، وبما أنزل على محمد ﷺ، مع ما هم يؤمنون به من الكتب المتقدمة، مطيعون له خاضعون متذللون بين يديه، هم خيرة أهل الكتاب وصفوتهم، سواء كانوا هوداً أو نصارى، ﴿لَا يَشْتَرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۗ ﴾: هو مدح لهم وذم لسائر كفار أهل الكتاب لتبديلهم وإيثارهم كسب الدنيا الذي هو ثمن قليل على آخرتهم وعلى آيات الله تعالى، فلا يحرّفون كتبهم ولا يكتمون صفة محمد ﷺ لأجل المأكلة والرئاسة، كما فعلت رؤساء اليهود(١).

قال سيد قطب رحمه الله: " فقد برزت سمة من سمات المؤمنين من أهل الكتاب: سمة الخشوع لله وسمة عدم شرائهم بآياته ثمناً قليلاً.. ليفرقهم بهذا من صفوف أهل الكتاب، التي سمتهم الأصيلة هي التبجح وقلة الحياء من الله، ثم التزوير والكتمان لآيات الله، لقاء أعراض الحياة الرخيصة!"(٢).

ولكن لنعلم أن هذه فئة قليلة من أهل الكتاب تتمتع بتمام خشية الله فهم: "لا يقدمون الدنيا على الدين كما فعل أهل الانحراف الذين يكتمون ما أنزل الله ويشترون به ثمناً قليلاً، لأنهم عرفوا الأمر على الحقيقة، وعلموا أن من أعظم الخسران، الرضا بالدون عن الدين، والوقوف مع بعض حظوظ النفس السفلية، وترك الحق الذي هو: أكبر حظ وفوز في الدنيا والآخرة، فآثروا الحق وبينوه، ودعوا إليه، وحذروا عن الباطل، فأثابهم الله على ذلك بأن وعدهم الأجر الجزيل، والثواب الجميل، وأخبرهم بقربه، وأنه سريع الحساب، فلا يستبطئون ما وعدهم الله، لأن ما هو آت محقق حصوله، فهو قريب"(٣).

وجماعة أخرى من أهل الكتاب من اليهود والنصارى أثنى الله عليهم ووصفهم بقوله: ﴿لَيْسُوا۟ سَوَآءً ۗ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ۞ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَأُو۟لَٰٓئِكَ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ۞ وَمَا يَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ

(١) الكشف والبيان عن تفسير القرآن، أحمد الثعلبي، ٣/ ٢٣٨، بتصرف.
(٢) في ظلال القرآن، سيد قطب، ١/ ٥٥١.
(٣) تيسير الكريم الرحمن، عبد الرحمن السعدي، ص: ١٦٢.

﴿ فَلَن يُكْفَرُوهُ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُتَّقِينَ ﴾ (آل عمران:١١٣ – ١١٥)، ووصف سبحانه النصارى بقوله: ﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ ۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّا نَصَٰرَىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۞ وَإِذَا سَمِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا۟ مِنَ ٱلْحَقِّ ۖ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ۞ وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَن يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلصَّٰلِحِينَ ۞ فَأَثَٰبَهُمُ ٱللَّهُ بِمَا قَالُوا۟ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ (المائدة: ٨٢ – ٨٥).

فالمشهور عند كثير من المفسرين، أن هذه الآيات نزلت فيمن آمن من أحبار أهل الكتاب، كعبد الله بن سلام، وأسد بن عبيد، وثعلبة بن سعية، وأسيد بن سعية وغيرهم(١).

وعن ابن مسعود قال: "**أخر رسول الله ﷺ صلاة العشاء، ثم خرج إلى المسجد، فإذا الناس ينتظرون الصلاة، فقال : "أما إنه ليس من أهل هذه الأديان أحد يذكر الله هذه الساعة غيركم" قال: فنزلت هذه الآيات:** ﴿ لَيْسُوا۟ سَوَآءً ۗ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ حتى بلغ ﴿﴿ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُتَّقِينَ ﴾ (آل عمران:١١٣ – ١١٥) "(٢).

"فلا يستوي من ذمهم الله سبحانه من أهل الكتاب، وهؤلاء الذين أسلموا كعبد الله بن سلام وأصحابه، ممن يعرفون التوراة بلا تحريف ويُسرُّون إليك بها، لأنهم ليسوا كلهم على حد سواء، بل منهم المؤمن ومنهم المجرم، ولهذا وصف الله ﷻ أهل الكتاب بأن منهم أمة قائمة بأمر الله مطيعة لشرعه، متبعة نبي الله، يقومون الليل ويكثرون التهجد، ويتلون القرآن في صلواتهم، يؤمنون بالله واليوم الآخر ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون في الخيرات فما يفعل هؤلاء من خير فلن يضيع عند الله، بل يجزيهم به الله تعالى، فهو لا يخفى عنده عمل عامل، ولا يضيع لديه أجر من أحسن عملاً"(٣).

وهذه الآية لم تحدد أي الفرقتين من أهل الكتاب هو المتّجه إليه الحكم، لحكمة يبينها عبد الكريم الخطيب في تفسيره وهي:

أولاً: كلا الفريقين من أهل الكتاب فيهم جماعات قائمة على الحق، تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر..

---

(١) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، محمد الطبري، ٣٩٨/٣.

(٢) مسند أحمد، مسند عبد الله بن مسعود، ح(٣٧٦٠) ، ١/ ٣٩٦، صحيح لغيره.

(٣) جامع البيان في تأويل القرآن، محمد الطبري، ٣٩٨/٣، بتصرف.

ثانياً: كثرة كثيرة من النصارى يتجه إليهم هذا الحكم.. وقلة قليلة جداً من اليهود يدخلون فى هذا الحكم أيضاً.

ثالثاً: من صدق القرآن، ودقة أحكامه، أنه لم يجعل الحكم مطلقاً فى النصارى، ولم يخرج منه اليهود جميعاً بلا استثناء.. إذ لا تخلو فرقة من الفرقتين من أخيار وأشرار.

وقوله تعالى: ﴿ وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُ ﴾ (آل عمران: ١١٥)، تتمّة لهذا الحكم الذي حكم به الله لهم، فكل عمل خير يعملونه يتقبله الله، ويجزيهم عليه، أما أعمال المشركين.. فإن الشرك يحبطها، ويحرم أهلها ثمرة قبولها عند الله.. ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴾ (المائدة:٢٧) وملاك التقوى، الإيمان بالله وباليوم الآخر[١].

"فأمثال هؤلاء من الفريقين هم المراد بالمتقين، المتقون الذين سلمت فطرتهم فأصابت عقولهم ضرباً من الرشاد، ووجد في أنفسهم شيء من الاستعداد لتلقي نور الحق يحملهم على توقي سخط الله تعالى، والسعي في مرضاته بحسب ما وصل إليه علمهم، وأداهم إليه نظرهم واجتهادهم، أولئك هم الذين كان في قلوبهم اشمئزاز مما عليه أقوامهم، وفي نفوسهم شيء من التشوف إلى هداية يهتدون بها، ويشعرون باستعدادهم لها إذا جاءهم شيء من عند الله تعالى"[٢].

المطلب الثالث

تأثر المنافقين الإيجابي

أولاً- تأثرهم في رائحته عند تلاوته:

انقسم الناس في قراءتهم للقرآن وتأثرهم به، فمنهم من قرأ وتأمل آياته، وتدبرها، فتفاعل مع معانيها، فهو كالطِّيب أو الأترجة التي طعمها طيب وريحها طيب، ومنهم من يقرأ القرآن فلا يتجاوز حنجرته فذلك المنافق الذي خالف قوله عمله، وأبطن خلاف ما يُظهر، ويقول خلاف ما يُضمر؛ فذكره القرآن في قوله: ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴾ (المنافقون: ٤).

عن أبي موسى الأشعري، قال: قال رسول الله ﷺ :".. **ومثل المنافق الذي يقرأ القرآن كمثل الريحانة ريحها طيب وطعمها مر، ومثل المنافق الذي لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة ليس لها ريح وطعمها مر**"[٣].

---

(١) انظر: التفسير القرآني للقرآن، عبد الكريم الخطيب، ٢/ ٥٦١.

(٢) تفسير المنار، محمد رضا، ١/ ١٠٦.

(٣) صحيح مسلم، كتاب: صلاة المسافرين وقصرها، باب: فضيلة حافظ القرآن، ح(٢٤٣) ، ١/٥٤٩.

ففي الحديث ذكر ﷺ المنافق الذي لا يقرأ القرآن، وشخّص مثاله في نبتة الحنظلة التي عدمت المنفعتين؛ لا ريح لها وطعمها مرّ، وكذلك المنافق الذي لا يقرأ القرآن؛ لا شيء يزين ظاهرَه، ولا باطنُه يُعوِّض ذلك النّقص، وإنّما يزيده سوءً على سوء من خبث طويّته. وهو في ذلك كما مثّل لنا النبيُّ ﷺ جليس السّوء، إذا لم تحرقك ناره، آذتك ريحه الخبيثة، كناره تماماً.

وأمّا المنافق الذي لا يقرأ القرآن فلا يُعرف من ظاهره إلا كما يُعرف من حال المؤمن الذي لا يتلو القرآن، ولا تعرفه حتى تخالطه فتلذعك مرارة سمّه، وتظهر لك ما كان يُضمر من مكنون لؤمه، ولقد صور لنا القرآن الكريم حال المنافقين هؤلاء بقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴾ (المنافقون:٤).

هي صورة مبدعة تثير السخرية والإستهزاء من أناس وصفهم القرآن بالخواء والفزع والحقد الدفين، وتحدث عنهم سيد قطب بأن أجسامهم مثيرة للعيون ما داموا صامتين.. خواء من كل حس حين ينطقون[١].

ثانياً- يقينهم بنزول سور تنبئهم بما في قلوبهم:

قال تعالى: ﴿ يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلِ اسْتَهْزِئُوا إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ ﴾ (التوبة:٦٤).

المنافقون مذبذبون لا هم بالمؤمنين الموقنين، ولا بالكافرين الجازمين بالكفر، شاكون مرتابون في الوحى وصدق الرسول ﷺ، فهذا يدعوهم إلى الحذر والإشفاق، فلو كانوا موقنين بكذب الرسول لما جاءهم الحذر، ولو كانوا مؤمنين حقاً لما كان لهذا الخوف والحذر محل، إذ تكون قلوبهم مطمئنة بأحد الأمرين.

ولقد ذكر الطبري: "أن الله أنزل هذه الآية على رسول الله ﷺ، لأن المنافقين كانوا إذا عابوا رسول الله ﷺ، وذكروا شيئًا من أمره وأمر المسلمين، قالوا: لعل الله لا يفشي سِرَّنا!"[٢]. وقال بعضهم: "وددت أني جلدت مائة ولا ينزل فينا شيء يفضحنا"[٣].

"لهذا يصف القرآن المنافقين بأنهم يخشون أن تنزل على المؤمنين سورة تخبرهم بما في قلوب المنافقين من الحسد والعداوة للمؤمنين، وذلك أن المنافقين كانوا فيما بينهم يذكرون المؤمنين بسوء،

(١) في ظلال القرآن، سيد قطب، ٣٥٧٤/٦، بتصرف.
(٢) جامع البيان في تأويل القرآن، محمد الطبري، ٣٣١/١٤.
(٣) البحر المحيط في التفسير، محمد بن حيان، ٥/ ٤٥٢.

ويتربصون بهم الدوائر، ثم يحاولون ستره، ويخافون الفضيحة ونزول القرآن في شأنهم"[١].

فالله سبحانه وتعالى مطلع على ما يدور بينهم، عالم بما يجرى فى خواطرهم.. ومحال أن يفلتوا من الفضيحة.. وأنزل الله ﷻ آيات تحدّث بما كان يسرّ به بعضهم إلى بعض، بل، وبما كان لا يزال مضمراً من السوء فى صدورهم، لم يطلع عليه أحد، بعد!

قال قتادة: وهذه السورة كانت تسمى الفاضحة والمبعثرة والمثيرة، لأنها بينت أسرار المنافقين، وهتكت أستارهم، وبعثرت عن أخبارهم، وأثارتها، وأسفرت عن مخازيهم ومثالبهم[٢].

قال عبد الله بن عباس ﷺ: "أنزل الله تعالى ذكر سبعين رجلاً من المنافقين بأسمائهم وأسماء آبائهم، ثم نسخ ذكر الأسماء رحمة للمؤمنين، لئلا يعير بعضهم بعضاً، لأن أولادهم كانوا مؤمنين"[٣].

وقد ذكر السعدي: "أن الله ﷻ لم يعين أشخاصهم لفائدتين:

إحداهما: أن الله سِتِّيرٌ يحب الستر على عباده، **والثانية:** أن الذم على من اتصف بذلك الوصف من المنافقين، الذين توجه إليهم الخطاب وغيرهم إلى يوم القيامة، فكان ذكر الوصف أعم وأنسب، حتى خافوا غاية الخوف"[٤].

ولأنه عرف عن المنافقين استهزاؤهم بالنبي ﷺ والمؤمنين، وسخريتهم منهم، فيستهزئون بالإسلام وأهله، لذا يأمر الله نبيه بأن يقول لهم: قل استهزئوا كما تشاءون، وهذا تهديد لهم شديد، ووعيد عليه، إن الله مخرج ما تحذرون إخراجه من مخبئات الضمير، ومكنونات الصدور، وقد حصل ذلك وظهر نفاقهم لكل الناس[٥].

ومما يدلل على استهزائهم ما ذكره قتادة: "بينما رسول الله ﷺ في غزوته إلى تبوك، وبين يديه أناس من المنافقين: فقالوا: أيرجو هذا الرجل أن يفتح له قصور الشام وحصونها؟ هيهات!! فأطلع الله نبيه ﷺ على ذلك فقال: احبسوا على هؤلاء الركب فأتاهم فقال: قلتم كذا قلتم كذا؟ قالوا: يا نبي الله: إنما كنا نخوض ونلعب فأنزل الله فيهم هذه الآية"[٦].

---

(١) لباب التأويل في معاني التنزيل، علاء الدين الخازن، ٢/ ٣٧٨، بتصرف.
(٢) تفسير المراغي، أحمد المراغي، ١٠/ ١٥٢، بتصرف.
(٣) معالم التنزيل في تفسير القرآن، الحسين البغوي، ٤/ ٦٨.
(٤) تيسير الكريم الرحمن، عبدالرحمن السعدي، ص: ٣٤٢.
(٥) التفسير الواضح، محمد الحجازي، ١/ ٩٠١.
(٦) المصدر السابق، ٩٠١/١.

وهذا الحذر أظهره المنافقون على وجه الاستهزاء، عندما رأوا الرسول ﷺ يذكر كل شيء، ويدعي أنه عن الوحي، فهم يكذبون بذلك فيما بينهم، فأمر الله رسوله ﷺ بأن يخبرهم أنه يظهر سرهم الذي حذروا ظهوره من إنزال السورة لتبين أسرارهم حتى تكون علانية لعباده ويكونوا عبرة للمعتبرين، وهذا ما أكده قوله تعالى:﴿إِنَّ ٱللَّهَ مُخۡرِجٞ مَّا تَحۡذَرُونَ ﴾له وجهان: **أحدهما:** مظهر ما تسرون، **والثاني:** ناصر من تخذلون(١).

من هنا ندرك سرّ الصفاء الروحيّ، الذي كان عليه صحابة رسول الله ﷺ، وتلك العظمة الإنسانية التي اشتملت عليها نفوسهم، فمجتمعهم مجتمع مثاليّ، يحكمه الوازع الديني، ويقوم فيه مقام السلطان القاهر، الذي يتسلط على كل نفس، ويأخذ على كل جارحة؟

فما صنعه الله بالمنافقين في عهد الرسولﷺ وفى فضح من فضح منهم، هو بمثابة حماية للمجتمع الإسلامي الأول من هذا الداء الخبيث، ووقاية للمؤمنين من أن يطوف بهم طائف منه.. حتى كان صحابة رسول الله ﷺ يضعون أنفسهم تحت مراقبة دقيقة منهم، لكل خاطرة تخطر لهم، ولكل وسواس يطوف بهم..

وبذلك يتبين جلياً أن القرآن يؤثر في النفس البشرية، سواء أكانت مؤمنة أو غير مؤمنة، وملكن التوفيق والسداد والفلاح لتلك النفوس التي تفاعلت مع آياته، وعملت بما فيها إمتثالاً لأمر الله ﷻ. والويل والثبور لتلك القلوب المنغلقة التي أبت إلا التحجر وعدم القبول لآياته.. فهؤلاء لن ينالوا إلا غضباً من الله، وبعداً عن مقام التجلي بين يديه يوم القيامة.

(١) انظر: النكت والعيون، علي الماوردي، ٢/ ٣٧٨.

المبحث الثاني
تأثر غير المؤمنين السلبي لسماعهم القرآن

ويتكون من ثلاثة مطالب:

المطلب الأول : تأثر الكفار السلبي

المطلب الثاني: تأثر أهل الكتاب السلبي

المطلب الثالث: تأثر المنافقين السلبي

المطلب الأول
تأثر الكفار السلبي

وفيه ثلاثة عشر مظهراً:

المظهر الأول- الإلحاد في آيات الله:

أولاً- تعريف الإلحاد لغة واصطلاحاً:

١) الإلحاد لغة:

يقال: "أَلْحَد إليه ولَحَدَ إليه بلسانه أيْ: مال، والرجل يلْتَحِد إلى الشَيء: يلجأُ إليه ويميَل"(١). "الملحد: العادل عن الحق، المُدخل فيه ما ليس فيه، قد ألحد في الدين ولحد، قال: وقرىء: ﴿يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ﴾ و﴿يُلْحِدُونَ﴾ (النحل: ١٠٣) أي يميلون. معناه: يجورون في أسمائه، ومنه سمي اللحد لأنه في ناحية ولو كان مستقيماً لكان ضريحاً يقال ألحدت ولحدت"(٢).

٢) الإلحاد اصطلاحاً:

"اللحد والإلحاد: هو الميل، وقد يكون ميلاً عن آيات الله، وعدولاً عنها بالتكذيب بها، وهذا يرجع إلى الذين قالوا﴿لَا تَسْمَعُوا لِهَٰذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ﴾ (فصلت: ٢٦)، وهم الذين ألحدوا في آياته ومالوا عن الحق فقالوا: ليس القرآن من عند الله، أو هو شعر أو سحر، فالآيات آيات القرآن. ويكون بالاستهزاء مكاء وتصدية، ويكون مفارقة لها وعناداً، ويكون تحريفاً لها وتغييراً لمعانيها"(٣).

ثانياً- لفظ الإلحاد في الآيات القرآنية:

ورد لفظ الإلحاد بمشتقاته في القرآن الكريم في ستة مواضع(٤)، منها:

تهديد الملحدين في آيات الله تعالى:

١) قال تعالى:﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا ۗ أَفَمَن يُلْقَىٰ فِي النَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِي آمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۚ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ ۖ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ (فصلت: ٤٠).

---

(١) العين، الخليل الفراهيدي، ٣/ ١٨٢.

(٢) تهذيب اللغة، محمد الهروي ، ٤/ ٢٤٣، غريب الحديث، عبد الله بن قتيبة، ١/ ٢٥١.

(٣) جامع البيان في تأويل القرآن، محمد الطبري، ٢١/ ٤٧٨، الجامع لأحكام القرآن، محمد القرطبي، ١٥/ ٣٦٦.

(٤) انظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن، محمد عبد الباقي، ص: ٦٤٥.

"عن ابن عباس، قوله: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا لَا يَخۡفَوۡنَ عَلَيۡنَآۗ ﴾قال: هو أن يوضع الكلام على غير موضعه"(١).

قال الزمخشري في تفسيره: "ألحد فلان في قوله، وألحد في دينه، ومنه الملحد، لأنه أمال مذهبه عن الأديان كلها، لم يمله عن دين إلى دين"(٢).

وبين الجزائري أن قوله تعالى: ﴿يُلۡحِدُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا ﴾: "أي يجادلون فيها ويميلون بها فيؤولونها على غير تأويلها لإبطال حق أو إحقاق باطل"(٣).

"إن الذين يميلون عن الحق فى حججنا تكذيباً بها وجحوداً لها، سيلقون من العذاب ما يستوجبونه.. فليعملوا ما شاءوا.. فليسوا يسعون إلّا في ذمهم، وليسوا يمشون إلا إلى هلاكهم بأقدامهم، نحن بهم عالمون، وسنجازيهم بما يستحقون"(٤).

وهذه الآية تمثل حالي المؤمن والكافر، فهل يستوي عذاب الملحدين، وجنات الخلد للمتقين؟

١) أن الذين يلقون فى النار، لم يلقوا فيها إلا بعد أن قطعوا طريقاً طويلاً مضنياً إليها، تطلع عليهم فيه المخاوف من كل جانب.. على حين يرى فى المعادل الآخر، أن من يأتى آمنا يوم القيامة قد انتهى به هذا الأمن إلى أمن دائم، وهو الجنة التي طابت لأهلها مستقرا ومقاما: ﴿ لَا يَحۡزُنُهُمُ ٱلۡفَزَعُ ٱلۡأَكۡبَرُ وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ هَٰذَا يَوۡمُكُمُ ٱلَّذِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ ﴾ (الأنبياء: ١٠٣).. ﴿يَسۡعَىٰ نُورُهُم بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَبِأَيۡمَٰنِهِم بُشۡرَىٰكُمُ ٱلۡيَوۡمَ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ﴾ (الحديد: ١٢) (٥)

وذكر المراغي في تفسيره أن المراد بمن يلقى في النار: "أبو جهل، وبمن يأتى آمناً: النبي ﷺ. وعن بشير بن تميم قال: نزلت في أبى جهل وعمار بن ياسر" (٦).

وبعد أن ذكر لهم مصير الملحدين المكذبين بالآيات والمؤمنين بها، هددهم بقوله: ﴿ٱعۡمَلُواْ مَا شِئۡتُمۡ﴾ (فصلت: ٤٠)، فقد علموا مصير المسيء والمحسن، فمن أراد أحد المصيرين فليعمل له فإنه ملاقيه.

---

(١) جامع البيان في تأويل القرآن، محمد الطبري، ٢١/ ٤٧٨.
(٢) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، محمود الزمخشري، ٢/ ٦٣٥.
(٣) أيسر التفاسير، أبو بكر الجزائري ، ٤/ ٥٨١.
(٤) لطائف الإشارات، عبد الكريم القشيري، ٣/ ٣٣٤، بتصرف.
(٥) انظر: التفسير القرآني للقرآن، عبد الكريم الخطيب، ١٢/ ١٣٢٥.
(٦) تفسير المراغي، محمد المراغي، ٢٤/ ١٣٧.

٢) ويقول ﷻ: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ﴾ (النحل:١٠٣)

"لم يستوحش الرسول ﷺ من تكذيبهم، وخفاء حاله وقدره عليهم.. فمن فرط جهلهم توهموا أنّ هذا القرآن- الذي عجز كافة الخلق عن معارضته فى فصاحته وبلاغته- مقول وحاصل باتصاله بمن هو أعجمى النطق، وهل فى استطاعة بشر- أيّا كان- أن يأتى بمثل هذا القرآن؟ أليسوا هم بشراً؟ فما لهم إذن لا يأتون بسورة من مثله؟ .. ثم ما لهذا البشر الذي يعلم محمدا ألّا يأخذ مكان محمد، ويدّعى لنفسه هذا الذي يدّعيه محمد من أنه نبىّ، وأنه متصل بالسّماء، يتلقى منها هذا القرآن؟"(١)

عن عبد الله بن مسلم قال: "كان لنا غلامان من أهل اليمن نصرانيان، اسم أحدهما يسار، والآخر جبر، صيقليان، وكانا يقرآن بلسانهما، فكان رسول الله ﷺ يمر عليهما ويستمع منهما، فقال المشركون: إنما يتعلم منهما، فأكذبهم الله تعالى حيث قال: لسان الذي يلحدون إليه أعجمي، أي: رومي اللسان"(٢).

لسان الرجل الذي يميلون قولهم عن الاستقامة إليه، ويتخذونه تكأة يتكئون عليها فى هذا الاتهام- هو لسان أعجمي غير بين لا يستقيم، وهذا القرآن لسان عربي مبين ذو بيان وفصاحة. .. رداً لقولهم وإبطالا لطعنهم(٣).

إذن هو فضح لهذا المنطق السقيم، الذي أقام عليه المشركون اتهامهم للنبى.!

٣) قال تعالى: ﴿وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (الأعراف: ١٨٠).

"هذه الآية إشارة إلى أن أهل الحق والعدل، لا يخلو منهم زمان.. وأنهم شهادة قائمة على أهل الزيغ والضلال.. فقد أمر الله عباده المؤمنين به أن يتركوا أهل الزيغ والضلال الذين يلحدون في أسماء الله فيؤلونها، أو يعطلونها، أو يشبهونها، ليجزيهم ﷻ الجزاء العادل على ما كانوا يقولون ويعملون، لأن جدالهم غير نافع فيهم ولا مجد للمؤمنين ولا لهم"(٤).

---

(١) التفسير القرآني للقرآن، عبد الكريم الخطيب، ٧/ ٣٧٢.

(٢) أسباب نزول القرآن، علي الواحدي، ٢٨٨/١.

(٣) انظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، محمود الزمخشري، ٢/ ٦٣٥.

(٤) أيسر التفاسير، أبو بكر الجزائري، ٢/ ٢٦٦.

المظهر الثاني- إعراض الكفار وتوليهم عن حكم الله:

أولاً- تعريف الإعراض لغة واصطلاحاً:

١) الإعراض لغة:

مصدر أعرض يعرض، وهو مأخوذ من مادّة (ع ر ض)، وهي كما يقول ابن فارس بناء تكثر فروعه، وهي مع كثرتها ترجع إلى أصل واحد وهو العرض خلاف الطّول، ومن ذلك: أعرضت عن فلان، وأعرضت عن هذا الأمر، وأعرض بوجهه، لأنّه إذا كان كذا ولّاه عرضه (وقيل عارضه)، وجاء في لسان العرب: " وتولى عنه: أعرض، وولى هارباً: أي أدبر، وتولى إذا ذهب هارباً ومدبراً"(١).

"والإعراض عن الشّيء: الصّدّ عنه، وأعرض فلان أي ذهب عرضاً وطولاً، وأعرضت الشّيء جعلته عريضاً"(٢).

٢) الإعراض اصطلاحاً:

قال الكفويّ: "الإعراض: الانصراف عن الشّيء بالقلب، قال بعضهم: المُعرض والمُتَولي يشتركان في ترك السلوك، إلا أن المعرض أسوأ حالا، لأن المتولي متى ندم سهل عليه الرجوع والمعرض يحتاج إلى طلب جديد، وغاية الذم الجمع بينهما "(٣).

وقال المناويّ: "الإعراض: الإضراب عن الشّيء بأن تأخذ عرضاً، أي جانباً غير الجانب الّذي هو فيه"(٤).

الإعراض: "الإضراب والتولي عن الشيء"(٥).

ثانياً- لفظ الإعراض في الآيات القرآنية:

ورد لفظ الإعراض ومشتقاته في الآيات القرآنية ما يقارب الثمانين موضعاً(٦)، منها:

١) الإعراض والتولي عن ذكر الله:

---

(١) لسان العرب، جمال الدين بن منظور، ١٥/ ٤١٥.

(٢) مقاييس اللغة، أحمد الرازي، (٤/ ٢٦٩) ، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، اسماعيل الفارابي، ٣/ ١٠٨٤، والمفردات في غريب القرآن، للراغب الأصفهاني،٥٥٩/١ .

(٣) الكليات، أيوب الكفوي، ٢٨/١ .

(٤) التوقيف، عبد الرؤوف بن تاج العارفين، ٥٦/١ .

(٥) التفسير المنير، وهبة الزحيلي، ١٧/ ١٠.

(٦) انظر المعجم المفهرس لألفاظ القرآن، محمد عبد الباقي، ص: ٤٥٧-٤٥٨.

قال تعالى:﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ﴾ (آل عمران:٢٣).

قال ابن عباس: "هذه الآية نزلت بسبب أن رسول الله ﷺ دخل بيت المدراس على جماعة من يهود فدعاهم إلى الله، فقال له نعيم بن عمرو والحارث بن زيد: على أي دين أنت يا محمد؟ فقال النبي ﷺ: (إني على ملة إبراهيم). فقالا: فإن إبراهيم كان يهوديا. فقال النبي ﷺ: (فهلموا إلى التوراة فهي بيننا وبينكم). فأبيا عليه فنزلت الآية"[١]، " وذكر النقاش أنها نزلت لأن جماعة من اليهود أنكروا نبوة محمد صلى الله عليه وسلم، فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم: (هلموا إلى التوراة ففيها صفتي) فأبوا" [٢].

"ففي هذه الآية يخبر تعالى عن حال أهل الكتاب الذين أنعم الله عليهم بكتابه، فكان يجب أن يكونوا أقوم الناس به وأسرعهم انقياداً لأحكامه، لكنهم كانوا على العكس تماماً، فكانوا على خلاف مبيّت على الإعراض عن القرآن، والاستماع إليه، والنزول على حكمه، فتولوا بأبدانهم، وأعرضوا بقلوبهم، منصرفين عنها، حاملين معهم عقدة الإعراض والخلاف التي انعقدت عليها قلوبهم"[٣].

إن قلنا أن التولي هو الإعراض، فما فائدة تكراره في الآية؟

فالجواب عند ابن الجوزي من أربعة أوجه:

أحدها: التأكيد، **والثاني:** أن يكون المعنى: يتولون عن الداعي، ويعرضون عما دعا إليه، **والثالث:** يتولون بأبدانهم، ويعرضون عن الحق بقلوبهم، **والرابع:** أن يكون الذين تولوا علماؤهم، والذين أعرضوا أتباعهم[٤].

قوله تعالى﴿وَهُم مُّعْرِضُونَ﴾فيه وجهان:

الأول: المتولون هم الرؤساء والعلماء، والمعرضون الباقون منهم، كأنه قيل: ثم يتولى العلماء والأتباع معرضون عن القبول من النبي ﷺ لأجل تولي علمائهم.

---

(١) أسباب نزول القرآن، علي الواحدي، ١٠٢/١.

(٢) الجامع لأحكام القرآن، محمد القرطبي، ٥٠/٤.

(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن السعدي، ص: ١٢٦، بتصرف.

(٤) زاد المسير في علم التفسير، جمال الدين الجوزي، ١/ ٢٦٩.

والثاني: أن المتولي والمعرض هو ذلك الفريق، فهو متولي عن استماع الحجة في ذلك المقام، ومعرض عن استماع سائر الحجج في سائر المسائل والمطالب، كأنه قيل: لا تظن أنه تولى عن هذه المسألة بل هو معرض عن الكل[١].

كذلك من أشد الخذلان، وأفدح الخسران، الإعراض عن ذكر الله تعالى، وانقطاع الاتصال به، قال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا ﴾ (طه: ١٢٤) .

" إنه ضنك الانقطاع عن الاتصال بالله والاطمئنان إلى حماه، ضنك الحيرة والقلق والشك، ضنك الحرص والحذر: الحرص على ما في اليد والحذر من الفوت، ضنك الجري وراء بارق المطامع والحسرة على كل ما يفوت. وما يشعر القلب بطمأنينة الاستقرار إلا في رحاب الله"[٢].

فهم قوم ديدنهم الإعراض عن الحق، والإصرار على الباطل، فالواجب على كل أحد إذا دعي إلى كتاب الله أن يسمع ويطيع وينقاد، كما قال تعالى ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ﴾ (النور:٥١) لا كما يفعل المشركين المعاندين، بالرغم من ذكائهم إلا أنهم عند سماعهم كلمة الحق، لا يعطوها آذاناً واعية، ولا ينتفعون بما يسمعون، ولا ينقادون إلى الحق، فيكونوا بمنزلة من لا يسمع ولا يفهم، قال تعالى: ﴿ وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴾ (الأنفال:٢٣)

" فقد أفسدوا استعداداتهم الفطرية للتلقي والاستجابة فلم يفتح الله عليهم ما أغلقوا هم من قلوبهم، وما أفسدوا هم من فطرتهم. ولو جعلهم الله يدركون بعقولهم حقيقة ما يدعون إليه، ما فتحوا قلوبهم له ولا استجابوا لما فهموا.. لأن العقل قد يدرك، ولكن القلب المطموس لا يستجيب.

فحتى لو أسمعهم الله سماع الفهم لتولوا هم عن الاستجابة، والاستجابة هي السماع الصحيح. وكم من ناس تفهم عقولهم ولكن قلوبهم مطموسة لا تستجيب!"[٣]

وصفهم الخطيب بقوله: " هذه قلوب لا تقبل خيراً، ولا تمسك به، ولهذا ختم الله عليها، فلم يسمعها كلماته، ولو أنها سمعت كلمات الله ما قبلتها ولا استجابت لها"[٤].

---

(١) مفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي، ٧/ ١٧٩.

(٢) في ظلال القرآن، سيد قطب، ٤/ ٢٣٥٥.

(٣) المرجع السابق، ٣/ ١٤٩٣.

(٤) التفسير القرآني للقرآن ، عبد الكريم الخطيب، ٤/ ١٣٩.

ويذكر في هذه الآية أيضاً تولي آخر للكافرين عن آيات الله وإعراضهم عنها فيقول تعالى: ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِىٓ أُذُنَيْهِ وَقْرًا ۖ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ (لقمان:٧).

وهنا وصف الله تعالى هؤلاء المضلين بالإمعان في الضلال والكفر، وازدياد الإعراض والنفور عن دين الله، فقال: إذا تليت عليه الآيات القرآنية ولى عنها وأعرض وأدبر وتصامم وما به من صمم، كأنه ما سمعها لأنه يتأذى بسماعها إذ لا انتفاع له بها، وإذا كان قد أصم أذنيه عن سماع الهدى، فإنه لن يستطيع أن يصمّها عن هذه البشرى التي تزف إليه..

فلا أحدٌ يصمّ أذنيه عن حديث يحمل إليه بشرى مسعدة.. ويا لها من بشرى.. إنها العذاب الأليم! وفي إقامة البشرى مقام النّذير، إعجاز من إعجاز القرآن.. حيث يستدعى بهذه البشرى، ذلك الذي أصم أذنيه عن سماع آيات الله، ومضى إلى حيث يأخذ مكانه في مجلس اللهو والضلال.. ثم ما إن يتوقف عند سماع كلمة البشرى ويفتح أذنيه لها، حتى تحمل إليه معها ما يسوؤه، فيسمعه مكرها(١).

كأنه ما سمعها، وكأن في أذنيه صمماً وثقلاً لأنه يتأذى بها، ولا ينتفع منها، ولا أرب له فيها، فبشر هذا المعرض بعذاب يؤلمه يوم القيامة، كما تألم بسماع كتاب الله وآياته(٢).

٢) إعراض الكفار عن آيات الله في الكون.

وهنا نتحدث عن جولة في الكون المعروض للأنظار، والقلوب غافلة عن آياته الكبار، نتحدث عن أوضاع عناد الكافرين وردهم الآيات بغير حجة، لأنهم لما رأوا القمر منشقاً قالوا: هذا سحر، ولما وجدوا القرآن معجزة سما ببلاغته عن فنون كلامهم وقولهم، قالوا: هذا أساطير الأولين(٣).

فالآيات الكونية تدل على توحيد الله تعالى، كما أن الآيات القرآنية تدل على إعجاز القرآن، وأنه من عند الله سبحانه، فلزم العباد أن يعملوا بها ولكن أهل الكفر يعرضون عنها ﴿ وَءَاتَيْنَٰهُمْ ءَايَٰتِنَا فَكَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴾ (الحجر:٨١).

ومن إخبار الله تعالى عن إعراضهم عن الآيات الكونية قوله تعالى ﴿وَكَأَيِّن مِّنْ ءَايَةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴾ (يوسف:١٠٥).

---

(١) التفسير القرآني للقرآن، عبد الكريم الخطيب، ١١/ ٥٥٩.
(٢) تفسير القرآن العظيم، إسماعيل بن كثير ٣٣٢/٦.
(٣) انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب، ٤/ ٢٣٧٥.

"كم من آية في السماوات والأرض يمرون عليها وهم عنها معرضون! فكم من آية في السماوات تدل على قدرة الله وعلى وحدانية الله سبحانه وتعالى، فثم رعد وبرق ونجوم وشمس وقمر ورياح.. كل ذلك في السماوات، وكذلك في الأرض آيات تدعو إلى التفكر.. جبال رواسٍ، معادن كامنة في بطن الأرض، ذهب يستخرج، حديد فيه بأس شديد، فضة يتزين بها، بحار وأشجار كذلك.. إنها أمور تدعو إلى التفكر والتدبر.

وآيات أخرى في السماء ناطقة بقدرة الله، شاهدة على علمه وحكمته.. ببنائها القائم، وبما تتزين به من كواكب ونجوم.. ولكن هؤلاء الضالين، المشركين، فى غفلة عن تلك الآيات الباهرة، لا يلقون إليها نظراً، ولا يديرون نحوها عقلاً.."[1]، قال تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَآءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا ۖ وَهُمْ عَنْ ءَايَٰتِهَا مُعْرِضُونَ ﴾ (الأنبياء: ٣٢)

وأي جهل أعظم من جهل من أعرض عما خلق الله فيها من الشمس والقمر والنجوم، وكيفية حركاتها في أفلاكها ومطالعها ومغاربها، والترتيب العجيب الدال على الحكمة البالغة والقدرة القاهرة، ولم يذهب به وهمه إلى تدبرها والاعتبار بها والاستدلال على عظمة شأن من أوجدها عن عدم، ودبرها ونصبها هذه النصبة، وأودعها ما أودعها مما لا يعرف كنهه إلا هو، عزت قدرته ولطف علمه؟؟[2]

٣) الإعراض عن الوعظ:

ومن إخبار الله تعالى في إعراضهم عن الآيات القرآنية قوله تعالى ﴿بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَن ذِكْرِهِم مُّعْرِضُونَ ﴾ (المؤمنون:٧١) ويتكرر منهم الإعراض مع كل آية قرآنية يوعظون بها ﴿ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ مُحْدَثٍ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهُ مُعْرِضِينَ ﴾ (الشعراء:٥)، قال تعالى﴿ فَمَا لَهُمْ عَنِ ٱلتَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ ﴾ (المدثر: ٤٩)[3].

٤) الإعراض عن الحقّ وعدم الإذعان له:

إن إعراض أكثر الناس عن آيات الله في الآفاق كإعراضهم عن آياته القرآنية، هو سبب جهلهم وشركهم وشرهم وفسادهم، قال تعالى: ﴿ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْحَقَّ فَهُم مُّعْرِضُونَ ﴾

(١) التفسير القرآني للقرآن، عبد الكريم الخطيب، ٩/ ٨٦٩.

(٢) انظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، محمود الزمخشري، ٣/ ١١٥.

(٣) الإعراض عن الله تعالى (١) معناه وأنواعه وأسبابه، إبراهيم الحقيل، موقع طريق الإسلام، http://ar.islamway .

(الأنبياء:٢٤) فأكثر أهل الباطل جهلوا الحق فأعرضوا عنه، وقليل من أهل الباطل عرفوا الحق فجحدوه؛ ولذا فإن المعرضين في تاريخ البشر أكثر من الجاحدين.

"فالله ﷻ حكم عليهم بأن أكثرهم لا يعلمون الحق لإعراضهم عنه، وليس المعنى فهم معرضون؛ لأنهم لا يعلمون، بل المعنى فهم معرضون ولذلك لا يعلمون الحق. والظاهر أن الإعراض متسبب عن انتفاء العلم لما فقدوا التمييز بين الحق والباطل أعرضوا عن الحق"[١] .

"قال تعالى: ﴿ وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴾ (الأنعام:٤)، فقد أعرضوا عن الله تعالى بعد إيضاح الحجة لهم، وارتفاع الجهل عنهم، فهم يكذبون بآيات الله تعالى ويعرضون عن دينه"[٢].

٥) الإعراض عن الله سبب للعقوبات في الدنيا والآخرة:

وقد أنذر الله تعالى الكافرين بالعذاب في الدنيا، وبالحساب في الآخرة، ولكنهم يعرضون عن هذا الإنذار، ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَمَّآ أُنذِرُوا۟ مُعْرِضُونَ ﴾ (الأحقاف:٣).

"فعدم قابلية الإيمان عندهم أنهم لا خير فيهم، ليدخل الإيمان بسببه إلى قلوبهم، فلم يسمعهم سماع إفهام ينتفعون به، وإن سمعوه سماعاً تقوم به عليهم حجته، فسماع الفهم الذي سمعه المؤمنون لم يحصل لهم، وأخبر سبحانه عن مانع آخر قام بقلوبهم، يمنعهم من الإيمان لو أسمعهم هذا السماع الخاص، وهو الكبر التولي والاعراض.

فالأول: مانع من الفهم.

والثاني: مانع من الانقياد والإذعان.

فأفهامهم سيئة وقصودهم رديئة وهذه سمة الضلال وعلم الشقاء، أما سمة الهدى وعلم السعادة فهم صحيح، وقصد صالح"[٣].

٦) الإعراض عن الحساب:

وبعد تمادي هؤلاء الكفار في غيهم وضلالهم فإذا بالحساب يقترب منهم، والآيات تُعرض، وهم معرضون عن التفكر والهدى، قال تعالى:﴿ ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ﴾ (الأنبياء:١).

---

(١) البحر المحيط في التفسير، محمد بن حيان، ٧/ ٤٢٢.

(٢) الإعراض عن الله تعالى (١) معناه وأنواعه وأسبابه، إبراهيم الحقيل، موقع طريق الإسلام،http://ar.islamway .

(٣) تفسير القرآن الكريم، لابن قيم الجوزية، ص: ٣١٣.

قال أبو حيان- رحمه الله-: (...الغفلة عن الشيء، والإعراض عنه متنافيان، لكن يجمع بينهما باختلاف حالين، أخبر عنهم، أولاً: أنهم لا يتفكرون في عاقبة بل هم غافلون عما يؤول إليه أمرهم، ثم أخبر ثانياً، أنهم إذا نبهوا من سنة الغفلة وذكروا بما يؤول إليه أمر المحسن والمسيء أعرضوا عنه ولم يبالوا بذلك)[١].

المظهر الثالث- اعتداؤهم على من يتلو آيات الله:

أولاً- تعريف الاعتداء لغة واصطلاحاً:

١) الاعتداء لغة:

"الاعتداء: عدا عَدْوًا وعَدَاءً وعُدْوَانًا من العدو ، بمعنى الظلم ومجاوزة الحدّ والحقّ ، يقال: اعتدى عليه إذا ظلمه، واعتدى على حقّه ، أي جاوز إليه بغير حقّ، والمعتدون: المجاوزون ما أمروا به"[٢].

٢) الإعتداء اصطلاحاً:

وردت عدة تعريفات للفظ العدوان، فالإعتداء والعدوان بمعنى واحد:

قال الشوكاني: "العدوان هو الظلم المتعدي إلى الغير، أو مجاوزة الحد في الذنوب"[٣].

العدوان: "أسوأ الاعتداء في قول أو فعل أو حال"[٤].

ثانياً: لفظ الإعتداء في الآيات القرآنية:

ورد لفظ الإعتداء والعدوان ومشتقاتهم في السياق القرآني ما يقارب الثلاثين مرة[٥]، أما لفظ يسطون التي سيأتي الحديث عنها بعد قليل مرة واحدة وهي بمعنى اعتداؤهم على من يتلون آيات الله ﷻ.

اعتداء الكافرين.. هو حالة جديدة لأهل الضلال، فمع كل دعوة راشدة، وفى وجه كلّ كلمة طيبة.. يزورون الحق، ويضيقون ذرعا بالهدى- فشأنهم شأن المدمن على منكر من المنكرات..

---

(١) البحر المحيط في التفسير، محمد بن حيان، ٧/ ٤٠٧.

(٢) المفردات، الراغب الأصفهاني، ٥٥٣/١، لسان العرب، جمال الدين بن منظور، ٩٢/٩، المصباح المنير، أحمد الفيومي، ٣٩٧/١، معجم لغة الفقهاء، محمد قلعجي، ١/ ٧٥.

(٣) فتح القدير، محمد الشوكاني، ٦٤/٢.

(٤) التوقيف على مهمات التعاريف، زين الدين بن زين العابدين، ١/ ٢٣٨.

(٥) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن، محمد عبد الباقي، ص: ٤٤٩.

يؤذيه الحديث الذي يكشف له عن وجه هذا المنكر، وعن سوء مغبته، وما يجرّ عليه من فساد لعقله، وجسده، وماله.. هي صورة عناد المشركين عند سماعهم لآيات الله، فتبدو على وجوههم دلائل الغيظ والغضب، وتمتلئ قلوبهم فجوراً ونشوزاً وإنكاراً، فيدفعهم حقدهم لأن يتهجموا على من يتلوا القرآن، ويسمعهم إياها ..

قال تعالى: ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ تَعْرِفُ فِى وُجُوهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْمُنكَرَ ۖ يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِٱلَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا ۗ قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكُمُ ٱلنَّارُ ۖ وَعَدَهَا ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴾ (الحج:٧٢).

هذه الآية تبين حال الكفار عند سماعهم لآيات الله ﷻ، فتقع كلماتها فى قلوبهم موقع النكر، فاشمأزوا منها، وضاقوا بها، فيظهر على وجوههم عُبُوساً وغضباً وانفعالاً، ينكر ما يسمعون، ويكاد أن يتحول الانفعال إلى نزوع غضبي يفتك بمَنْ يقرأ القرآن لما بداخلهم من شر وكراهية لما يتلى عليهم[١]، وهذا دليل على عدم قدرتهم على الرد بالحجة، وعدم قدرتهم أيضاً على الإيمان؛ لذلك يتقلَّبون بين غيظ وكراهية.

أما الضيق الذي يجدونه في صدورهم، هو شرّ وأذى يقع في أنفسهم، فيجدون ما تعرضه عليهم آيات الله من دواء لدائهم، هو ذاك الشرّ الذي يصرفهم عن الحياة والعيش مع هذا الداء المتمكن منهم..[٢]

فقل يا محمد لهؤلاء المشركين مقابلة لوعيدهم: ألا أخبركم بشر من غيظكم الذي ملأ قلوبكم؟ هو النار التي وعدها الله للكافرين، فعذابها ونكالها أشد وأشق وأعظم مما تنالون منهم فعلاً، وبئس النار موئلاً ومقاماً لكم[٣].

وها هي صورة لاعتدائهم على أول من جهر بالقرآن بمكة، عبد الله بن مسعود ﷺ، فعن عروة بن الزبير، عن أبيه، قال: "كان أول من جهر بالقرآن بعد رسول الله ﷺ بمكة عبد الله بن مسعود ﷺ قال: اجتمع يوما أصحاب رسول الله ﷺ فقالوا: والله ما سمعت قريش هذا القرآن يجهر لها به قط، فمن رجل يسمعهموه؟ فقال عبد الله بن مسعود أنا، قالوا: إنا نخشاهم عليك، إنما نريد رجلا له عشيرة يمنعونه من القوم إن أرادوه؟ قال دعوني فإن الله سيمنعني. قال: فغدا ابن مسعود حتى أتى المقام في الضحى، وقريش في أنديتها، حتى قام عند المقام ثم قرأ:﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾،

(١) تفسير الشعراوي، محمد الشعراوي،١٦/ ٩٩٢٨.
(٢) التفسير القرآني للقرآن، عبد الكريم الخطيب، ٩/ ١٠٩٨.
(٣) التفسير المنير، وهبة الزحيلي، ١٧/ ٢٧٧.

رافعاً بها صوته: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ ۞ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ﴾ [الرحمن: ١، ٢] قال: ثم استقبلها يقرؤها. قال: فتأملوه فجعلوا يقولون: ماذا قال ابن أم عبد؟ قال: ثم قالوا: إنه ليتلو بعض ما جاء به محمد، فقاموا إليه فجعلوا يضربون في وجهه، وجعل يقرأ حتى بلغ منها ما شاء الله أن يبلغ. ثم انصرف إلى أصحابه وقد أثروا في وجهه، فقالوا له: هذا الذي خشينا عليك؛ فقال: ما كان أعداء الله أهون علي منهم الآن، ولئن شئتم لأغادينهم بمثلها غدا؛ قالوا لا، حسبك، قد أسمعتهم ما يكرهون"(١).

فمن شدة تأثرهم بالآيات القرآنية فقدوا سيطرتهم على أنفسهم وبدا ذلك واضحاً جلياً من خلال قيامهم بالإعتداء على عبد الله بالضرب المبرح .

المظهر الرابع- جحود وعناد:

أولاً- تعريف الجحود لغة واصطلاحاً:

١) الجحود لغة:

"الجحود والجحد مصدر قولهم: جحد يجحد جحداً وجحوداً: وهو مأخوذ من مادّة (ج ح د) الّتي تدلّ على قلّة الخير، يقال: عام جحد: قليل المطر، ورجُلٌ جَحْدٌ: قليلُ الخير، والجَحدُ: من الضيِّق والشُحِّ"(٢).

اسْتعْمل مِنْهَا: "جحد الرجل يجْحَد جحُودًا إذا أنكر مَا عَلَيْهِ من حق، الجحود: الإنكار مع العلم، وهي أيضاً ضدُّ الاقرار كالانكار والمعرفة قال الله ﷻ: ﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسۡتَيۡقَنَتۡهَآ أَنفُسُهُمۡ﴾ (النمل: ١٤)" (٣).

٢) الجحود اصطلاحاً:

قال الجرجانيّ: "هو عبارة عن الإخبار عن ترك الفعل في الماضي"(٤) .

يقول الرّاغب: "الجحود: نفي ما في القلب إثباته، وإثبات ما في القلب نفيه كما قال تعالى: ﴿فَإِنَّهُمۡ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجۡحَدُونَ﴾ (الأنعام: ٣٣)"(٥).

---

(١) السيرة النبوية، عبد الملك ابن هشام، ١/ ٢٧٥.

(٢) العين، الخليل الفراهيدي، ٣/ ٧٢، تهذيب اللغة، محمد الهروي،٤/ ٧٧.

(٣) الصحاح، اسماعيل الفارابي، ٢/ ٤٥١، جمهرة اللغة، محمد الأزدي، ١/ ٤٣٥.

(٤) التعريفات، علي الجرجاني، ٧٤/١.

(٥) المفردات، الراغب الأصفهاني: ١٨٧/١.

وقال المناويّ: "الجحد إنكار ما سبق له وجود، وهو خلاف النّفي"[١] .

ثانياً- لفظ الجحود في الآيات القرآنية:

جاء لفظ الجحود ومشتقاته في السياق القرآني إثنا عشرة مرة[٢]، سيأتي ذكرها حلال الحديث التالي.

إن الكفار لم يكونوا يشكون في صدق محمد ﷺ فلقد عرفوه صادقاً أميناً، ولم يعلموا عنه كذبة واحدة في حياته الطويلة، ولم تكن تلك الطبقة التي تزعم معارضته تشك في صدق رسالته، وفي أن هذا القرآن ليس من كلام البشر، ولا يملك البشر أن يأتوا بمثله.. فهم عرفوا وجه الحق فيه، ولكن يأبى عليهم كبرهم وعنادهم أن يخرجوا عن مألوف عادته، وأن يتقبل الدّين الجديد ويتركوا مخلفات الآباء والأجداد.. إنهم لم يرفضوا لأنهم يكذبون النبي- صلى الله عليه وسلم- ولكن لأن في دعوته خطرا على نفوذهم ومكانتهم..[٣]

وهذا ما يشير إليه قوله تعالى: ﴿ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ ۖ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴾ (الأنعام: ٣٣).

"كان أعداء الإسلام لغرورهم بقوتهم يكذبون بوعد الله، وكان ذلك مما يحزنه عليه السلام، والحزن يلم بالنفس عند فقد محبوب أو امتناع مرغوب، أو حدوث مكروه، وتجب معالجته بالتسلي والتأسي وإن كان بالحق للحق كحزن الكاملين على إصرار الكافرين على الكفر، وقد أثبت الله تعالى لرسوله هذا الحزن إثباتاً مؤكداً عن ما كان يعرض له عليه السلام أما قوله: ﴿ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ ﴾ فقد ذكر في نفي التكذيب والإكذاب مع إثبات الجحود أربعة أوجه:

أحدها: قول أبو صالح، وقتادة، والسدي: فإنهم لا يكذبونك بحجة ، وإنما هو تكذيب بهت وعناد، فلا يحزنك، فإنه لا يضرك.

والثاني: قال ناجية بن كعب: فإنهم لا يكذبون قولك لعلمهم بصدقك ، ولكن يكذبون ما جئت به.

والثالث: قال الكلبي: لا يكذبونك في السر لعلمهم بصدقك ، ولكنهم يكذبونك في العلانية لعداوتهم لك.

---

(١) التوقيف، زين الدين بن زين العابدين، ١/١٢١.

(٢) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن، محمد عبد الباقي، ص: ١٦٤.

(٣) التفسير القرآني للقرآن، عبد الكريم الخطيب، ٦/ ١٠١٧، بتصرف.

والرابع: أن تكذيبهم لقولك ليس بتكذيب لك ، لأنك رسول مُبَلّغ ، وإنما هو تكذيب لآياتي الدالة على صدقك والموجبة لقبول قولك" (١).

فإن نفي التكذيب إنما يصدق على بعضهم كالجاحدين المعاندين دون جمهور الضالين الجاهلين ، وإنما كان الجحود من الرؤساء المستكبرين ظلماً وعناداً على علم ومن المقلدين جهلا واحتقارا منهم لأنفسهم بترك النظر وغلوا في ثقتهم بكبرائهم وآبائهم

والسبب الذي من أجله قرروا الجحود بآيات الله، والبقاء على الشرك الذي كانوا فيه.. "حينما التقى الأخنس وأبو جهل، فخلا الأخنس بأبي جهل، فقال: يا أبا الحكم، أخبرني عن محمد، أصادق هو أم كاذب؟ فإنه ليس ههنا من قريش أحد غيري وغيرك يسمع كلامنا! فقال أبو جهل: وَيْحك، والله إن محمدًا لصادق، وما كذب محمّد قط، ولكن إذا ذهب بنو قُصَيٍّ باللواء والحجابة والسقاية والنبوة، فماذا يكون لسائر قريش؟ فذلك قوله:"فإنهم لا يكذّبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون"،"فآيات الله"، محمدﷺ" (٢).

وعن ناجية بن كعب: أنّ أبا جهل قال للنبي ﷺ: إنّا لا نكذبك، ولكن نكذب الذي جئت به! فأنزل الله تعالى ذكره: "فإنهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون"(٣).

"فآيات هذا القرآن واضحة الدلائل على الحق، يجدونها بينة في صدورهم، مستقرة في قلوب العلماء من أهل الكتاب وغيرهم، والعلم الذي يستحق هذا الاسم، هو الذي تجده الصدور في قرارتها، مستقراً فيها، منبعثاً منها يكشف لها الطريق، ويصلها بالخيط الواصل إلى هناك! فقال تعالى: ﴿ بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ (العنكبوت:٤٩)، الذين لا يعدلون في تقدير الحقائق وتقويم الأمور، والذين يتجاوزون الحق والصراط المستقيم"(٤).

وقد أوضح المولى- عزّ وجلّ- أنّ الجحود من عوامل الاستكبار والغرور فقال سبحانه: ﴿ فَأَمَّا عَادٌ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَقَالُوا۟ مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً ۖ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ ﴾ (فصلت: ١٥) .

---

(١) النكت والعيون، علي الماوردي، ٢/ ١٠٧، بتصرف.

(٢) جامع البيان، محمد الطبري، ١١/ ٣٣٣.

(٣) توفيق الرحمن في دروس القرآن، فيصل النجدي، ٢/ ١٣٢.

(٤) انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب، ٥/ ٢٧٤٦.

وقد كان هذا الجحود سبباً للعنة قوم عاد وإبعادهم، قال تعالى: ﴿ وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ۞ وَأُتْبِعُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا إِنَّ عَادًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لِعَادٍ قَوْمِ هُودٍ ﴾ (هود: ٥٩- ٦٠).

كما أن الجاحد بآيات الله لن يغني عنه سمعه ولا بصره، ولا فؤاده، وكأنّه حرم نفسه من نعمة الله الّتي أنعم الله بها عليه، يقول سبحانه: ﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَارًا وَأَفْئِدَةً فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَارُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُم مِّن شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ﴾ (الأحقاف: ٢٦)[١].

والنّتيجة الحتميّة للجحود هي الخلود في النّار وفوق ذلك فإنّهم أعداء لله فاستحقّوا بذلك الوعيد الشّديد: ﴿ ذَلِكَ جَزَاءُ أَعْدَاءِ اللَّهِ النَّارُ لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ جَزَاءً بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ ﴾ (فصلت: ٢٨) .

إذن هي الرغبة في الإنكار والإعراض، وهو العناد والاستكبار عن الحق، حيث ذكرت نماذج كثيرة تدل على عنادهم، كقصة هذا الضالّ العنيد_ الوليد بن المغيرة_ مع آيات الله التي تلاها عليه رسول الله، فكان يتلقاها بتلك المشاعر المتضاربة المضطربة، التي تتأرجح به بين التصديق والتكذيب والجحود والعناد، فقال تعالى عنه: ﴿﴿كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيدًا ﴾ (المدثر:١٦)، وقال تعالى:﴿ فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾ (يونس:٧٦)، وقوله: ﴿ فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾ (النمل:١٣)، وقوله تعالى : ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾(سبأ:٤٣)، وقوله :﴿ أَفَأَنتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ أَوْ تَهْدِي الْعُمْيَ وَمَن كَانَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ (الزخرف: ٤٠)، وقوله: ﴿ وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾ (الأحقاف:٧)

لهذا نعى القرآن الكريم على المشركين وأهل الكتاب جحودهم بآيات الله رغم معرفتهم بها، وشدّد النّكير عليهم فوسمهم بالظّلم حيناً كما في الآيات السابقة، وبالكفر حيناً حيث قال الله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ فَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمِنْ هَؤُلَاءِ مَن يُؤْمِنُ بِهِ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الْكَافِرُونَ ﴾ (العنكبوت:٤٧)[٢].

فإنزال الكتاب جاء مصدقاً لسائر الكتب السماوية، تحقيقا لقوله ﴿ فَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمِنْ هَؤُلَاءِ مَن يُؤْمِنُ بِهِ ﴾ (العنكبوت: ٤٧)، كعبد الله بن سلام ومن آمن معه، أو من تقدم عهد الرسول ﷺ من أهل الكتاب، ومن هؤلاء من العرب أو أهل مكة أو ممن في عهد الرسول

(١) انظر: الجحود، موقع منارة الإسلام.

(٢) موسوعة الصفات المذمومة، مكتبة المسجد النبوي الشريف.

من أهل الكتابين من يجحد بآيات الله، والجحود إنما يكون بعد المعرفة، فمن يجحد حقها إلا من يستر الحق بالباطل، ويطمس معالم الهداية والنور، ويعاند في كفره ويستكبر، فلا يؤمن بالله وحده، ولا يشكر نعمة الله عليه"(١).

كما وصف من يجحد بآيات الله أنّهم من أهل الإفك والختر، والختر: أسوأ الغدر جاحد لنعم الله كافر به (٢)، فقال تعالى: ﴿ كَذَٰلِكَ يُؤْفَكُ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴾ (غافر: ٦٣) ، وقال سبحانه: ﴿وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَـٰتِنَآ إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ ﴾ (لقمان: ٣٢).

المظهر الخامس- الصد عن سماع القرآن:

أولاً- الصدود لغة واصطلاحاً:

١) الصدود لغة:

"الصَّدُّ: الإعراض، يقال: صَدَّ يصُدُّ، وهو ميل إلى أحد الجانبين ، ثم تقول صددت فلاناً عن الأمر، إذا عَدَلْتُه عنه، والصد قد يكون انصرافاً عن الشيء ، وامتناعاً نحو ﴿إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴾ (الزخرف: ٥٧)، وقد يكون صرفاً ومنعاً ﴿ ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا ﴾ (هود: ١٩)، والصُدود : الإعراض ، ﴿يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ﴾ (النساء: ٦١)"(٣).

٢) الصدود اصطلاحاً:

فالصد: "هو الامتناع والانصراف عن الصراط القويم بنية الإعراض عنه، وعدم قبول الحق"(٤).

٣) لفظ الصدود في الآيات القرآنية:

وردت لفظة الصد ومشتقاتها في الآيات القرآنية، اثنان وأربعين مرة(٥)، سنذكر بعضاً منها خلال حديثنا التالي:

---

(١) أنوار التنزيل، ناصر الدين البيضاوي، ٤/ ١٩٦، لباب التأويل، علاء الدين الخازن، ٣٨٢/٣.

(٢) التفسير الواضح ، محمد الحجازي، ٣/ ٥٣.

(٣) مقاييس اللغة، لأحمد بن فارس، ٢٨٢/٣، المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، ١/ ٢٧٥، لسان العرب، لابن منظور، ٣/ ٢٤٠٩، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، محمد الفيروزأبادي، ٣/ ٣٩٠.

(٤) الصد عن سبيل الله في ضوء القرآن الكريم، د. عبد السلام اللوح، د. زكريا الزميلي، مكتبة الجامعة الإسلامية

(٥) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد عبد الباقي، ص: ٤٠٣.

يخبر الله ﷻعن مشركي قريش كيف استولى على قلوبهم الجحد والإنكار، وأصروا على العداوة والاحتيال، فقد أوصى كبراؤهم أنفسهم وأغروا أتباعهم بألا يستمعوا لهذا القرآن لأنه يغلب القلوب، ويسلب العقول، فكل من استمع إليه صبا فتبين عجزهم عن مغالبة أثر القرآن في أنفسهم وفي نفوس الجماهير.

قال تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَسۡمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ وَٱلۡغَوۡاْ فِيهِ لَعَلَّكُمۡ تَغۡلِبُونَ ﴾ (فصلت:٢٦).

فقد ذكر الماوردي ثلاثة أوجه في قوله ﴿لَا تَسۡمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ ﴾ وهي:

"لا تتعرضوا لسماعه، ولا تقبلوه، ولا تطيعوه من قولهم السمع والطاعة[١]. فهذه الآية نزلت في أبي جهل، وأصحابه، فإنه قال: إذا تلى محمد القرآن، فارفعوا أصواتكم، بالأشعار، والكلام في وجوههم، حتى تلبسوا عليهم فلا يدري ما يقول ، فذلك قوله: والغوا فيه يعني: الغطوا، واللغط هو الشغب، والجلب"[٢]

"قال مجاهد: والغوا فيه بالمكاء والتصفيق والتخليط في المنطق حتى يصير لغوا. وقال أبو العالية وابن عباس أيضا: قعوا فيه وعيبوه، لعلكم تغلبون محمدا على قراءته فلا يظهر ولا يستميل القلوب"[٣].

فهذا حال هؤلاء الجهلة من الكفار ومن سلك مسلكهم عند سماع القرآن وقد أمر الله ﷻعباده المؤمنين بخلاف ذلك، فقال الله تعالى: ﴿ وَإِذَا قُرِئَ ٱلۡقُرۡءَانُ فَٱسۡتَمِعُواْ لَهُۥ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ﴾ (الأعراف: ٢٠٤).

بعد ذلك يقول ﷻ: منتصراً للقرآن ومنتقماً ممن عاداه من أهل الكفران ﴿**فلنذيقن الذين كفروا عذابا شديدا**﴾ ، ففي مقابلة ما اعتمدوه في القرآن وعند سماعهم، لنجزينهم أسوأ الذي كانوا يعملون بشر أعمالهم وسيئ أفعالهم، ذلك جزاء أعداء الله النار لهم فيها دار الخلد جزاء بما كانوا بآياتنا يجحدون[٤].

فبعد إعراضهم عن القرآن، وعمل ما بوسعهم لعدم سماع آياته، جعلوا بينهم وبينه حجاباً ولذلك قال تعالى : ﴿فَأَعۡرَضَ أَكۡثَرُهُمۡ فَهُمۡ لَا يَسۡمَعُونَ ۞ وَقَالُواْ قُلُوبُنَا فِيٓ أَكِنَّةٖ مِّمَّا تَدۡعُونَآ إِلَيۡهِ وَفِيٓ ءَاذَانِنَا وَقۡرٞ وَمِنۢ بَيۡنِنَا وَبَيۡنِكَ حِجَابٞ فَٱعۡمَلۡ إِنَّنَا عَٰمِلُونَ ﴾ (فصلت:٤-٥).

---

(١) النكت والعيون، علي الماوردي، ٥/ ١٧٨.

(٢) بحر العلوم، نصر السمرقندي، ٣/ ٢٢٤.

(٣) الجامع لأحكام القرآن، محمد القرطبي، ١٥/ ٣٥٦.

(٤) تفسير القرآن العظيم، اسماعيل بن كثير، ٧/ ١٥٩.

"فيحتمل اعراضهم عنه وجهان هما:

أحدهما: أي: أعرضوا عن التفكر فيه والتأمل.

والثاني: أعرضوا عن اتباعه بعدما تأملوا فيه وتفكروا، وعرفوا أنه حق وأنه من الله تعالى، لكنهم تركوا اتباعه عنادًا منهم ومكابرة؛ حذرا عن ذهاب الرياسة"(١).

فإعراض أكثرهم عن هداياته لاستحواذ الشيطان عليهم، فهم لا يسمعون سماع تدبر واتعاظ، وإنما يسمعون بقلوب قاسية، وعقول خالية من إدراك معانيه، ومن الاستجابة له. ونفى ﷻ سماعهم له، مع أنهم كانوا يسمعون من الرسول ﷺ ومن أصحابه، لأنهم لما سمعوه ولم يؤمنوا به.. صار سماعهم بمنزلة عدمه.

"بعدها بين تلك الأقوال التي تدل على توغلهم في الكفر والعناد، وصرحوا بهذه المباعدة بذكر ثلاثة أمور:

أولاهما: أنهم قالوا قلوبنا في أكنة مما تدعونا إليه، وأكنة جمع كنان كأغطية جمع غطاء، والكنان هو الذي يجعل فيه السهام .

وثانيها: قولهم وفي آذاننا وقر، أي صمم وثقل يمنع من استماع قولك .

وثالثها: قولهم ومن بيننا وبينك حجاب والحجاب هو الذي يمنع من الرؤية.

ومما يدلل على قوة هذا الحجاب، لفظ (من) كأن المعنى: أن الحجاب ابتدأ منا وابتدأ منك، فالمسافة الحاصلة بيننا وبينك مستوعبة بالحجاب" (٢).

فمن ضلال هؤلاء الكافرين المعرضين عن دعوة الحق، فقد أخبروا النبي ﷺ بأنهم أحكموا إغلاق الطرق والنوافذ، بينهم وبين الرسول عليه السلام، فلم يتركو منفذاً تنفذ منه كلماته إليهم..

ولقد أحكموا إغلاق قلوبهم فكستها أغطية متكاثفة جعلتها لا تفقه ما يقوله لهم وإذا سمعت آذانهم شيئا من هذا القرآن لم تنفذ إلى قلوبهم، التي هى موطن الوعى والإدراك وزيادة فى الاحتياط، جعلوا في آذانهم صمم يحول بينهم وبين سماع حديثه بعد ذلك أرادوا أن يبعدوا أنفسهم عن مواطن الخطر جملة فجعلوا بينهم وبين النبي حاجبا غليظا يحجب التواصل والتلاقي بينهم، ثم قالوا للرسول عليه السلام ما دام حالنا وحالك كذلك فاعمل ما شئت فيما يتعلق بدينك، ونحن من جانبنا سنعمل ما شئنا فيما يتعلق بديننا.

---

(١) تأويلات أهل السنة، محمد الماتريدي، ٩/ ٥٩.

(٢) مفاتيح الغيب، محمد الرازي، ٢٧/ ٥٤٠.

هذا أمر في الناس جميعاً، وداء أصاب العالم أجمع، يقترب الحساب، والناس عنه غافلون، وله ناسون وتاركون، شغلتهم أموالهم وأهلوهم، وهم معرضون ومضربون عما فيه خيرهم، وبه سعادتهم في الدنيا والآخرة!!

قال تعالى: ﴿ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ۝ مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا ٱسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾ (الأنبياء:١-٢).

"إذن هي صورة النفوس الفارغة التي لا تعرف الجد، فتلهو في أخطر المواقف، حتى تضعف في مواطن الجد، فأمثال هؤلاء يواجهون ما ينزل من القرآن ليكون دستور الحياة، ومنهج العمل، باللعب فلم يفقهوا معانيه فيكون حظهم منه سماع ألفاظه كقوله تعالى: ﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً ۚ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ (البقرة: ١٧١).

فهذه أوصاف المشركين المعاصرين للنبي خاصة، لأنها نزلت بمكة وكان أكثر أهلها أهل شرك، ولا يعني ذلك أن زماننا هذا قد يخلوا من أمثالهم"(١).

فغفلة الكفرة غفلة تكذيب، وإعراضهم إعراض تكذيب بالحساب والآيات التي أنزلها عليهم، بينما كان المؤمنون يتلقون هذه الآيات بالاهتمام الذي يذهل القلوب عن الدنيا وما فيها: "فقد جاء في ترجمة عامر بن ربيعة، أنه كان قد نزل به رجل من العرب فأكرم مثواه.. ثم جاءه هذا الرجل وقد أصاب أرضا فقال له: إني استقطعت من رسول الله ﷺ وادياً في العرب، وقد أردت أن أقطع لك منه قطعة تكون لك ولعقبك من بعدك، فقال عامر: لا حاجة لي في قطيعتك.

نزلت اليوم سورة أذهلتنا عن الدنيا: ﴿ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ﴾ "(٢)، "وهذا هو فرق ما بين القلوب الحية المتلقية المتأثرة، والقلوب الميتة المغلقة الخامدة، التي تكفن ميتتها باللهو، وتواري خمودها بالاستهتار، ولا تتأثر بالذكر لأنها خاوية من مقومات الحياة" (٣).

﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا ٱسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾

"فهذا شأن الغافلين.. تطرق أسماعهم دعوات متتابعة، مجدّدة، تجيئهم من كل جانب، وتطلع عليهم من كل أفق.. فتنزل من آيات الله، حالا بعد حال، ويتجدّد زمنا بعد زمن.. وهؤلاء

(١) في ظلال القرآن، سيد قطب، ٢٣٦٧/٤.
(٢) تفسير القرآن العظيم، اسماعيل ابن كثير، ٣٣٢/٥.
(٣) في ظلال القرآن، سيد قطب، ٢٣٦٧/٤.

المشركون الغافلون على حال واحدة، مع كل ما ينزل من آيات الله يسمعونها بآذان لا تصغى إلى حق، وبقلوب لا تتفتح لقبول خير.."[١].

المظهر السادس- اشمئزاز القلوب:

أولاً- تعريف الاشمئزاز لغة واصطلاحاً:

١) الاشمئزاز لغة:

"الاشمئزاز: مأخوذ من الشّمز وهو التّقبّض، يقال: اشمأزّ اشمئزازا، أي انقبض واجتمع بعضه إلى بعض، وقيل: معناه: ذعر من الشّيء، أمّا قول الله تعالى: ﴿ وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحْدَهُ ٱشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ ﴾ (الزمر: ٤٥) فمعناه أنّ المشركين كانوا إذا قيل لهم: «لا إله إلّا الله» نفروا وكفروا، وقال قتادة: معنى اشمأزّت: نفرت واستكبرت وكفرت وتعصّت[٢]، وقال القرطبيّ: وأصل الاشمئزاز: النّفور والازورار"[٣]. .

٢) الاشمئزاز اصطلاحاً:

الاشمئزاز عند ابن عاشور: "هو شدة الكراهية والنفور، أي كرهت ذلك قلوبهم ومداركهم"[٤]. الاشمئزاز عند المراغي: "أن يمتلىء القلب غيظاً وغما ينقبض عنهما أديم الوجه كما يرى في وجه العابس المحزون"[٥].

وعرف عدد من العلماء الاشمئزاز بأنه: "نفور النّفس واستكبارها عن قبول الحقّ مع إبراز ما يدلّ على ذلك من تقبّض الوجه والازورار، لإظهار الكراهة"[٦].

ثانياً: اشمئزاز القلوب في الآيات القرآنية:

لم يذكر لفظ الاشمئزاز في السياق القرآني إلا في هذه الآية :

يقول تعالى: ﴿ وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحْدَهُ ٱشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴾ (الزمر:٤٥).

---

(١) التفسير القرآني للقرآن عبد الكريم الخطيب، ٩/ ٨٤٧.
(٢) تهذيب اللغة، محمد الهروي، ١١/ ٢١٠، لسان العرب، جمال الدين بن منظور، ٥/ ٣٦٢.
(٣) الجامع لأحكام القرآن، محمد القرطبي، ١٥/ ٢٦٤.
(٤) التحرير والتنوير، محمد بن عاشور، ٢٨/٢٤.
(٥) تفسير المراغي، أحمد المراغي، ٢٤/ ١١.
(٦) نضرة النعيم، لعدد من المختصين، بإشراف: صالح حميد، ٤١٣٣/٩.

آية تصف حال المشركين إذا ذكرت آلهتهم وما لها من شفاعة عند الله، يفرحون ويستبشرون لفرط افتتانهم بها، ونسيانهم حق الله تعالى ، وينقبضون وينفرون ويجزعون إذا ذكرت كلمة التوحيد.

فهم يعرفون الله، ويؤمنون بأن على هذا الوجود إلهاً واحداً.. ولكنهم يتخذون معه آلهة أخرى، هى عندهم دون الله جلالاً وقدراً.. إنها قربان يتقربون بها إلى الله..

"والتعبير بالاشمئزاز والاستبشار، يشعر بأنهم قد بلغوا الغاية في الأمرين، فهم عند ذكر الله ﷻ تمتلئ قلوبهم إلى نهايتها غماً وهماً وانقباضاً وذعراً، وعند ذكر أصنامهم تمتلئ قلوبهم إلى نهايتها بهجةً وسروراً، حتى لتظهر آثار ذلك على بشرتهم ..."[١] ، "فالإستبشار: أن يمتلئ قلبه سروراً حتى تنبسط له بشرة وجهه، ويظهر أثره عليه، والاشمئزاز: أن يمتلئ غماً حتى ينقبض أديم وجهه، كما يرى في وجه العابس المحزون.

ومقابلة الاشمئزاز بالاستبشار مطابقة كاملة لأن الاشمئزاز غاية الكراهية والاستبشار غاية الفرح"[٢].

"وحالهم هذا يدل على أنهم قد بلغوا الغاية في الجهالة والسفاهة والغفلة.. ولا يكون إيمان بالآخرة إلا بعد الإيمان بالله.. أما المشركون فهم يؤمنون بالله ويكفرون بالآخرة، إذ يستبعدون أن يحيى الله الناس بعد أن يصيروا تراباً.. وهذا قصور فى فهمهم، لجلال الله وقدرته"[٣].

"وقد عبر الله عن المشركين بأنهم لا يؤمنون بالآخرة: لأنهم عُرفوا بهذه الصلة بين الناس، مع قصد إعادة تذكيرهم بوقوع القيامة، وقد جيء بالمضارع في يستبشرون دون أن يقال: مستبشرون، لإفادة تجدد استبشارهم ومعالجته لهم، وهذا من فرط حبهم لآلهتهم.."[٤]

"وذكر الآلوسى ناعياً حال المسلمين اليوم: وقد رأينا كثيراً من الناس على نحو هذه الصفة التي وصف الله تعالى بها المشركين يهشون لذكر أموات يستغيثون بهم ويطلبون منهم، ويطربون من سماع حكايات كاذبة عنهم توافق أهواءهم ومعتقداتهم فيهم، ويعظمون من يحكم لهم ذلك، وينقبضون من ذكر الله تعالى وحده ونسبة الاستقلال بالتصرف إليه عز وجل، وسرد ما يدل على مزيد عظمته وجلاله، وينفرون ممن يفعل ذلك كل النفرة وينسبونه إلى ما يكره"[٥].

---

(١) التفسير الوسيط، محمد الطنطاوي، ١٢/ ٢٣١.

(٢) محاسن التأويل، محمد القاسمي، ٨/ ٢٩١، بتصرف.

(٣) التفسير القرآني للقرآن، عبد الكريم الخطيب، ١٢/ ١١٧٠، بتصرف.

(٤) التحرير والتنوير، محمد بن عاشور، ٢٨/٢٤، بتصرف.

(٥) روح المعاني، شهاب الدين الآلوسى، ١١/٢٤.

وهنا يعلق سيد قطب عليهم قائلاً: "هي حالة نفسية تتكرر في شتى البيئات والأزمان، فمن الناس من تشمئز قلوبهم وتنقبض نفوسهم كلما دعوا إلى الله وحده إلها، وإلى شريعة الله وحدها قانونا، وإلى منهج الله وحده نظاما. حتى إذا ذكرت المناهج الأرضية والنظم الأرضية والشرائع الأرضية هشوا وبشوا ورحبوا بالحديث، وفتحوا صدورهم للأخذ والرد، هؤلاء هم بعينهم الذين يصور الله نموذجاً منهم في هذه الآية، وهم بذاتهم في كل زمان ومكان، هم الممسوخو الفطرة، المنحرفو الطبيعة، الضالون المضلون، مهما تنوعت البيئات والأزمنة، ومهما تنوعت الأجناس والأقوام"(١).

المظهر السابع- الإزلاق بالأبصار:

أولاً- معني الإزلاق لغة واصطلاحاً:

١) الإزلاق لغة:

"يقال: زلقه يزلقه وأزلقه يزلقه إزلاقاً، إذا نحاه وأبعده، وهي بمعنى التنحية والإزالة، وذلك لا يكون في حق النبي ﷺ إلا بهلاكه وموته"(٢).

وقال القرطبي: "يقال زلق السهم وزهق، إذا نفذ، ولم أراه لغيره، يقال: زلق يزلق زلقاً، وأزلقت الفرس إزلاقاً، إذا ألقت ولدها قبل تمامه، ويقال: نظر فلان إلى فلان فأزلقه ببصره، إذا أحد النظر إليه نظر متسخط أو متغيظ، وكل مدحض لا تثبت القدم فيه فهو مزلق"(٣).

٢) الإزلاق اصطلاحاً:

قال الجزائري:" يزلقونك بأبصارهم: أي ينظرون إليك نظراً شديداً يكاد أن يصرعك"(٤)، وعن مجاهد:" أي ينفذونك بنظرهم"(٥).

قال ابن فارس: "حقيقة معناه أنه من حدة نظرهما حسدا، يكادون ينحونك عن مكانك"(٦). وقال الفراء: "ليزلقونك، يرمون بك ويزيلونك عن موضعك بأبصارهم"(٧)، "وبعض المفسرين يذهب إلى أنهم يصيبونك بأعينهم، كما يصيب العائن المعين"(٨).

---

(١) في ظلال القرآن، سيد قطب، ٥/ ٣٠٥٥.
(٢) الجامع لأحكام القرآن، محمد القرطبي، ١٨/ ٢٥٦.
(٣) جمهرة اللغة، محمد الأزدي، ٢/ ٨٢٢.
(٤) أيسر التفاسير، جابر الجزائري، ٥/ ٤١٧.
(٥) التحرير والتنوير، محمد بن عاشور، ٢٩/ ١٠٧.
(٦) مقاييس اللغة، أحمد بن فارس، ٣/ ٢١.
(٧) لسان العرب، جمال الدين بن منظور، ١٠/ ١٤٥.
(٨) تاج العروس، محمد الحسيني، ٢٥/ ٤١٣.

ويمكن تعريفه بأنه: "**حدة النظر ونفاذه اتجاه شخص ما، بقصد إزالتك عن موضعك وتنحيك عنه، حتي يصرعوك**".

ثانياً- الإزلاق بالأبصار في السياق القرآني:

لم يرد لفظ الإزلاق بالأبصار إلا في هذه الآية الكريمة:

نظرات ملتهبة كأنها سهام مسمومة، مليئة بالغيظ والحقد والحسد والانتقام، تحمل في ثناياها سب وشتم وافتراء، ينبعث من قلوب أولئك الكفار، متجهاً صوب الحبيب المختار، وكل تال لآيات العزيز الغفار.

قال تعالى ﴿وَإِن يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ﴾ (القلم:٥١).

إذن هي نظرات تكاد تؤثر في أقدام الرسولﷺ فتجعلها تزل وتزلق وتفقد توازنها على الأرض وثباتها، حتى إنهم لينقذونه بأبصارهم، فيصيبونه بالعين حتى كادوا اسقاطه، قال الهروي: "أراد ليعتانونك بعيونهم فيزيلونك عن مقامك الذي أقامك الله فيه عداوة لك"[١]، "وذلك أن الكفار أرادوا أن يصيبوا رسول الله ﷺ بالعين، فنظر إليه قوم من قريش وقالوا: ما رأينا مثله ولا مثل حججه"[٢].

"ثم إنهم إذا أردوا أن يصيبوا شيئا بأعينهم جاعوا ثلاثة أيام، ثم جاعوا ونظروا إلى ذلك الشيء قائلين: ما أحسنه من شيء! فكان يسقط المنظور في الوقت، وقد فعلوا ذلك بالنبي عليه السلام ، فقالوا: ما أفصحه من رجل! ولكنّ الله سبحانه حفظه، ومن بذكره عليه"[٣].

وعن ابن عباس عن النبي ﷺ قال: «**العين حق ولو كان شيء سابق القدر سبقته العين وإذا استغسلتم فاغسلوا**»[٤] .

فالنظرة الحاسدة ترمى المحسود، فى غفلة منه، فتصيب منه مقتلا.. لأنها نظرة منطلقة من قلب يغلى كمداً، وحسرة على ما بيد المحسود من نعمة الله.

وقال القشيري: "الإصابة بالعين إنما تكون مع الاستحسان، لا مع الكراهة والبغض، أما القرطبي فقال: ولا يمنع كراهة الشيء من أن يصاب بالعين عداوة له حتى يهلك.

---

(١) الجامع لأحكام القرآن، محمد القرطبي، ١٨/ ٢٥٦.

(٢) معالم التنزيل في تفسير القرآن، الحسين البغوي ، ٨/ ٢٠١.

(٣) لطائف الإشارات، عبد الكريم القشيري، ٣/ ٦٢٣.

(٤) صحيح مسلم، كتاب: السلام، باب: الطب والرقى، ح(٢١٨٨) ، ٤/١٧١٩.

وقد يكون في المعين، وإن كان مبغضاً عند العائن صفة يستحسنها العائن، فيعينه من تلك الصفة، لا سيما من تكون فيه صفات كمال"(١).

"وقد جاء يكاد بصيغة المضارع للدلالة على استمرار ذلك في المستقبل، وجاء فعل سمعوا ماضياً لوقوعه مع لما وللإشارة إلى أنه قد حصل منهم ذلك وليس مجرد فرض"(٢).

ثم قرن سبحانه النظر بسماع القرآن، لأنهم كانوا يكرهون ذلك أشد الكراهة ويحدون النظر إليه بالبغضاء، ويحسدونه على ما أوتي من النبوة، فهم لم يجدوا مدخلاً للطعن في القرآن الكريم، فانصرفوا إلى الطعن في صاحبه ﷺ، بأنه مجنون فينفروا من دعوته، وليترفعوا عن سماعه، لعلمهم انه ﷺ أتمهم فضلاً وأرجحهم عقلاً، فلذلك أبطل الله قولهم: إنه لمجنون بقوله: وما هو إلا ذكر للعالمين، أي ما القرآن إلا ذكر للناس كلهم، إنسهم وجنهم، فكيف ينسبون إلى الجن من جاء به ؟

"نعم.. هي الدعوة التي تقابل بالجحود، ويقابل رسولها بنظرات مسمومة، ويضيقون عليها من كل جانب، ورغم كل هذا تعلن عن عالميتها، كما هي طبيعتها وحقيقتها، فلم تكن هذه الصفة جديدة عليها حين انتصرت في المدينة، إنما كانت صفة مبكرة في أيام مكة الأولى، لأنها حقيقة ثابتة في صلب هذه الدعوة منذ نشأتها، كذلك اتجهت منذ أيامها الأولى، وكذلك تتجه إلى آخر الزمان، والله الذي أرادها كما أرادها هو صاحبها وراعيها، وهو المدافع عنها وحاميها، وهو الذي يتولى المعركة مع المكذبين. وليس على أصحابها إلا الصبر حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين"(٣).

المظهر الثامن- نفور وفرار:

أولاً- تعريف النفور لغة واصطلاحاً:

١) النفور لغة:

"نُفُورًا: تباعدا وفرارا، نفر النفر: الانزعاج عن الشيء وإلى الشيء، كالفزع إلى الشيء وعن الشيء. يقال: نفر عن الشيء نفوراً. قال تعالى: ﴿مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴾ (فاطر: ٤٢)، ﴿وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴾ (الإسراء:٤١)، وأصل النفر: مفارقة مكان إلى مكان لأمر هاجه على ذلك، ومنه نفور

(١) البحر المحيط في التفسير، محمد بن حيان، ١٠/ ٢٥٠.
(٢) التحرير والتنوير، محمد بن عاشور، ٢٩/ ١٠٧.
(٣) في ظلال القرآن، سيد قطب، ٦/ ٣٦٧١.

الدابة غير أنه يقال من النفر إلى الغزو: نفر فلان إلى ثغر كذا ينفر نفرا ونفيرا، ونفر إلى الحرب ينفر وينفر نفرا، ومنه: يوم النفر. قال تعالى: ﴿إِلَّا تَنفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ (التوبة:٣٩)، وتقول العرب: نفر فلان إذا سمي باسم يزعمون أن الشيطان ينفر عنه"[١].

٢) النفور اصطلاحاً:

قال أبو عبيدة: "هو من نفار الشيء عن الشيء، أي: تباعده عنه وتجافيه"[٢] .

قال الخطيب: النفور: "هو الصدّ عن الشيء"[٣].

قال المناويّ: النّفر: "الانزعاج عن الشّيء أو إليه، والمنافرة المحاكمة في المفاخرة"[٤].

وعرفه ابن الأثير بأنه: "أن تلقى النّاس أو تعاملهم بالغلظة والشّدّة ونحو ذلك ممّا يحمل على النّفور من الإسلام والدّين"[٥].

ثانياً- النفور في الآيات القرآنية:

ورد لفظ النفور في الآيات القرآنية ثماني مرات[٦]، سأذكر بعضاً منها:

قال:﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ لِيَذَّكَّرُوا وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا﴾ (الإسراء:٤١)

نزل القرآن بالتوحيد، وسلك أساليباً متنوعة لإيصالها للناس ليتذكروا ويتعظوا ، فالتوحيد لا يحتاج إلى أكثر من التذكر والرجوع إلى الفطرة ومنطقها، وإلى الآيات الكونية ودلالتها، لكن المشركين يلقون الآيات المنزلة عليهم بقلوب مريضه، وأبصار زائغة، وألسنة تردد كلمات الزور والبهتان، فيزيدون نفوراً وبعدا عن الحق وهرباً منه، إذا استمعوا لهذا القرآن، حيث يقول ﷻ : ﴿وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَّوْا عَلَىٰ أَدْبَارِهِمْ نُفُورًا﴾ (الإسراء:٤٦)، وقال: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا﴾ (فاطر:٤٢)، وقال: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَٰنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَٰنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا﴾ (الفرقان:٦٠).

---

(١) جامع البيان، محمد الطبري ، ١١/ ٤٥٨، لسان العرب، جمال الدين بن منظور، ٥/ ٢٢٤، معجم وتفسير لغوى لكلمات القرآن، حسن الجمل، ٥/ ٩٠.

(٢) مجاز القرآن، معمر البصري، ٢٧٦/٢ .

(٣) التفسير القرآني للقرآن، عبد الكريم الخطيب، ٥/ ٧٦٩.

(٤) التوقيف على مهمات التعاريف، زين الدين العابدين، ٣٢٧/١.

(٥) النهاية، مجد الدين بن الأثير، ٩٢/٥.

(٦) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن، محمد عبد الباقي، ص: ٧١٠.

"وقد كشف هذا الامتحان، تبجح أولئك المتبجحين المتطاولين، يقابلون الدعوة إلى عبادة الرحمن باستخفاف واستنكار:

هي صورة الاستهتار والتطاول تذكر هنا للتهوين من وقع تطاولهم على الرسولﷺ فهم لا يوقرون ربهم، وينكرونه إنكار المستخفّ المستهزئ.. فيتحدثون بهذه اللهجة عن ذاته العلية، وينفرون من اسم الله الكريم، ويزعمون أنهم لا يعرفون اسم «الرحمن» ويسألون عنه بما، زيادة في الاستهتار، «قالوا: وما الرحمن؟» إنهم لن يسجدوا للرحمن، لأن الذي يدعوهم إليه بشر مثلهم، ورجل منهم!! فهل يستغرب من هؤلاء أن يقولوا عن الرسول ما قالوا؟ إنه الكبر والعناد، إلى جانب الجهل والضلال..

ثم يزيدهم هذا الطلب الموجّه إليهم من النبي نفوراً إلى نفورهم، فهم نفروا أولاً، لأنهم لا يعرفون الرحمن، ثم نفروا ثانياً، لأن الذي يدعوهم إليه إنسان، من الناس، وليس ملكاً من الملائكة، كما كانوا يقترحون!

فما أوسع رحمة الرحمن، التي يعيش في ظلها أعداء الرحمن، المحاربون له، المستكبرون عن عبادته"(١).

المظهر التاسع- إباء ونسيان:

جاء لفظ الإباء ومشتقاته في السياق القرآني ثلاث عشرة مرة(٢)، أما لفظ النسيان بمشتقاته فقد جاء خمس وأربعين مرة(٣)، نذكر بعضاً منها: قال تعالى:﴿ وَلَقَدْ أَرَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَىٰ ﴾ (طه:٥٦).

لقد كان فى آيات الله تبصرة لأولى الأبصار، فمنهم من اهتدى بها، ومنهم من لم يجد له هادياً يهديه إلى الله.. ومن هؤلاء فرعون فقد أراه الله آياته كلها..

"فأراه من المحسوس آيات، وأراه من المعقول آيات.. فقامت عليه الحجج والآيات والدلالات وعاين ذلك وأبصره، فكذب بها وأباها كفراً وعناداً وبغياً، كما قال تعالى: ﴿ وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّاۚ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ (النمل: ١٤)" (٤).

---

(١) انظر: (في ظلال القرآن، سيد قطب، ٥/ ٢٥٧٥، التفسير القرآني للقرآن، عبد الكريم الخطيب، ١٠/ ٥٣).
(٢) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن، محمد عبد الباقي، ص: ٤.
(٣) المرجع السابق، ص:٧٠٠.
(٤) تفسير القرآن العظيم، إسماعيل بن كثير، ٥/ ٢٩٩، بتصرف.

وبعد هذا يكون مصير من يجحد ويأبى عن آيات الله ﷻ نسيانه وضياعه والبعد عن رحمة الله ﷻ، حيث يقول في كتابه العزيز: ﴿قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ الْيَوْمَ تُنسَىٰ﴾ (طه:١٢٦)

"ففى ذلة وانكسار، يسأل الظالم ربه: ﴿لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا﴾ (طه: ١٢٥) فى الدنيا.. فيأتيه الجواب من الحق سبحانه وتعالى: «كَذلِكَ» أي كهذا العمى الذي أنت عليه فى الآخرة، كنت فى الدنيا كلما أتتك آياتنا فصيرتها كالشيء المنسي، لم تكترث إليها ولم تنظر فيها ولم ترغب فيها، كذلك تصير في النار كالشيء المنسي عن رحمته، لا يكترث إليك ولا ينظر إليك.

أو أن يقول: كما ضيعت آياتنا التي أتتك لنجاتك كذلك تضيع أنت وتترك في النار لا حجة لك"(١).

المظهر العاشر – تشكيك وتعجيز:

﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَٰذَا أَوْ بَدِّلْهُ ۚ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِن تِلْقَاءِ نَفْسِي ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ ۖ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ (يونس:١٥)

"يخبر تعالى عن تعنت الكفار من مشركي قريش الجاحدين المعرضين عنه، فهم لا يبالون بأى حديث يحدثهم به عن الآخرة، فإذا قرأ عليهم الرسول ﷺ آيات الله يكشف عن ضيقهم، وما يحدّث به عن آلهتهم، وبما يسفّه فيه من أحلامهم، ويفضح من ضلالاتهم.. فيقولون له جئنا بغيره من نمط آخر، أو بدله إلى وضع آخر فيرد عليهم الرسول عليه السلام ليس هذا إلي إنما أنا عبد مأمور ورسول مبلغ عن الله، أتبع ما يوحى إلي، إني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم"(٢).

"ونرى هنا فريقاً من الناس ينكر أمر الآخرة، ويشك كل الشك في قضية البعث والحساب، ويتعنت في الإنكار وفي طلب البرهان بما لا سبيل إليه في هذه الأرض، حيث قال تعالى عنهم: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ مَّا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّا أَن قَالُوا ائْتُوا بِآبَائِنَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾(الجاثية:٢٥)

يذكر هنا جناية أخرى من جناياتهم، وحماقة من حماقاتهم، فبعد انكارهم البعث، لم يجدوا حجة يقولونها إلا أن قالوا: إن كان ما تقوله حقاً فارجعوا آباءنا الموتى إلى الحياة، فأمر الله رسوله

(١) انظر: تأويلات أهل السنة، محمد الماتريدي ، ٧/ ٣١٨.

(٢) تفسير القرآن العظيم، إسماعيل بن كثير، ٤/ ٢٢٢، بتصرف.

أن يجيبهم بأنه هو الذي يحييهم ثم يميتهم، ثم يجمعهم فى يوم لا شك فيه، ولكن أكثر الناس لا يعلمون حقيقة ذلك"(١).

ثم يزيد عناد المشركين تجاه الحق.. فيذهبوا يتحدّون النبىّﷺ، ويطلبون أن يأتيهم بآيات مادّية يرونها بأعينهم، ويلمسونها بأيديهم..

حيث قال تعالى عنهم: ﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ۞ وَقَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا ۞ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ ٱلْأَنْهَٰرَ خِلَٰلَهَا تَفْجِيرًا ۞ أَوْ تُسْقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا ۞ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَٰبًا نَّقْرَؤُهُۥ ۗ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا ۞ وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓا۟ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا ﴾ (الإسراء: ٨٩-٩٤)

"فلهذه المقترحات التى طلبوها من النبيﷺ أمور.. منها:

أولاً: قد صاغوها بأسلوب ينصفوا فيه النبىّﷺ، فيضعوا بين يديه أكثر من سبيل، فيتخيرّ أيسرها عليه، وأقربها تناولا منه..

وثانياً: شملت مطالبهم على منافع خاصة بهم وأخرى عامة، فهم إذ طلبوا أن يفجّر لهم من الأرض ينبوعاً، طلبوا أن يسقط السّماء عليهم كسفاً.. وطلبوا له أن ينشىء لنفسه جنّة من نخيل

وثالثاً: بدت بصمات اليهود جلية في مطالبهم، إذ هم أصحاب قدم راسخة فى هذا الضلال الذي كانوا يلقون به رسل الله إليهم.. فقد سألوا موسى أن يريهم الله جهرة، كما يقول الله تعالى عنهم: ﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴾ (البقرة: ٥٥)"(٢).

المظهر الحادي عشر- غرور وتكبر:

إنه الغرور والتكبر، الذي يخيل لذوي الجاه والسلطان والمتاع والثراء، أن القيم التي يعاملهم بها أهل هذه الدنيا الفانية تظل محفوظة لهم حتى في الملأ الأعلى!

(١) انظر: تفسير المراغي، أحمد المراغي، ٢٥/ ١٥٨.

(٢) التفسير القرآني للقرآن، عبد الكريم الخطيب، ٨/ ٥٤٧، بتصرف.

قال تعالى: ﴿ وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ۞ وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدًا ۞ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ﴾ (الكهف:٣٤-٣٦).

"هو منطق من أعمى الله أبصارهم وختم على قلوبهم. .. صاحب الجنتين نموذج للرجل الثري، تذهله الثروة، وتبطره النعمة، فينسى القوة الكبرى التي تسيطر على أقدار الناس والحياة، ويحسب هذه النعمة خالدة لا تفنى، فلن تخذله القوة ولا الجاه"(١).

ونذكر أيضاً من غرور الكفار وكبرهم، أنهم أدى بهم الإعتراض على إختيار الله ﷻ لمحمد ﷺ حاملاً لهم الحق والنور، فقال في كتابه العزيز: ﴿ وَقَالُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ۞ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ۚ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ۗ وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ۞ وَلَوْلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِٱلرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ﴾ (الزخرف:٣١-٣٣).

"هم لجهلهم وانطماس بصائرهم، قالوا هلاّ نزل هذا القرآن على أحد رجلين من قريتي مكة أو الطائف أي الوليد بن المغيرة بمكة أو عروة بن مسعود الثقفي من الطائف، فقد استكثروا أن ينزل هذا القرآن على محمد صلّى الله عليه وسلّم الذي وإن كان في القمة من الشرف والسمو بين قومه إلا أنه لم يكن أكثرهم مالا وسلطانا، وهم يريدون أن تكون النبوة في زعيم من زعمائهم، أو رئيس من رؤسائهم"(٢).

المظهر الثاني عشر- وصف القرآن بأوصاف لا تليق به:

أولاً- وصفه بالسحر:

جاء لفظ السحر ومشتقاته في الآيات القرآنية ثلاثاً وستين مرة(٣)، نذكر بعضاً منها:

قال تعالى: ﴿ وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَٰبًا فِى قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾ (الأنعام:٧) ﴿ فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ ءَايَٰتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾ (النمل:١٣)، وقال: ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾ (الأحقاف:٧).

---

(١) انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب، ٤/٢٢٧٠.

(٢) انظر: التفسير الوسيط، محمد طنطاوي، ١٣/ ٧٦.

(٣) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن، محمد عبد الباقي، ص:٣٤٦.

هذا إخبار من الله لرسوله ﷺ عن شدة عناد الكافرين، وأنه ليس تكذيبهم لقصور فيما جئتهم به، ولا لجهل منهم بذلك، وإنما ذلك ظلم وبغي، لا حيلة لكم فيه .

يقول سيد قطب: " ولو أن الله ﷻ نزل على رسوله هذا القرآن، لا عن طريق الوحي الذي لا يرونه، ولكن في ورقة منظورة ملموسة محسوسة ثم لمسوا هم هذه الورقة بأيديهم لا سماعا عن غيرهم، ولا مجرد رؤية بعيونهم ما سلموا بهذا الذي يرونه ويلمسونه، ولقالوا جازمين مؤكدين: «**إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ**» .

فهم يغالطون أنفسهم ويغالطون قومهم لستر مكابرتهم ولدفع ما ظهر من الغلبة عليهم، وهذا شأن المغلوب المحجوج أن يتعلق بالمعاذير الكاذبة"(١).

"وبين الكلبي ومقاتل أن هذه الآية نزلت في النضر بن الحارث وعبد الله بن أمية ونوفل بن خويلد، قالوا يا محمد لن نؤمن لك حتى تأتينا بكتاب من عند الله، ومعه أربعة من الملائكة يشهدون عليه أنه من عند الله وإنك رسوله، مكتوبا في قرطاس وهو الكاغد والصحيفة التي يكتب فيها، فعاينوه ومسوه بأيديهم وإنما ذكر اللمس، ولم يذكر المعاينة، لأنه أبلغ في إيقاع العلم بالشيء من الرؤية، لأن المرئيات قد يدخلها التخيلات كالبحر ونحوه بخلاف، فلو أنزلنا عليهم كتابا كما سألوه لما آمنوا به ولقالوا هذا سحر مبين كما قالوا في انشقاق القمر وأنه لا ينفع معهم شيء لما سبق فيهم من علمي بهم"(٢).

وقال تعالى: ﴿**إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ**﴾ (المدثر:٢٥)

قال الزهري: أن الوليد حاج أبا جهل وجماعة من قريش في أمر القرآن وقال: والله إن له لحلاوة وإن أصله لعذق وإن فرعه لحياة وإنه ليحطم ما تحته وإنه ليعلو ولا يعلى ونحو هذا من الكلام فخالفوه فقالوا له: هو شعر، فقال والله ما هو بشعر، ولقد عرفنا الشعر هزجه وبسيطه، قالوا: فهو كاهن، قال والله ما هو بكاهن، لقد رأينا الكهان وزمزمتهم، قالوا: هو مجنون، قال: والله ما هو بمجنون، ولقد رأينا المجنون وخنقه، قالوا: هو سحر، قال أما هذا فيشبه أنه سحر ويقول أقوال نفسه. فيأثره، ويقتفى فيه أثر غيره(٣).

وعن قوله تعالى: ﴿ **وَإِن يَرَوْا۟ ءَايَةً يُعْرِضُوا۟ وَيَقُولُوا۟ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ** ﴾ (القمر:٢)، قال الخطيب: "إن كثيراً من هؤلاء المشركين، لن يؤمنون بالله، بل يموتون على كفرهم، وأنهم كلما استمعوا إلى ما يتلو النبي من آيات الله، قالوا سحر مستمر.

---

(١) في ظلال القرآن، سيد قطب، ٢/ ١٠٣٩، التحرير والتنوير، محمد بن عاشور، ٧/ ١٤٢.
(٢) لباب التأويل في معاني التنزيل، علاء الدين الخازن، ٢/ ١٠٠.
(٣) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، عبد الحق ابن عطية، ٥/ ٣٩٥.

هذا هو موقف المعاندين الضالين من المشركين، فى الوقت الذي تطرقهم فيه الأنباء بأن يوم القيامة قد قرب، بل إن إرهاصاته قد أخذت تظهر فى الوجود"[١]..

فمثل هؤلاء أقل من أن يجابوا إلى ما سألوه لأنه لا فائدة في جوابهم لأنه دائر على تعنتهم وعنادهم لكثرة فجورهم وفسادهم.

ثانياً- وصفه بأساطير الأولين:

ورد لفظ أساطير الأولين في الآيات القرآنية تسع مرات[٢]، نذكر منها:

قال الله تعالى:﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا قَالُوا۟ قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَآ ۙ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ (الأنفال:٣١)، وقال: ﴿ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ (القلم:١٥)، وقال ﷻ: ﴿ وَقَالُوٓا۟ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ٱكْتَتَبَهَا فَهِىَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾ (الفرقان:٥).

"ذكر الله تعالى هنا قدح المكذبين لمحمد ﷺ، وإدلاءهم بشبهات يعلمونها ويعلم الناس بطلانها، فزعموا أنه افترى هذا القرآن، وأنه ساعده على ذلك قوم آخرون، ومن جراءتهم أنهم قالوا: إن هذا القرآن الذي جاء به محمد أساطير الأولين الأساطير: جمع أسطار أو أسطورة كأحدوثة اكتتبها انتسخها محمد من أهل الكتاب يعني عامرا ويسارا وجبرا"[٣]، "اكتتبها من كتب الأولين المسطورة، فهي تملى عليه بكرة وأصيلا، فيا ويحهم! من الذي عندهم في بطن مكة يمليها؟ وهل يوجد في ذلك الوقت في مكة أو ما حولها كتب تملى؟ ولو فرض وقدر أنه يوجد أحد، لم يختص محمد وحده بالأخذ عنه؟"[٤]

"حيث إن هذه الآية نزلت رداً على شيطان قريش النضر بن الحارث إذ كان يأتي الحيرة ويتعلم أخبار ملوك فارس ورستم، وإذا حدث محمد ﷺ قومه محذراً إياهم أن يصيبهم ما أصاب الأمم قبلهم فإذا قام ﷺ من المجلس جاء هو فجلس وقال تعالوا أقص عليكم إني أحسن حديثاً من محمد ﷺ ، ويقول إن ما يقوله محمد هو من أكاذيب القصاص وأساطيرهم التي سطروها في كتبهم فهو يحدث بها وهي تملى عليه أي يمليها عليه غيره صباحاً ومساءاً، فأنّى لمحمد بأساطير الأولين، وهو الأميّ؟"[٥]

---

(١) التفسير القرآني للقرآن، عبد الكريم الخطيب، ١٤/ ٦٣٤.

(٢) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن، محمد عبد الباقي، ص: ٣٥٠.

(٣) مفاتيح الغيب، محمد الرازي، ٢٤/ ٤٣٣.

(٤) تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن، عبد الرحمن السعدي، ١/ ٣٥.

(٥) أيسر التفاسير، جابر الجزائري، ٣/ ٥٩٩.

ثالثاً- وصفه بأنه إفك مفترى:

ورد لفظ الإفك في السياق القرآني خمس مرات، وبلفظ المفترى لم يرد إلا في هذه الآية[1]: قال تعالى:﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالُوا۟ مَا هَٰذَآ إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَن يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُكُمْ وَقَالُوا۟ مَا هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ مُّفْتَرًى ۚ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾ (سبأ: ٤٣).

"إنها آيات بينات، تنطق بالحق المبين، بحيث يبدو للناظر إليها من أي جانب، ما يحدّث بأنها كلمات الله.. ومع هذا فإنهم يأبون أن يصدقوا ما يقع فى قلوبهم وعقولهم منها، ويحملهم الكبر والعناد على التكذيب، والبهت، والاتهام للرسول الذي يحملها إليهم..

لهذا يريدون أن يستثيروا حمية الجاهلية فى صدور الجاهلين، بالحرص على موروثات الآباء، وما خلّفوا لهم من عادات وتقاليد، ومراسم.. حيث قالوا ﴿مَا هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ مُّفْتَرًى ۚ ﴾.. والإفك هو الكذب والافتراء ولكنهم يزيدونه توكيدا: ﴿مَا هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ مُّفْتَرًى ۚ ﴾ ذلك ليشككوا في قيمته ابتداء، متى أوقعوا الشك في مصدره الإلهي.

فكيف يتركون ما هم عليه من حق إلى هذا الضلال المفترى؟ هكذا زيّن لهم الضلال الجاثم على قلوبهم..!"[2].

المظهر الثالث عشر- الاستهزاء والسخرية:

أولاً- معني السخرية والإستهزاء لغة واصطلاحاً:

١) السخرية لغة:

يقال:" سَخِرَ منه وبه سَخْرًا وسَخَرًا ومَسْخَرًا وسُخْرًا بالضم وسُخْرَةً وسِخْرِيًّا وسُخْرِيًّا وسُخْرِيَّة: هزئ به، والاسم السخرية والسُّخري ويكسر "[3]

٢) السخرية اصطلاحاً:

"السخرية الاستهانة والتحقير، والتنبيه على العيوب والنقائص، على وجه يضحك منه، وقد يكون ذلك بالمحاكاة في القول والفعل، وقد يكون بالإشارة والإيماء" [4].

---

(١) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن، محمد عبد الباقي، ص: ٣٤.
(٢) التفسير القرآني للقرآن، عبد الكريم الخطيب، ١١/ ٨٣٥، في ظلال القرآن، سيد قطب، ٥/ ٢٩١٣.
(٣) القاموس المحيط، مجد الدين الفيروز أبادي، ٤٠٥/١، لسان العرب، جمال الدين بن منظور، ٣٥٢/٤.
(٤) إحياء علوم الدين، محمد الغزالي، ١٩٢/١.

٣) الاستهزاء لغة:

"الاستهزاء مصدر قولهم: استهزأ يستهزأ، يقال: هَزَأ منه وهَزِأ به، يَهْزَأُ هُزْءًا بِالضم، وهُزُءًا بِضَمَّتَيْنِ، وهُزُوءًا بالضم والمدِّ، ومَهْزُأَةً على مَفْعُلَة بضم العين، أي: سَخِر منه"(١).

٤) الاستهزاء اصطلاحاً:

"الاستهزاء هو: ارتياد الهزء(من غير أن يسبق منه فعل يستهزأ به من أجله"(٢)

وقال ابن تيمية: "الاستهزاء هو: السخرية؛ وهو حمل الأقوال والأفعال على الهزل واللعب لا على الجد والحقيقة، فالذي يسخر بالناس هو الذي يذم صفاتهم وأفعالهم ذمًّا يخرجها عن درجة الاعتبار، كما سخروا بالمطوِّعين من المؤمنين في الصدقات"(٣).

ثانياً- الاستهزاء والسخرية في الآيات القرآنية:

وردت كلمة الاستهزاء أكثر من ثلاثين مرة وباشتقاقات مختلفة(٤)، لكن لفظة سخر والسخرية فقد وردت في القرآن باشتقاقات قليلة(٥)، وهاتان اللفظتان لا يجمعها إلا معاني السخرية والاستهزاء كموقف يجابه به الأنبياء والرسل من قومهم بعد تكذيبهم بما جاؤوا به، إذ لم يكتفوا بالتكذيب وإنما اخذوا موقفاً عدائياً أكثر، هو الضحك والسخرية والاستهزاء بالرسول ورسالته ومن آمن معه، لكن المولى ﷻ توعدهم بالعذاب الأليم.

من الآيات التي ذكرت في القرآن الكريم بلفظ الإستهزاء أو السخرية ومشتقاتها:

- قال تعالى: ﴿وَلَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوٗاۚ وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَمَآ أَنزَلَ عَلَيۡكُم مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَٱلۡحِكۡمَةِ يَعِظُكُم بِهِۦۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ﴾ (البقرة: ٢٣١).
- قال تعالى: ﴿وَمَا نُرۡسِلُ ٱلۡمُرۡسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَۚ وَيُجَٰدِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلۡبَٰطِلِ لِيُدۡحِضُواْ بِهِ ٱلۡحَقَّۖ وَٱتَّخَذُوٓاْ ءَايَٰتِي وَمَآ أُنذِرُواْ هُزُوٗا﴾ (الكهف:٥٦) .
- قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُمۡ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُواْ وَٱتَّخَذُوٓاْ ءَايَٰتِي وَرُسُلِي هُزُوٗا﴾ (الكهف:١٠٦).

---

(١) تاج العروس، محمد الزبيدي، ١/ ٥٠٩، بتصرف.
(٢) التوقيف على مهمات التعاريف، زين الدين العابدين، ١/٥٠، الفروق، أبي هلال العسكري، ١/٢٥٤.
(٣) الفتاوي الكبرى، تقي الدين بن تيمية، ٦/٢٢.
(٤) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن، محمد عبد الباقي، ص:٧٣٧.
(٥) المرجع السابق، ص: ٣٤٧.

- قال تعالى: ﴿ ذَٰلِكُم بِأَنَّكُمُ اتَّخَذْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا وَغَرَّتْكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا ۚ فَالْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴾ (الجاثية:٣٥).
- قال تعالى: ﴿ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ ۚ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ ﴾ (النساء:١٤٠).
- قال تعالى: ﴿ بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ ۝ وَإِذَا ذُكِّرُوا لَا يَذْكُرُونَ ۝ وَإِذَا رَأَوْا آيَةً يَسْتَسْخِرُونَ ﴾ (الصافات: ١٢-١٤).
- قال تعالى:﴿ فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّىٰ أَنسَوْكُمْ ذِكْرِي وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ ﴾ (المؤمنون: ١١٠).

السخرية والاستهزاء طبيعة إنسانية متخلفة وجاهلة حينما تنصرف إلى التنقص من العلماء والأنبياء، فتتهمهم بعكس ما هم عليه، يدعون العلم ويتهمونهم بالجهل، يدعون الهداية فاتهموهم بالضلالة، وحينما جاؤوا بالمعجزات الخارقة اتهموهم بالسحر، ثم يتجهون إلى المبالغة في تكذيبهم لهؤلاء فيسمعونهم الكلام الساخر المستهزيء بكل ما جاؤوا به، حتى إذا تحقق ما خوفهم الأنبياء منه وصدق الوعد والوعيد وحاق بهم ما استهزأوا به ولم يصدقوا ندموا ولات ساعة مندم .

فكل الأنبياء جاؤوا بعلم وهدى، ولكن أقوامهم لجهلهم وعنادهم سخروا منهم واستهزأوا بهم وضحكوا عليهم واتهموهم بكل التهم التي يتهم به علماء عصر تجاوزوا بنظرتهم عصرهم.

"فالحق واضح، ولكن الذين كفروا يجادلون بالباطل ليغلبوا به الحق ويبطلوه، قال تعالى: ﴿ وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ۚ وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَمَا أُنذِرُوا هُزُوًا ﴾ (الكهف:٥٦).

ولا أحد أظلم ممن ذكر بآيات ربه فأعرض عنها عناداً واستكباراً، ولم يتدبرها، ونسى ما قدمت يداه مما عمل في الكفر والمعاصي المجادلة بالباطل والاستهزاء بالحق، ويستعجلون بالعذاب لا يبغون اقتناعاً، إنما هم يستهزئون ويسخرون بالآيات والنذر، وكل ذلك يدل على استيلاء الجهل والقسوة على عقولهم وقلوبهم"[(١)]..

فحق لرسول الله ﷺ أن يعجب من أمرهم، فإن المؤمن الذي يرى آيات الله واضحة هذا الوضوح، يعجب ويدهش كيف يمكن أن تعمى عنها القلوب؟ وكيف يمكن أن تقف منها هذا الموقف العجيب!

(١) التفسير الواضح، محمد الحجازي، ٢/ ٤٢٥.

قال تعالى: ﴿ بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ ۞ وَإِذَا ذُكِّرُوا لَا يَذْكُرُونَ ۞ وَإِذَا رَأَوْا آيَةً يَسْتَسْخِرُونَ ﴾ (الصافات: ١٢-١٤).

"وبينما رسول الله ﷺ يعجب منهم هذا العجب، إذا هم يسخرون من القضية الواضحة التي يعرضها عليهم وهم مطموسون لا تتفتح قلوبهم للتذكير، وإذا هم يتلقون آيات الله بالسخرية الشديدة، والتعجيب ممن يريهم إياها، واستدعاء أسباب السخرية وطلبها طلبا كما يوحي لفظ "يستسخرون"[1].

لهذا فقد بالغ الكفار بإستهزائهم وسخريتهم من آيات القرآن، فإذا تلي رأيتهم يحاولون أن يلهوا أنفسهم والآخرين بأحاديث اللهو والغناء ليصرفوا أنفسهم ومن يسمع لهم عن الاستماع للقرآن فقال رب العزة في حقهم، ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾ (لقمان:٦).

فهؤلاء الذين يستهزئون بآيات الله ونذره لا يرجى منهم أن يفقهوا هذا القرآن، ولا أن ينتفعوا به، لذلك جعل الله على قلوبهم أغطية تحول دون فقهه، وجعل في آذانهم كالصمم فلا يستمعون إليه. وقدر عليهم الضلال- بسبب استهزائهم وإعراضهم- فلن يهتدوا إذن أبدا. فللهدى قلوب متفتحة مستعدة للتلقي.

وأخيراً فقد شدد سبحانه وتعالى الوعيد على المستهزئين بما سيصيبهم يوم القيامة من العذاب الشديد ليس بسبب تكذيبهم فقط وإنما لتعبيرهم عن التكذيب بالاستهزاء أيضاً فقال تعالى: ﴿ وَإِذَا عَلِمَ مِنْ آيَاتِنَا شَيْئًا اتَّخَذَهَا هُزُوًا أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾ (الجاثية:٩).

(١) في ظلال القرآن، سيد قطب، ٥/ ٢٩٨٥.

المطلب الثاني

تأثر أهل الكتاب السلبي

وفيه تسعة مظاهر:

المظهر الأول- الكتمان وعدم المبالاة:

أولاً- تعريف الكتمان لغة واصطلاحاً:

١) الكتمان لغةً:

"الكتمان: مصدر كتم، يقال: كتم الشيء كَتمًا وكِتمانًا: ستره وأخفاه" [١].

٢) الكتمان اصطلاحًا:

الكتمان هو: "ستر الحديث"[٢].

الكتمان: "إخفاء الشيء وجحوده حتى لا يرى ولا يعلم"[٣].

يتعالى أهل الكتاب على غيرهم من البشر، حيث يعتبرون أنفسهم أصحاب الدين، وهم من سيكون لهم شأن هذه الأمة من بعد، فاستكثروا أن يدعوهم إلى الإسلام نبي أمي .. لكن الله ﷻ أراد الله العزة لهؤلاء الأميين فبعث منهم خاتم النبيين، وجعل فيهم رسالة العالمين، وعلم هؤلاء الأميين، فكانوا أعلم أهل الأرض منهجاً وطريقاً، فجاء النداء الإلهي لأهل الكتاب، يدعوهم للإيمان بالله ورسوله ولنصرته وتأييده، فقال ﷻ في كتابه العزيز ﴿ **يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ كَثِيرٗا مِّمَّا كُنتُمۡ تُخۡفُونَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖۚ قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ** ﴾ (المائدة:١٥)، "فقد حكى الله ﷻ عن أهل الكتاب نقضهم للعهد وتركهم ما أمروا به، "حيث وصف رسوله بأمرين:

الأول: أنه يبين لهم كثيراً مما كانوا يخفون، كقوله سبحانه: ﴿ **تَجۡعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبۡدُونَهَا وَتُخۡفُونَ كَثِيرٗاۚ** ﴾ (الأنعام:٩١).

قال ابن عباس: أخفوا صفة محمد ﷺ، وأخفوا أمر الرجم، ثم إن الرسول ﷺ بين ذلك لهم، وهذا معجز لأنه عليه السلام لم يقرأ كتاباً ولم يتعلم علماً من أحد، فلما أخبرهم بأسرار ما في كتابهم كان ذلك إخبارا عن الغيب فكان معجزاً.

---

(١) مختار الصحاح، زين الدين الرازي، ٢٦٦/١، المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ٧٧٦/٢.

(٢) المفردات، للراغب الأصفهاني، ٧٠٢/١.

(٣) أيسر التفاسير، جابر الجزائري، ١/ ٤٢٢.

عن عكرمة قال: "إن نبي الله ﷺ أتاه اليهود يسألونه عن الرجم، فقال: أيكم أعلم؟ فأشاروا إلى ابن صوريا، فناشده بالذي أنزل التوراة على موسى، والذي رفع الطور، والمواثيق التي أخذت عليهم، حتى أخذه أفكل[1]: رعدة من الخوف، فقال: لما كثر فينا جلدنا مائة، وحلقنا الرؤوس، فحكم عليهم بالرجم، فأنزل الله: ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ ﴾" [2].

الثاني: لا يظهر كثيراً مما تكتمونه أنتم، وإنما لم يظهره لأنه لا حاجة إلى إظهاره في الدين فلا يشتمل على ما يجب بيانه من الأحكام الشرعية، وهم لا يعلمون كون الرسول عالماً بكل ما يخفونه، فيصير ذلك داعياً لهم إلى ترك الإخفاء لئلا يفتضحوا"[3].

وبهذه الطريق يمضي السياق القرآني يفضح موقف أهل الكتاب في كتمانهم للحق الذي يعلمونه، ولبسه بالباطل، لإحداث البلبلة والاضطراب في صحة هذا الدين، حيث يقول ﷻ : ﴿وَإِذۡ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكۡتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمۡ وَٱشۡتَرَوۡاْ بِهِۦ ثَمَنٗا قَلِيلٗاۖ فَبِئۡسَ مَا يَشۡتَرُونَ ﴾ (آل عمران:١٨٧)، وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَعۡرِفُونَهُۥ كَمَا يَعۡرِفُونَ أَبۡنَآءَهُمۡۖ وَإِنَّ فَرِيقٗا مِّنۡهُمۡ لَيَكۡتُمُونَ ٱلۡحَقَّ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ﴾ (البقرة:١٤٦)، فهم يعلمون من التوراة التي بين أيديهم أن ما جاء به محمد حق، وأنه من ذات المصدر الذي جاءتهم منه التوراة..

فالنهي عن الكتمان جاء بعد الأمر ببيان وإظهار جميع الأحكام والأخبار ومن جملتها أمر نبوته ﷺ، وذلك مبالغة في إيجاب المأمور به، لكنهم نبذو الميثاق وطرحوه ولم يراعوه، ونبذ الشيء وراء الظهر مثل في الاستهانة به، وإهماله والإعراض عنه بالكلية وعدم المبالاه به، ويؤكد ذلك قوله سبحانه: ﴿ وَلَمَّا جَآءَهُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٞ لِّمَا مَعَهُمۡ نَبَذَ فَرِيقٞ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمۡ كَأَنَّهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾ (البقرة:١٠١)، ثم بعدها يفعلون فعلتهم الفاضحة، ابتغاء ثمن قليل: فما أقل هذا الثمن ثمناً لعهد الله! وما أقل هذا المتاع متاعاً حين يقاس بما عند الله! ﴿فَبِئۡسَ مَا يَشۡتَرُونَ ﴾ ! فقد استبدلوا به شيئاً حقيراً من حطام الدنيا، فبئس ما يشترون بتغيير كلام الله ونبذ ميثاقه[4].

---

(١) "أفكل": رعدة تعلو الإنسان من برد أو خوف أو غيرهما، وليس له فعل،(جامع البيان، محمد الطبري، ١٠/ ١٤٢).

(٢) جامع البيان في تأويل القرآن، محمد الطبري، ١٤٢/١٠.

(٣) مفاتيح الغيب، محمد الرازي، ١١/ ٣٢٦، بتصرف.

(٤) محاسن التأويل، محمد القاسمي، ٢/ ٤٧٦، في ظلال القرآن، سيد قطب، ١/ ٥٤١، بتصرف.

المظهر الثاني- تكبر وعناد:

هو كشف لحقيقة أهل الكتاب، إذا دعاهم داعى الحق إلى أن يعودوا إلى كتاب الله، وما تحمل آياته البينات من هدى ونور، وإلى رسول الله ﷺ، لوّوا وجوههم قائليين: ﴿حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ﴾ داعين أنها هي طريق الخير والسلامة، فهم يسعون سعي آبائهم، ويقتفون آثارهم، فكيف لهم أن يسيروا في طريق لم يسلكه أحد قبلهم؟ قال تعالى:﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ قَالُواْ حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ (المائدة:١٠٤)، وقال سبحانه : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ أَوَلَوْ كَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴾ (لقمان: ٢١)، وقوله ﷻ: ﴿ بَلْ قَالُوٓاْ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهْتَدُونَ ﴾ (الزخرف: ٢٢) .

إذن.. اتبعوا ما شرعه العبيد، وتركوا ما شرعه رب العبيد، ورفضوا نداء التحرر من عبودية العباد للعباد، واختاروا عبودية العقل والضمير، للآباء والأجداد.

"فماذا يبقى للإنسان من عقله، بل ماذا يبقى له من وجوده، إذا لم يكن له حرية التحرك فى الحياة، والنظر فى كل جديد يطلع عليه منها، ثم الأخذ بما يقضى به العقل المتحرر من قيود التقاليد، ممّا يراه حقا وخيرا؟ وإنه لبالغ من ذلك ما فيه خيره وسعادته، إذ لا يغيب عن نظر العاقل وجه الخير، ولا تخفى عليه سمته.. فالحلال بين والحرام بيّن"[1].. ﴿وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ۞ وَلَا ٱلظُّلُمَٰتُ وَلَا ٱلنُّورُ ۞ وَلَا ٱلظِّلُّ وَلَا ٱلْحَرُورُ ۞ وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَحْيَآءُ وَلَا ٱلْأَمْوَٰتُ﴾ (فاطر: ١٩ – ٢٢) ، ورغم كل ذلك فقد تمادوا في وقاحتهم وعنادهم، فقد سألوا النبي بكل جرأة أن ينزل عليهم كتابا من السّماء.. يرونه رأى العين، كما رأوا تلك المائدة التي أنزلها الله على عيسى عليه السلام، حين اقترحوا عليه ذلك، ولكنهم- مع هذا- لم يؤمنوا به، ولم يصدقوا رسالته.. حيث قال ﷻ: ﴿ يَسْـَٔلُكَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَٰبًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَقَدْ سَأَلُواْ مُوسَىٰٓ أَكْبَرَ مِن ذَٰلِكَ فَقَالُوٓاْ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً﴾ (النساء: ١٥٣) ، فمن قبل كان اليهود يلقون إلى مشركى مكة بمثل هذه المقترحات، ليعنتوا بها النبىّ، وليقيموا لهم حجة عليه.. فكان من ذلك ما كشفه القرآن الكريم فى قوله تعالى: ﴿ وَقَالُواْ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا ۞ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ ٱلْأَنْهَٰرَ خِلَٰلَهَا تَفْجِيرًا ۞ أَوْ تُسْقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِىَ بِٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا ۞ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن

(١) التفسير القرآني للقرآن، عبد الكريم الخطيب، ٤/ ٦٠.

زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَٰبًا نَّقْرَؤُهُۥ ۗ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا ﴿﴾ (الإسراء: ٩٠ – ٩٣)

إنهم على ما هم عليه من تعنت وإعنات فلا يسلمون إلا تحت القهر والضغط.. وبعدها سرعان ما ينقلبون فينقضون عهدهم- لا مع الناس وحدهم ولكن مع ربهم كذلك- فلا يتثبتوا من قول ولا يتورعون عن الجهر بالمنكر.. طمعاً في عرض الدنيا، وأكلاً لأموال الناس بالباطل، وإعراضاً عن أمر الله وعما عنده من ثواب.. فالقلوب القاسية، والنفوس المريضة، والطباع النكدة، لا تقبل على خير ولا تحتفظ بخير[١]..

المظهر الثالث- ظن وتحريف ونسيان:

ورد لفظ الظن بمشتقاتها في القرآن الكريم اثنتين وستين مرة[٢]، أما لفظ التحريف فقد ورد أربع مرات[٣]، ولفظ النسيان بمشتقاته جاء خمساً وأربعين مرة[٤]، نذكر منها:

"إن أحوال بني إسرائيل: فريقان: فريق أمي جاهل، لا يدري شيئا من كتابهم الذي نزل عليهم، ولا يعرف منه إلا أوهاما وظنونا، وإلا أماني في النجاة من العذاب، حيث يقول ﷻ ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ (البقرة: ٧٨)، وفريق يستغل هذا الجهل وهذه الأمية فيزور على كتاب الله، ويحرف الكلم عن مواضعه بالتأويلات المغرضة، فإن ضلّ هؤلاء العلماء أو انحرف المفتون، عظم البلاء، وعمّ الخطب، فشمل الأمة كلها، ولهذا أخذ الله الميثاق على العلماء أن يؤدّوا أمانة ما حملوا من علم، فيفتحوا للناس طرق الهداية، ويكشفوا لهم سبل الرشاد، قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ﴾ (آل عمران: ١٨٧)، وعلماء بنى إسرائيل هم دعاة غواية وضلال فيهم، لا يؤدّون أمانة العلماء بينهم، بل يجيئون إليهم بالحق متلبّسا بالباطل، وبالهدى مختلطا بالضلال"[٥].

"إذن هو شأن من عرف الكتاب منهم وهو علماؤهم وأحبارهم، فقد افتروا على الله الكذب فنسوا حظاً مما ذكروا به، وكتموا بعضاً من الكتب المنزلة إليهم، وحرفوا الآيات المنزلة إليهم، وجاءوا بأقوال من عندهم ونسبوها إلى الله، وأما الأميون منهم فإنهم لا يعرفون عن دينهم إلا

(١) في ظلال القرآن، سيد قطب، ٢/ ٧٩٩.
(٢) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن، محمد عبد الباقي، ص:٤٣٩.
(٣) المرجع السابق، ص: ١٩٧.
(٤) المرجع السابق، ص: ٧٠٠.
(٥) التفسير القرآني للقرآن، عبد الكريم الخطيب، ١/ ١٠١.

أكاذيب سمعوها ولم يعقلوها «أنهم شعب الله المختار، وأن الأنبياء منهم فيشفعون لهم، وأن النار لا تمسهم إلا أياما قليلة» وما هم في كل ذلك إلا واهمون"[١]، قال تعالى فيهم:﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴾ (البقرة: ٧٩)، وقال أيضاً: ﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ ۚ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱصْفَحْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ (المائدة: ١٣)

فكيف ينتظر من أمثال هؤلاء أن يستجيبوا للحق، وأن يستقيموا على الهدى، وأن يتحرجوا من تحريف التوراة، وكتابة الآيات بأيديهم، وتغيير صفة النبي ﷺ التي كانت مكتوبة عندهم في التوراة، وتركهم نصيبًا واجبًا مما ذُكروا به من التوراة، بنسيانه وإهمال لأوامر دينهم وشريعتهم، وعدم تنفيذها في حياتهم ومجتمعهم، فهؤلاء لا مطمع في أن يؤمنوا للمسلمين، "وإنما هو الويل والهلاك ينتظرهم، الويل والهلاك لهم لأخذ الرشوة وفعلهم المعاصي، ونسبتهم الافتراءات إلى الله تعالى، مقابل ثمناً دنيوياً حقيراً من مال أو رياسة أو جاه، لأنه كانت لليهود جنايات ثلاث: تغيير صفة النبي ﷺ، والافتراء على الله، وأخذ الرشوة، فهددوا على كل جناية بالويل والهلاك لهم مما يكسبون بهذا التزوير والاختلاق"[٢]!

المظهر الرابع- لي الألسنة بالكتاب:

أولاً: تعريف اللي لغة واصطلاحاً:

١) اللي لغة:

"أصل اللي الميل والفتل، تقول لوى برأسه إذا أماله، ولويت عنقه أي فتلته، والمصدر اللي والليان، يميلون ويحرفون ويعدلون به عن القصد، ويعطفون، وتحريف الكلام تقليبه عن وجهه لأن المحرف يلوي لسانه عن سنن الصواب بما يأتي به من عند نفسه"[٣].

" ويلوون أي يعطفون ويميلون، وأصل اللي الفتل من قولك لويت يده إذا فتلتها ألسنتهم بالكتاب يعني بالتحريف والتغيير والتبديل" [٤].

---

(١) تفسير الشعراوي، محمد الشعراوي، ٦/ ٣٥٥٩.

(٢) التفسير المنير، وهبة الزحيلي، ١/ ٢٠٣، بتصرف.

(٣) فتح البيان في مقاصد القرآن، محمد القنوجي، ٢/ ٢٧١.

(٤) لباب التأويل في معاني التنزيل، علاء الدين الخازن، ١/ ٢٦٢.

٢) اللي اصطلاحاً:

عرف ابن كثير اللي بأنه: "التحريف وتعمد الكذب"[١].

قال المراغي لىّ اللسان بالكتاب: "فتله للكلام وتحريفه بصرفه عن معناه إلى معنى آخر"[٢].

قال الحنفي: "يصرفونها عند القراءة عن المنزل إلى المحرف"[٣].

ثانياً- كذب أهل الكتاب وافترائهم على الله:

جاء لفظ اللي بمشتقاته في القرآن الكريم خمس مرات[٤]، نذكر منها:

يقول تعالى﴿ **وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُۥنَ أَلْسِنَتَهُم بِٱلْكِتَٰبِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمَا هُوَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ** ﴾ (آل عمران: ٧٨)

في هذه الآيات يعرض نموذجاً جديداً للمضللين، الذي يتخذون من كتاب الله مادة للتضليل، **ككعب بن الأشرف ومالك بن الصيف وحيي بن أخطب وأبو ياسر وشعبة بن عمرو الشاعر**[٥]، فيتلون آيات الكتاب تلاوة تلوكها ألسنتهم، وتلتوى بها شفاههم، فلا تخرج الكلمات إلا متآكلة متكسرة، يختلط بعضها ببعض، لا يدرى أحد ما مدلولها، ولا يهتدى أحد إلى وجه الحقّ فيها.. فهى أقرب إلى الرمز منها إلى الكلام.. ليوهموا الجهلة أنه في كتاب الله كذلك، وينسبونه إلى الله وهو كذب على الله، وهم يعلمون من أنفسهم أنهم قد كذبوا وافتروا في ذلك كله، فلا يعرضون ولكن يصرحون بذلك لقسوة قلوبهم وفرط جرأتهم وغرورهم[٦].

المظهر الخامس- إلباس الحق بالباطل:

جاء ذكر لفظ إلباس الحق بالباطل في السياق القرآني مرتين فقط[٧]، سنقف معهم خلال حديثنا عن

---

(١) تفسير القرآن العظيم، اسماعيل بن كثير، ٢/ ٤٣٣.

(٢) تفسير المراغي، أحمد المراغي، ٣/ ١٩٣.

(٣) الكليات، أبو البقاء الجنفي، ١/ ٩٨٨.

(٤) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن، محمد عبد الباقي، ص: ٦٥٤.

(٥) لباب التأويل في معاني التنزيل، علاء الدين الخازن، ١/ ٢٦٢.

(٦) التفسير القرآني للقرآن، عبد الكريم الخطيب، ٢/ ٥٠٤، تفسير القرآن العظيم، إسماعيل بن كثير، ٥٦/٢، بتصرف.

(٧) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن، محمد عبد الباقي، ص:٦٤٥.

مكر آخر لطائفة من أحبار أهل الكتاب ورؤسائهم، هو زعزعة ثقتهم في عقيدتهم ودينهم، بطريقة خبيثة ماكرة لئيمة، لزرع الشبهات ومحاولة كسب بعض المسلمين بإدخالهم في دينهم، ولكنهم خائبون، فهم لا يضلون إلا أنفسهم وما يعود وبال الإضلال إلا عليهم، إذ شغلوها بما لا يجدي، بل بما يضر، ويوقعهم في الإثم والمعصية، وما يشعرون بذلك وما يفطنون إلى سوء حالهم، وفي هذا نهاية الذم والاحتقار لهم حيث قال ﷻعنهم: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تَلۡبِسُونَ ٱلۡحَقَّ بِٱلۡبَٰطِلِ وَتَكۡتُمُونَ ٱلۡحَقَّ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴾ (آل عمران: ٧١)، وقال الله سبحانه:﴿ وَلَا تَلۡبِسُواْ ٱلۡحَقَّ بِٱلۡبَٰطِلِ وَتَكۡتُمُواْ ٱلۡحَقَّ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴾ (البقرة: ٤٢).

فهناك طائفة منهم قد أظهروا الإسلام في أول النهار فصلوا مع المسلمين صلاة الصبح، ثم ارتدوا عنه في آخره، فهم بهذا يغطّون وجه الحق، ويسترونه بدخان الباطل والضلال، فيشتبه على الضعفاء والجهلة من الناس أمر دينهم، وتتفرق بهم السبل إليه.. فيقولوا: إنما ردهم إلى دينهم اطلاعهم على نقيصة وعيب في دين المسلمين، ولهذا قالوا: لعلهم يرجعون عنه. ولم يدروا أن من عرف الحق لم يرجع عنه[1]، حيث تواطأ اثنا عشر حبراً من يهود خيبر وقرى عرينة، وقال بعضهم لبعض: ادخلوا في دين محمد أول النهار باللسان دون الاعتقاد، واكفروا به في آخر النهار وقولوا: إنا نظرنا في كتبنا وشاورنا علماءنا فوجدنا محمدا ليس بذلك وظهر لنا كذبه وبطلان دينه، فإذا فعلتم ذلك شك أصحابه في دينهم، وقالوا: إنهم أهل كتاب وهم أعلم به منا، فيرجعون عن دينهم إلى دينكم، فأنزل الله عز وجل فيهم: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تَلۡبِسُونَ ٱلۡحَقَّ بِٱلۡبَٰطِلِ ﴾، وأخبر به نبيه محمدا ﷺ والمؤمنين. [2].

"ولدعاة الضلالة طريقتان في إغواء الناس.

إحداهما: طريقة خلط الحق بالباطل حتى لا يتميز أحدهما عن الآخر وهي المشار إليها بقوله تعالى: ﴿لِمَ تَلۡبِسُونَ ٱلۡحَقَّ بِٱلۡبَٰطِلِ ﴾.

والثانية: طريقة جحد الحق وإخفائه حتى لا يظهر، وهي المشار إليها بقوله:﴿وَتَكۡتُمُونَ ٱلۡحَقَّ ﴾"[3].

ولقد سار أهل الكتاب على كلتا الطريقتين لصرف الناس عن الإسلام، فقد كان بعضهم يؤول نصوص كتبهم الدالة على صدق النبي ﷺ تأويلاً فاسداً، يخلط فيه الحق بالباطل ليوهموا العامة أنه ليس هو النبي المنتظر، وكان بعضهم يلقى حول الحق شبها ليوقع ضعفاء الإيمان في

(١) التفسير المنير، وهبة الزحيلي، ٣/ ٢٦١، بتصرف.
(٢) أسباب النزول، علي الواحدي، ١/ ١٠٩.
(٣) التفسير الوسيط ، محمد الطنطاوي، ٢/ ١٤٠.

حيرة وتردد، وكان بعضهم يخفى أو يحذف النصوص الدالة على صدق النبي ﷺ أو التي لا توافق أهواءهم، وكتمانهم الحق ليس عن جهل، وإلا لكان لهم ما يعذرون به، ولكن كتمانهم هذا عن علم ومعرفة، وتلك هى مصيبة المتكبرين، وآفة الحاسدين، الحاقدين، وهو الأمر الذي درجوا عليه منذ اللحظة الأولى .. فهذا طريقهم على مدار التاريخ..

المظهر السادس- التعطيل:

أولاً- تعريف التعطيل لغةً واصطلاحاً:

١) التعطيل لغةً:

قال ابن فارس : العين والطاء واللام أصل صحيح واحد يدل على خلوٍ وفراغٍ ، تقول عطلت الدار ودار معطلة ، ومتى تركت الإبل بلا راع فقد عطلت ، وكذلك البئر إذا لم تورد ولم يستق منها قال الله تبارك وتعالى (**وَبِئْرٍ مُعَطَّلَّةٍ**) وقال (**وَإِذَا العِشَارُ عُطِّلَتْ**)[١].

وقال ابن منظور : التعطيل : التفريغ ، وعطل الدار : أخلاها[٢].

٢) التعطيل اصطلاحاً:

التعطيل: هو إنكار الخالق، وإنكار كلامه ودينه، وإنكار عبادته وشرائعه[٣].

التعطيل: هو نفي الصفات الإلهية عن الله وإنكار قيامها بذاته أو إنكار بعضها، وهو ما يسمى بتعطيل الأسماء والصفات[٤].

الإيمان والتقوى وتحقيق منهج الله في واقع الحياة البشرية في هذه الحياة الدنيا، لا يكفل لأصحابه جزاء الآخرة وحده- وإن كان هو المقدم وهو الأدوم- ولكنه كذلك يكفل صلاح أمر الدنيا، ويحقق لأصحابه جزاء العاجلة..

فأهل الكتاب كم من خير ضيّعوه، ونور أطفأوه! فكل ما أنزل الله هو هدى ونور.. فهذه التوراة.. يقول الله فيها.. ﴿ **إِنَّآ أَنزَلۡنَا ٱلتَّوۡرَىٰةَ فِيهَا هُدٗى وَنُورٞ** ﴾ (المائدة: ٤٤)، **وهذا الإنجيل.. يقول**

---

(١) معجم مقاييس اللغة، أحمد ابن فارس، ٤/ ٣٥٢.

(٢) لسان العرب ، جمال الدين ابن منظور، ٤/ ٢٩٩٨ .

(٣) إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان، ابن قيم الجوزية، ٢/٢٦٨.

(٤) الكواشف الجلية عن المعاني الوسطية، عبد العزيز السلمان، ص: ٨٧.

الله فيه.. ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ﴾ (المائدة: ٤٦)، وهذا القرآن.. يقول الله فيه.. ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ (البقرة: ٢).

"ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل المنزلين من عند الله بنور التوحيد والهداية، واستقاموا على أمرها ونهيها، ولم يسمعوا لأحبارهم ومفترياتهم، وآمنوا بما أنزل إليهم من ربهم: لا سيما القرآن الكريم، لا استقام طريقهم فى الحياة، ولملأ الله قلوبهم غنى ورضى، ولوجدوا فيما أنزل الله من رزق هو خير كثير، ولكنّهم جحدوا بآيات الله وعطلوا أحكامه، وجروا على ما تمليه عليهم أنفسهم من حقد وحسد، وتكالب على المال.. فكان الجري اللاهث فى الحياة نصيبهم، الجوع النفسي، والجدب الوجدانى، خاتمة مطافهم وسعيهم"(١)، حيث قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا۟ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم ۚ مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَآءَ مَا يَعْمَلُونَ﴾ (المائدة:٦٦)، وقال أيضاً: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ ۗ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ۖ فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ (المائدة: ٦٨).

"وبعد ذلك ذم الله ﷻ اليهود الذين أعطوا التوراة وحملوها للعمل بها، فلم يعملوا بها، فشبههم بالحمار حيث قال ﷻ: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا ۚ بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ (الجمعة: ٥)، فهو يحمل الكتب الكبيرة على ظهره، وهو لا يدري ما فيها، لأنه لا فهم له، وإن كان لهم عقول وأفهام، فإنهم لم ينتفعوا في إدراك الحقائق، فحفظوه لفظا ولم يفهموه، ولا عملوا بمقتضاه، بل أولوه وحرفوه وبدلوه، فهم أسوأ حالا من الحمير؛ لأن الحمار لا فهم له، وهؤلاء لهم فهوم لم يستعملوها، لذا وصفهم تعالى بقوله: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ﴾ (الأعراف: ١٧٩) ، وقال هاهنا: ﴿بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾" (٢).

المظهر السابع: إيمان ببعض الكتاب وكفر بالبعض الآخر:

"إن الإيمان قضية كلية لا تتجزأ.. فالإيمان بوحدانية الله سبحانه تقتضي وحدة الدين الذي ارتضاه للناس لتقوم حياتهم كوحدة على أساسه، ويقتضي وحدة الرسل الذين جاءوا بهذا الدين، فموكب الرسالة من الحق سبحانه وتعالى يتضمن عقائد واحدة ثابتة لا تتغير، والحق يقول: ﴿إِنَّآ

(١) التفسير القرآني للقرآن، عبد الكريم الخطيب، ٣/ ١١٣٦، بتصرف.

(٢) التفسير المنير، وهبة الزحيلي، ٢٨/ ١٩٠، بتصرف.

أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ ﴾ (النساء: ١٦٣) ، وهذا يؤكد أن قضايا العقائد إنما جاءت من نبع واحد لعقيدة واحدة"[١].

قال ﷻ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا۟ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴾ (النساء: ١٥٠)، **وقال أيضاً:** ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ ﴾ (البقرة: ٨٥).

"كان اليهود يدعون الإيمان بأنبيائهم وينكرون رسالة عيسى ورسالة محمد ﷺ، كما كان النصارى يقفون بإيمانهم عند عيسى- فضلا عن تأليهه- وينكرون رسالة محمد كذلك، و يحاولوا أن يفرقوا بين الله ورسله بأحكامهم التي كانوا يتبعون فيها أهواءهم، من أجل أن يقيموا أمراً هو بين بين، ويريدون بهذا أن يتخذوا سبيلاً وسطاً بين الإيمان والكفر، أولئك المذكورون هم الكافرون الكاملون في الكفر، والراسخون في الضلال حقاً، وأى حق يكون أثبت وأصح مما يجعله الله تعالى حقا؟؟ وأعتدنا وهيأنا للكافرين منهم ومن غيرهم عذاباً ذا إهانة في الدنيا والآخرة"[٢].

"ولا غرابة في هذا الحكم الشديد، لمن يؤمن بالله ويكفر برسله، أو يؤمن ببعض الرسل ويكفر بالبعض الآخر، إذ الإيمان بالله حقيقة يقتضى عبادته على وجه يرتضيه، ولا سبيل إلى ذلك إلا بالإيمان بالرسل واتباع تعاليمهم فهم السفراء بين الله وخلقه، فكيف يتصور إيمان بالله وكفر برسله"[٣]؟

المظهر الثامن- قسوة قلوبهم:

جاء في القرآن الكريم لفظ قسوة القلب سبع مرات[٤]، "وجاء منها ما يصف به الله أحوال بنى إسرائيل بعد نزول آياته على موسى عليه السلام، من انفجار الماء ورفع الجبل، ومسخهم قردة وخنازير، وغيره، يصفهم بقساوة قلوبهم، وضعف الوازع الديني عندهم، فأصبحت أشدّ صلابة عند معرفة الحق، وفقدت التأثر والانفعال، وكأنّ أصحابها هبطوا من درجة الحيوان إلى دركات الجماد كالحجارة، بل نزلوا إلى ما دونها، وها هي الحجارة تتأثر فيشقّها الماء العذب الزّلال الذي يسيل أنهارا وجداول وعيونا يستقى منها الإنسان والحيوان، ويحيى الأرض، وينفع النبات، وقد تتأثر الحجارة بالمؤثرات الخارجية فتسقط منقادة لله وحده، لكن قلوبهم لم تتأثر بالمؤثرات والمواعظ فكانت

(١) في ظلال القرآن، سيد قطب، ٢/ ٧٩٧، بتصرف.
(٢) تفسير الشعراوي، محمد الشعراوي، ٥/ ٢٧٦٩، بتصرف.
(٣) التفسير الواضح، محمد الحجازي، ١/ ٤٥١.
(٤) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن، محمد عبد الباقي، ص: ٥٤٥.

أقسى من الحجارة، بل أشد قسوة منها"[1]، قال سبحانه: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ۚ وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ ٱلْمَآءُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ (البقرة: ٧٤)، ويمثل الله سبحانه علو شأن القرآن وقوة تأثيره، فلو نزل هذا القرآن على الجبال الراسيات لذلت وانقادت لأمر الله ﷻ، حيث قال في كتابه العزيز: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (الحشر: ٢١)، فلو عقلت تلك الجبال، ثم أُنزل عليها القرآن لخشعت لوعده، وتصدعت لوعيده، لكنكم أيها المقهورون بإعجازه لا ترغبون في وعده، ولا ترهبون من وعيده.

ولهذا نهى سبحانه المؤمنين أن تكون قلوبهم مثل قلوب أهل الكتاب فقال ﷻ: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ﴾ (الحديد: ١٦)، فقلوب هؤلاء لا تلين ولا تندى، ولا تنبض بخشية ولا تقوى.. قلوب قاسية جاسية مجدبة كافرة.. فلا تهزّها الآيات الكونية الرهيبة التي أظهرها الله على يد نبيه، فلا يزيدهم ذلك إلا عنادا، وعتوّا في الأرض وفسادا.

المظهر التاسع- كفر وتكذيب:

كل من عاصر النبي ﷺ يعرف حقا أنه النبي، وخاصة اليهود فقد ذكر في التوراة، ولكنهم لم يؤمنوا به حسداً وبغياً، فكلما جاءهم رسول بما لا تميل إليه نفوسهم، وهي لا تميل إلى الخير دائما، كفروا به واستكبروا عليه تجبرا وبغيا، فمنهم من كذبوه كعيسى ومحمد عليهما السلام، ومنهم من قتلوه كزكريا ويحيى عليهما السلام، فلا غرابة بعدئذ إن لم يؤمنوا بدعوة محمد ﷺ، فإن العناد من طبعهم، فقد باعوا حظهم الحقيقي- وهو الإيمان بالله ورسوله- وأخذوا بدله كفرهم بما أنزل الله، فرجعوا بغضب الله[2]، حيث قال ﷻ: ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ ۚ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ۞ بِئْسَمَا ٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُوا۟ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بَغْيًا أَن يُنَزِّلَ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ فَبَآءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ ۚ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ۞ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا۟ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ ۗ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۞﴾ (البقرة: ٨٩ - ٩١)،

(١) تفسير المراغي، أحمد المراغي، ١/ ١٤٦.

(٢) التفسير الواضح، محمد الحجازي، ١/ ٥٦.

"يمضى القرآن دون أن يلتفت إليهم.. إنه الصدق المطلق الذي يجدونه بين أيديهم، وإن أنكروه بألسنتهم، فهو يتحدث إليهم بصوت صارخ من التوراة: أن كذبتم وافتريتم.. فألجموا ألسنتكم، ودعوا هذا الافتراء الذي أنتم فيه"(١)..

"فالحسد يأكل صدورهم، والشّره يعمى أبصارهم، حتى إنهم ليهلكون أنفسهم، ويحرمونها موارد الخير، لأن غيرهم قد سبقهم إلى هذا الخير ونال منه، فهم يريدونه خالصاً لهم من دون الناس، لذا غضب الله عليهم لأنهم عرفوا الحق ولم ينصروه، بل خذلوه ومكروا به وحاربوه.. وغضب عليهم لأنهم نقضوا الميثاق الذي أخذه الله عليهم فى الكتاب الذي بين أيديهم، ثم حرّفوا فى كتابهم هذا وبدلوا، واستباحوا حرمته"(٢).

ولم يكتف اليهود وأهل الكتاب بذلك، بل أخذوا يمكرون بالدعوة الإسلامية، لأنه سبقهم للإيمان نفر من قومهم، فهم يريدون أن يستولوا على كل شيء، فإن كان أمر لأحد معهم فيه نصيب أعلنوا الحرب عليه، وحاولوا إفساده بكل سبيل، حتى لا ينتفع به!. قال ﷻ: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ كُلَّمَآ أَوْقَدُوا۟ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا ٱللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ (المائدة: ٦٤) وقال تعالى: ﴿قُلْ فَأْتُوا۟ بِٱلتَّوْرَىٰةِ فَٱتْلُوهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۝ فَمَنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ (آل عمران: ٩٣ – ٩٤)، ولكن هيهات أن يكفّ القوم عن الكذب والافتراء.. وتلك بلية أخرى، ليسجل عليهم القرآن ما يثرثرون به، من كذب وافتراء، بعد كذب وافتراء، فقال في كتابه العزيز: ﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُۥنَ أَلْسِنَتَهُم بِٱلْكِتَٰبِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمَا هُوَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ (آل عمران: ٧٨)، وقال سبحانه: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ (البقرة: ٣٩)، وأخيراً فسيكون مصيرهم مخلدون في النار، لا محيد لهم عنها ولا محيص.

(١) التفسير القرآني للقرآن، عبد الكريم الخطيب، ٢/ ٥٣٢.

(٢) المرجع السابق، ١/ ١٠٩، بإختصار.

المطلب الثالث

تأثر المنافقين السلبي

وفيه خمسة مظاهر:

المظهر الأول- الاستهزاء بآيات الله، والحذر من عقابه:

جاء لفظ الاستهزاء ومشتقاته في القرآن الكريم، أربعاً وثلاثين مرة(١)، سأتطرق لبعض منها: "ونحن نتحدث عن المؤمن وانسجام نفسه؛ فهو ينطق لسانه بما في قلبه، والكافر أيضاً كذلك منسجم ينطق لسانه بما في قلبه من الكفر، ولكن المنافق متخبط مع نفسه، فينطق لسانه بما لا يؤمن به، فينطق بكلمات الإيمان وقلبه يضمر الكفر، فكان المنافقون في المدينة يثبطون المؤمنين عن الجهاد ببث التخاذل فيهم، أو بالتهكم اللاذع"(٢)، حيث يقول ﷻ: قال تعالى: ﴿ **وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ** ﴾ (التوبة: ٦٥)

بعدها يحاول المنافقون ستر نفاقهم واستهزائهم أمام رسول الله ﷺ، بقولهم معتذرين: «إِنَّما كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ»، فيأمر الله ﷻ نبيه بفضح عذرهم ﴿ **قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ** ﴾ فهذا مقام لا يخوض فيه الخائضون، فأي ضلال أشد من هذا، وأي كفر وجحود أشد.

قال رجل من المنافقين في غزوة تبوك: "ما رأيت مثل قرائنا هؤلاء أرغب بطونا، ولا أكذب ألسنا، ولا أجبن عند اللقاء، يعني رسول الله ﷺ وأصحابه القراء، فقال له عوف ابن مالك: كذبت ولكنك رجل منافق، لأخبرن رسول الله ﷺ، فذهب عوف إلى رسول الله ﷺ ليخبره، فوجد القرآن قد سبقه، فجاء ذلك الرجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد ارتحل وركب ناقته، فقال: يارسول الله إنما كنا نلعب ونتحدث حديث الركب نقطع به عناء الطريق، فأنزل الله ﷻ: ﴿**لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ**﴾"(٣) !

هذا حال المنافقين دائماً.. يلقون الناس بوجهين، وجه يظهر الحب والمودة، ووجه يضمر السوء والشر.. وهم يجبنون عن مواجهة المؤمنين، ويتظاهرون بالإيمان عند لقائهم، فيجدون في

---

(١) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن، محمد عبد الباقي، ص: ٧٣٦.

(٢) تفسير الشعراوي، محمد الشعراوي، ٨/ ٤٧٣٦، بتصرف.

(٣) حقوق النبي ﷺ على أمته في ضوء الكتاب والسنة، محمد التميمي، ١/ ٥١.

اليهود سندا وملاذا.. فالاستهزاء دأبهم وديدنهم، فيصفهم الله ﷻ في كتابه : ﴿ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ ﴾ (البقرة:١٤) .

"ويمضي القرآن يحكي فعلتهم هذه، حتى يصب عليهم من التهديد ما يهد الرواسي:

قال تعالى:﴿ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ (البقرة: ١٥).. فيتولى المعركة رب العزة ﷻ، ليطمئن المؤمنين ويبين لهم مصير المستهزئين بالدين، وما أبأس من يستهزىء به جبار السماوات والأرض وما أشقاه!!

فيدعهم يخبطون على غير هدى في طريق لا يعرفون غايته، ويتركهم في عماهم يخبطون، ومصيرهم ينتظرهم وهم غافلون يعمهون"(١)!

ولأن المنافقين أجبن من أن يواجهوا الرسول ومن معه، فيخشون أن يكشف الله سترهم، وأن يطلع الرسولﷺ على نواياهم، حيث يقول ﷻ في كتابه العزيز: ﴿ يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلِ اسْتَهْزِئُوا إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ مَا تَحْذَرُونَ ﴾ (التوبة:٦٤).

"فكانوا إذا عابوا رسول الله ﷺ وذكروا شيئاً من أمره وأمر المسلمين قالوا: لعلّ الله لا يفشي سرّنا"(٢)، فيبشرهم القرآن بأن الله سينزل على رسوله ما يفضح أمركم ويفشي سركم.

"لهذا نهى الله ﷻ المسلمين من داء النفاق أن ينفذ إلى قلوبهم، إذا جلسوا مع المنافقين الكافرين، وقاموا بالإستهزاء بآيات الله ورسوله والسخرية منهم، فمن سمع الاستهزاء بدينه في مجلس، فإما أن يدفع، وإما أن يقاطع المجلس وأهله، فالسكوت هو أول مراحل الهزيمة، وهو السبيل لطريق النفاق"(٣)!

حيث قال سبحانه : ﴿ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ ﴾ (النساء:١٤٠) إشارة إلى ما نزل قبل هذا من قرآن فى مثل هذا الموقف، وهو قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ ﴾ (الأنعام:٦٨)، فالأمر بمقاطعتهم حين يسمعون آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها.. وإلا فهو النفاق.. وهو المصير المفزع، مصير المنافقين والكافرين: ﴿إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴾

(١) في ظلال القرآن، سيد قطب، ١/ ٤٤، بتصرف.
(٢) تفسير القرآن العظيم، اسماعيل بن كثير، ٤/ ١٧٠.
(٣) في ظلال القرآن، سيد قطب، ٢/ ٧٨١، بتصرف.

(النساء: ١٤٠)، وإلا فالتهديد والوعيد هو مصيرهم المشئوم الذي ينتظر الكافرين والمنافقين، ومن يلوذ بهم، ويركن إليهم، ويستمع للزور الذي يدور بينهم.

المظهر الثاني- مرض قلوبهم:

يبين الله سبحانه وتعالى حال الحائرين بين الحق والباطل، وبين العداوة وإظهار المودة، وهم المنافقين الذين آمنوا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم، وهم أخبث الكفرة، لأنهم ضموا إلى الكفر استهزاءً وخداعاً وتمويهاً وتدليساً.

إن آفة نفاق المنافقين فى القلوب وحدها، حيث قد سمعوا الحق ووعوه، وأبصروا الهدى واستيقنوه، ولكن حين ينفذ هذا كله إلى موطن الإيمان من قلوبهم، يصادف قلوباً مريضة، لا تقبل الحق والخير، وإن قبلتهما فإنها سرعان ما تلفظهما، كما يلفظ المحموم طيب الطعام[١]، قال تعالى عنهم: ﴿ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ ﴾ (البقرة: ١٠)

"فمرض القلب: خروجه عن صحته واعتداله، فإن صحته أن يكون عارفاً بالحق محباً له، مؤثراً له على غيره، فمرضه إما بالشك فيه، وإما بإيثار غيره عليه"[٢].

والمرض: "كل ما يخرج به الإنسان عن حد الصحة من علة أو نفاق أو تقصير في أمر"[٣].

فالمنافق أمره مختلط، وشأنه مضطرب، يدور حول نفسه التي تحمل الكفر والإيمان معاً، فلا هو فى الكافرين، ولا فى المؤمنين.. حيث وصفهم الله ﷻ: ﴿ مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا ﴾ (النساء: ١٤٣)، وقال سبحانه: ﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴾ (النساء: ١٤٥)، "حيث نعت ابن كثير المنافق فقال: خنع الأخلاق يصدق بلسانه وينكر بقلبه ويخالف بعمله ويصبح على حال ويمسي على غيره، ويمسي على حال ويصبح على غيره، ويتكفأ تكفؤ السفينة كلما هبت ريح هبت معها"[٤].

وبما أن شعار المنافقين هو الكذب، فقد حذر الله المؤمنين منه أشد التحذير، فما فشا في أمة إلا كثرت فيها الجرائم، وشاعت فيها الرذائل، حيث توعد ﷻ المنافقين بما لم يتوعد به الكافرين، توعدهم بالعذاب الأليم، فقال سبحانه: ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ ﴾ (البقرة: ١٠)،

(١) التفسير القرآني للقرآن، عبد الكريم الخطيب، ١/ ٣١.
(٢) تفسير القرآن الكريم، محمد بن القيم:١/١١٥.
(٣) فتح القدير، محمد الشوكاني، ١/ ٤٩.
(٤) تفسير القرآن العظيم، اسماعيل بن كثير، ١/ ٨٩.

بينما توعد الكافرين بالعذاب العظيم، فقال سبحانه: ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ (البقرة: ٧)، "فالأليم أشد هولاً ونكالاً من العظيم، فقد يكون العظيم عظيماً فى شخصه وهيئته، وليس عظيما فى أفاعيله وسطوته.. أما الأليم فهو البالغ الغاية فى الإيلام، ولو ضؤل شخصه"[١]!

المظهر الثالث- الصدود عما أنزل الله:

ورد لفظ الصد في السياق القرآني بمشتقاته، واحداً وأربعين مرة[٢]، نذكر منها ما يكشف لنا عن صفة جديدة من صفات المنافقين، الذين يظهرون خلاف ما يبطنون، فلا يدخل فى زمرة المؤمنين من يقول آمنا بالله والرسول وأطعنا، ثم يعرض عما تقتضيه الطاعة وينحاز إلى غير المؤمنين، ثم إذا دعي هؤلاء إلى كتاب الله وإتباع رسوله ليحكم بينهم بحكم الله ﷻ أعرضوا عن قبول الحق واستكبروا عن اتباع حكمه، لأنه لا يحكم إلا بالحق.

قال تعالى: ﴿ وَإِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَهُمۡ إِذَا فَرِيقٞ مِّنۡهُم مُّعۡرِضُونَ ﴾ (النور: ٤٨) ، وقال سبحانه وتعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيۡتَ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودٗا ﴾ (النساء: ٦١)

وهنا ينكر الله ﷻ على من يدعي الإيمان بما أنزل الله على رسوله وهو مع ذلك يريد التحاكم في فصل الخصومات إلى غير كتاب الله وسنة رسوله، كما ذكر في سبب نزول هذه الآية أن رجلا من المنافقين اسمه بشر وخصمه يهودي، حين اختصما في أرض، فجعل اليهودي يجره إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليحكم بينهما، وجعل المنافق يجره إلى كعب بن الأشرف ويقول: إن محمدا يحيف علينا، فنزلت الآية فيه[٣].

فهم لا يرضون حكم الله ورسوله فيهم، ولا يقبلون ما قضى به كتاب الله فى شأن من شئونهم، إذا كان ذلك الحكم مما لا يرضيهم.

"فالايمان إنما هو تكيف في النفس، وانطباع في القلب، وعمل في الواقع، ثم لا تملك النفس الرجوع عنه متى استقرت حقيقته في الضمير"[٤]..

فهنا يظهر نفاق هؤلاء المنافقين .. فهم مؤمنون، إذا كانت ريح الإيمان تدفع سفينتهم إلى الوجهة التي يريدونها.. وهم غير مؤمنين، إذا تعارضت ريح الإيمان مع أهوائهم وشهواتهم..

---

(١) التفسير القرآني للقرآن، عبد الكريم الخطيب، ١/ ٣٢.
(٢) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن، محمد عبد الباقي، ص: ٤٠٣.
(٣) أسباب النزول، علي الواحدي، ١/ ٣٣٧.
(٤) في ظلال القرآن، سيد قطب، ٤/ ٢٥٢٥.

المظهر الرابع- اتباع الفتنة:

يبين لنا المولى ﷻ موقف الذين في قلوبهم مرض وإنحرافهم عن الحق من متشابه القرآن فيقول: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ﴾ (آل عمران: ٧).

"والزيغ: هو ضلال وميل عن الحق إلى الباطل، وقد جعل قلوبهم مقرا للزيغ مبالغة في عدولهم عن سنن الرشاد وإصرارهم على الشر والفساد"(١).

"فالفاسقون الذين في قلوبهم انحراف عن طلب الحق، وميل عن المنهج القويم، وانصراف عن القصد السوى، فيأخذون بالمتشابه الذي يتمسكون به، ويمكنهم أن يحرفوه إلى مقاصدهم الفاسدة لينفروا الناس منه، ولا تتجه عقولهم إلى المحكم ليردوا المتشابه إليه، لأنه يوافق اعوجاج نفوسهم وسوء نياتهم"(٢).

المظهر الخامس- لا ينتفعون بهدي القرآن:

جعل الله سبحانه القرآن هداية للناس، وشفاء للصدور، ونبراساً يضيء لهم الطريق، فيذهب ما في قلوبهم من شك ونفاق، وشرك وزيغ وميل، وليس هذا إلا لمن آمن به وصدقه واتبعه، فإنه يكون شفاء في حقه ورحمة، وأما الكافر الظالم نفسه بذلك، فلا يزيده سماعه القرآن إلا بعدا وتكذيبا وكفرا. ، كما قال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ ۖ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ﴾ (فصلت: ٤٤) ، ويزيد نور القرآن من سلك طريقه، وصدق بآياته، فعمل بها، يزيده هدى على هداه حيث قال المولى ﷻ : ﴿وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ هُدًى ۗ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَّرَدًّا﴾ (مريم: ٧٦)، "فالمؤمنون مستبشرون بكل ما يتلقونه من آيات الله ﷻ، لأنها تزيدهم إيمانا مع إيمانهم، وخيراً جديداً يضاف إلى ما بين أيديهم من خير، لأنها تزودهم بزاد جديد من الإيمان والتقوى، وتسير بهم خطوات واسعة إلى الله، تدنيهم من رحمته، وتقربهم من رضوانه"(٣).

حيث قال تعالى: ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كَٰفِرُونَ﴾ (التوبة: ١٢٤ – ١٢٥)وأما الذين في قلوبهم شك وارتياب، فنفاقهم يزيدهم كفرا

(١) التفسير الوسيط ، محمد طنطاوي، ٢/ ٢٩.
(٢) التفسير المنير، وهبة الزحيلي، ٣/ ١٥٢.
(٣) التفسير القرآني للقرآن، عبد الكريم الخطيب، ٦/ ٩٢٢، بتصرف.

وضلالاً، ويستحوذ عليهم الرجس والكفر والنفاق ويموتوا وهم كافرون، وهذا شأن الجاحدين المنافقين، لا تؤثر فيهم العظات مهما كانت بليغة، ولا النذر مهما كانت قوية، بخلاف قلوب المؤمنين فإن المواعظ تزيدها يقينا على يقينها، وإيمانا على إيمانها.

الفصل الثالث

تأثير القرآن الكريم على الجماد والماء والحيوان

ويتكون من ثلاثة مباحث:.

المبحث الأول: تأثير القرآن الكريم في الجماد

المبحث الثاني: تأثير القرآن الكريم في الماء

المبحث الثالث: تأثير القرآن الكريم في الحيوان

المبحث الأول

تأثير القرآن الكريم في الجماد

ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول : تصدع الجبال من هيبة كلام الله

المطلب الثاني: حنين الجذع

المطلب الأول

تصدع الجبال من هيبة كلام الله

بلغ من شأن القرآن وعظمته وشدة تأثيره، أن تخشع له القلوب وتتصدع عند سماعه، لما فيه من الوعد الحق والوعيد الأكيد، حيث بين الله ﷻ تسابق الجبال مع الإنسان في معرفته سبحانه والخشوع والتذلل له، فهناك لغة تجمع بين الإنسان والجبال على الرغم من ضخامتها وعظمها، وهي لغة التسبيح للمولى ﷻ، فلا أحد يدرك حقيقتها وكيفيتها غير الخالق سبحانه، حيث قال في كتابه العزيز: ﴿ إِنَّا سَخَّرْنَا ٱلْجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحْنَ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِشْرَاقِ ﴾ (ص: ١٨)، وقال سبحانه: ﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَٱلطَّيْرَ ﴾ (الأنبياء: ٧٩)، "وكأن الجبال تفهم تسبيح داود وتُردِّده من خلفه، فنحن نعلم أن لكل جنس لغةً يتفاهم بها، ولكل نوع من الحيوانات صَوْتاً يختلف من نوع إلى آخر، فالعلم المعاصر توصَّل إلى دراسة لغات الكائنات وأثبتها؛ وعلى ذلك يكون التسبيح من الكائنات بالنطق والتفاهم بين مُتكلِّم وسامع، بل ولتلك الكائنات عواطف أيضاً"(١).

وكذلك عندما تسبح الجبال فلا يستطيع أن يفهم لغاتها إلا من أعطي مفاتيحها بقدرة الخالق العظيم، ومن شدة تأثر هذه الجبال فلو أُنزل القرآن على جبل من الجبال، وجُعل له عقل كما جُعل للبشر، لرأيت الجبل – مع كونه في غاية القسوة والصلابة – خاشعًا متصدعًا من خشية الله حيث بين المولى ذلك في كتابه العزيز فقال: ﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (الحشر: ٢١)، لقد اختار المولى ﷻ الجبل، لأنه أشد الأشياء صلابة، وقلة تأثر بما ينزل به، فلو نزل القرآن العظيم الشأن على جبل من الجبال العالية الشامخة الصلبة وخاطبناه به.. وجعل له عقل كما جعل للبشر، لرأيت– أيها العاقل– هذا الجبل الذي هو مثال في الشدة والغلظة والضخامة وعدم التأثر.

"لرأيته متذللاً متشققاً حذرا من عقابه، وخوفاً من عدم أداء ما يجب عليه من تعظيم كلام الله تعالى وخشيته، فكيف يليق بكم أيها البشر ألا تلين قلوبكم وتخشع وتتصدع من خشية الله، وقد فهمتم عن الله أمره وتدبرتم كتابه، ولهذا قال الله تعالى: ﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾، فهذه الأمثال نضربها لجميع الناس، لعلهم يتفكرون فيما يجب عليهم التفكر فيه ليتعظوا بالمواعظ، وينزجروا بالزواجر"(٢)، وقد قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ ٱلْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ ٱلْمَوْتَىٰ ۗ بَل لِّلَّهِ ٱلْأَمْرُ ﴾ (الرعد:٣١)، أي لكان هذا القرآن، وقد قال سبحانه: ﴿وَإِنَّ مِنَ

(١) تفسير الشعراوي، محمد الشعراوي، ١٢/ ٧٢٥٢.

(٢) التفسير الوسيط، محمد طنطاوي، ١٤/ ٣١٠.

ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ ٱلْمَآءُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ﴾ (البقرة:٧٤)، فكل الجبال تسجد وتخشع كسائر المخلوقات لله عز وجل وتخشى عذابه، بينما نجد أن بعضاً من الناس يسجد لله، وكثيراً منهم لا يسجد لله فحق عليهم العذاب، "والسجود أصله التطامن والتذلل وجعل ذلك عبارة عن التذلل للَّه وعبادته، وهو عام فى الإنسان والحيوانات والجمادات، وذلك ضربان:

١) سجود باختيار، وليس ذلك إلا للإنسان وبه يستحق الثواب، نحو قوله: ﴿ فَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ وَٱعْبُدُوا۟ ﴾ (النجم: ٦٢)، أي تذللوا له.

٢) وسجود تسخير: وهو للإنسان والحيوانات والنبات، حيث قال تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَىٰ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ يَتَفَيَّؤُا۟ ظِلَٰلُهُۥ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَٱلشَّمَآئِلِ سُجَّدًا لِّلَّهِ ﴾ (النحل: ٤٨)، فهذا سجود تسخير وهو الدلالة الصامتة الناطقة المنبهة على كونها مخلوقة وأنها خلق فاعل حكيم"[١].

ويعلق سيد قطب على تصدع الجبال وخشوعها عند نزول القرآن فيقول: " إن لهذا القرآن ثقلاً وسلطانًا وأثرًا مزلزلاً لا يثبت له شيء يتلقاه بحقيقته، والذين أحسوا شيئًا من مس القرآن في كيانهم يتذوقون هذه الحقيقة تذوقا لا يعبر عنه إلا هذا النص القرآني المشع الموحي"[٢].

المطلب الثاني
حنين الجذع

إن الله تعالى يعلم أن للجمادات إرادات وأفعالاً وأقوالاً لا يدركها الخلق، فلا مانع عقلاً أن يخلق الله للجمادات إدراكات يعلمها هو ونحن لا نعلمها، حيث قال المولى ﷻ: ﴿وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ ﴾ (الإسراء:٤٤) [٣].

فانظر إلى العصا التي تحولت إلى حية تسعى بإذن الله، فتحولت العصا اليابسة إلى كائن حي يدب بالحياة: ﴿وَأَلْقِ مَا فِى يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوٓا۟﴾ (طه: ٦٩)، وقال تعالى: ﴿ وَأَلْقِ عَصَاكَ ۚ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ ۚ ﴾ (النمل: ١٠)، ثم قال:﴿ فَأَلْقَىٰهَا فَإِذَا هِىَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ﴾ (طه: ٢٠)،

(١) الموسوعة القرآنية، إبراهيم الأبياري، ٨/ ٢٥١.
(٢) في ظلال القرآن، سيد قطب، ٦/ ٣٥٣٢.
(٣) انظر: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الشنقيطي، ٣/ ٣٣٩.

فالعصا في نظر موسى عليه السلام عود من الخشب، فقدت الحياة النباتية، وتحولت إلى جماد، يتوكأ عليها ويضرب بها أوراق الشجر لتتساقط فتأكلها الغنم، ثم تحدث المعجزة الخارقة التي لم تخطر ببال أحد، وهي أن العصا حية تسعى، فكم من ملايين الذرات الميتة أو الجامدة كالعصا تتحول في كل لحظة إلى خلية حية، ولكنها لا تبهر الإنسان كما يبهره أن تتحول عصا موسى حية تسعى! [١]، وهذا ليس غريباً ولا عجيباً أن نرى هذه العصا تتحول إلى نور وهداية.

وقد ثبت بالحديث المتواتر عن ابن عمر ﷺ "**كان النبي ﷺ يخطب إلى جذع، فلما اتخذ المنبر تحول إليه فحن الجذع فأتاه فمسح يده عليه** "[٢]، وفي حديث آخر: عن جابر بن عبد الله ﷺ، **أن النبي ﷺ: "كان يقوم يوم الجمعة إلى شجرة أو نخلة، فقالت امرأة من الأنصار، أو رجل: يا رسول الله، ألا نجعل لك منبرا؟ قال: «إن شئتم»، فجعلوا له منبراً، فلما كان يوم الجمعة دفع إلى المنبر، فصاحت النخلة صياح الصبي، ثم نزل النبي صلى الله عليه وسلم فضمه إليه، تئن أنين الصبي الذي يسكن. قال: «كانت تبكي على ما كانت تسمع من الذكر عندها»**[٣].

قال الحسن البصري: "هذا الجذع حن إليه، فإنهم أحق أن يحنوا إليه، وأما عود الحياة إلى جسد كانت فيه بإذن الله فعظيم، وهذا أعجب وأعظم منه إيجاد حياة وشعور في محل ليس مألوفاً لذلك، فيا معشر المسلمين الخشبة تحن إلى رسول الله ﷺ شوقاً إليه، أو ليس الرجال الذين يرجون لقاءه أحق أن يشتاقوا إليه"[٤]؟

وعلق ابن حجر على حنين الجذع فقال: "فيه دلالة على أن الجمادات قد يخلق الله لها إدراكًا كالحيوان، بل كأشرف الحيوان"[٥].

فكم من البشر لم يرتقوا إلى مستوى هذا الجذع .. النبي ﷺ لم تحن إليه قلوبُ المؤمنين فقط، بل حنَّت إليه الجمادات، وها هو القاضي عياض قد أفرد فصلاً في كتابه (الشفا) فقال: "فهذا الجذع دبت فيه الحياة ودب فيه الإدراك من يوم أن استند عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ليخطب في الناس ويتلو آيات الله، فلما سمع الجذع هذا الذكر المبارك كانت الحياة وكان الشفاء، ولما تظهر آثاره إلا يوم أن فارقه رسول الله ﷺ فحن حنين الصبي المشتاق إلى ما يحييه"[٦].

---

(١) انظر: (تفسير الشعراوي، محمد الشعراوي، ١٧/ ١٠٥٦١، في ظلال القرآن، سيد قطب، ٤/ ٢٣٣٢).
(٢) صحيح البخاري، كتاب: المناقب، باب: علامات النبوة في الإسلام، ح(٣٥٨٣)، ٤/ ١٩٥.
(٣) صحيح البخاري، كتاب: المناقب، باب: علامات النبوة في الإسلام، ح(٣٥٨٤)، ٤/ ١٩٥.
(٤) البداية والنهاية، إسماعيل بن كثير، ٩/ ٣٥٣.
(٥) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، أحمد المهدي، ٣/ ٢٠٢.
(٦) فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد ابن حجر، ٩١/١.

وحنين الجذع شوقًا إلى سماع الذكر وتألمًا لفراق الحبيب، هو في ظاهر الأمر آية من أعظم الآيات الدالة على نبوة الحبيب ﷺ وصدق رسالته وهي معجزة كبرى على مثلها آمن البشر لعجزهم على الإتيان بمثلها.

وقال الشافعي: "ما أعطى الله نبياً ما أعطى محمداً ﷺ، فقلت: أعطى عيسى إحياء الموتى. فقال: أعطى محمداً ﷺ الجذع الذي كان يخطب إلى جنبه ؛ حين هيئ له المنبر حن الجذع حتى سمع صوته، فهذا أكبر من ذاك "(١).

فهذه نصوص متواترة صريحة بتأثر الجماد بالذكر، والقرآن ذكر .

(١) البداية والنهاية، اسماعيل بن كثير، ٩/ ٣٠٩.

المبحث الثاني

تأثير القرآن الكريم في الماء

المبحث الثاني

تأثير القرآن الكريم في الماء

قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾ (الأنبياء: ٣٠)،" أحيينا بالماء الذي تنزله من السماء كل شيء حي من الحيوان، يعني أنه سبب لحياة كل شيء"(١).

يقول سيد قطب: "والماء النازل من السماء هو مادة الحياة الرئيسية للأحياء في الأرض جميعاً، فمنه تنشأ الحياة بكل أشكالها ودرجاتها، ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ﴾، سواء أنبت الزرع مباشرة حين يختلط بالأرض، أو كون الأنهار والبحيرات العذبة، أو انساح في طبقات الأرض فتألفت منه المياه الجوفية، التي تتفجر عيونا أو تحفر آبارا، أو تجذب بالآلات إلى السطح مرة أخرى"(٢).

الماء الذي تحدث عنه النبي الأعظم ﷺ، فهو العنصر الأكثر أهمية بالنسبة للأحياء، وقد أكرمه المولىﷻ في بداية الخلق بأن جعل عرشه على الماء قال سبحانه: ﴿وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ﴾ (هود:٧)، واليوم تظهر لنا أسرار تأثر الماء بآيات القرآن الكريم، "فقد كشف العالم الياباني "ماسارو أموتو" أن الماء يختزن في داخله كل الأحداث التي تجري حوله، وأن قطرات الماء تتغير بالترددات الصوتيه حوله، حيث اختار ماء زمزم لتميزه عن أي ماء آخر، ووجد له تفاعلاً خاصاً مع كلام الله تبارك وتعالى، وتأثره بتلاوة القرآن عليه، فأحضر العالم "أموتو "قطرات من ماء زمزم وقرأ عليها البسملة فلاحظ أن ترتيب جزيئات الماء تصبح أجمل !بل تتشكل بأشكال فريدة وكأنها لوحات رسمت بيد فنان ماهر"(٣)، حيث قال ﷻ في كتابه العزيز: ﴿وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ (الإسراء: ٤٤)، وهذا يدل على أن ذرات الماء تسبح الله ! "ولذلك فهي تتأثر بكلام الله، لأنه كلام يختلف عن كلام البشر، وكل ذرة من ذراته تخضع وتستسلم له، بل تصبح أكثر نشاطاً عندما نسمعها آيات من القرآن، وهذا الماء يحمل قوة شفائية، لأن خلايا الجسد لا يمكن أن تعيش بدونه، فقراءة الآيات القرآنية على الماء تكسب هذا الماء خصائص جديدة فيصبح أكثر قابلية لشفائنا ورفع كفاءة النظام المناعي لنا"(٤)، فقال سبحانه: ﴿وَٱذْكُرْ عَبْدَنَآ أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلشَّيْطَٰنُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ۞ ٱرْكُضْ بِرِجْلِكَ هَٰذَا مُغْتَسَلٌۢ بَارِدٌ وَشَرَابٌ﴾ (ص: ٤١-٤٢)، فمن خلال ذلك يمكننا القول بأن الماء يحمل الحياة للنبات، ويحمل الحياة لكل خلية من خلايا أجسادنا، فجزيئات الماء تتأثر بأي كلام يقرأ عليها، ومن باب أولى أن تتأثر بكلام الخالق سبحانه وتعالى.

---

(١) التفسير الوسيط، للواحدي، ٢٣٥/٣.

(٢) في ظلال القرآن، سيد قطب، ١/ ٤٧.

(٣) ذاكرة ماء زمزم، د. عبد الدايم الكحيل، ص:٣، بتصرف.

(٤) انظر: المرجع السابق، ص: ٦-٨.

المبحث الثالث

تأثير القرآن الكريم على الحيوان

المبحث الثالث
تأثير القرآن الكريم على الحيوان

قال ﷻ في كتابه العزيز: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ (الإسراء: ٤٤). فمن الأشياء التي ذكر النبي ﷺ أنها تسبح لله تعالى وتتأثر بذلك ما ذكره معاذ بن أنس، عن أبيه رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ أنه مر على قوم وهم وقوف على دواب لهم ورواحل، فقال لهم: "اركبوها سالمة، ودعوها سالمة، ولا تتخذوها كراسي لأحاديثكم في الطرق والأسواق، فرب مركوبة خير من راكبها، وأكثر ذكراً لله منه" (١).

لقد كان تأثر الدابة من خلال حضور الملائكة لسماع القرآن، وتنزل السكينة عند قراءة القرآن الكريم، حيث قال رسول الله ﷺ:" **وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله، يتلون كتاب الله، ويتدارسونه بينهم، إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده**"(٢).

فخير مجالس الذكر هي تلك المجالس التي تحفها الملائكة وتتنزل فيها السكينة، وهي تشمل قراءة القرآن، أو أي نوع من الذكر، وهذا يعزز تأثر الدابة عندما نزلت الملائكة، لتحف قارئ القرآن وتنزل عليه السكينة، فعن أسيد بن حضير قال :"بينما هو يقرأ من الليل سورة البقرة، وفرسه مربوط عنده إذ جالت الفرس، فسكَتَ فَسَكَنت، فقرأ فجالت الفرس، فسَكت وسَكتت الفرس، ثم قرأ فجالت الفرس فانصرف، وكان ابنه يحيى قريبا منها فأشفق أن تصيبه، فلما اجترّه رفع رأسه إلى السماء حتى ما يراها فلما أصبح حدّث النبي ﷺ، فقال له: اقرأ يا ابن حضير، اقرأ يا ابن حضير، قال فأشفقت يا رسول الله أن تطأ يحيى، وكان منها قريباً، فرفعت رأسي فانصرفت إليه، فرفعت رأسي إلى السماء فإذا مثل الظلة فيها أمثال المصابيح، فخرجت حتى لا أراها قال: وتدري ما ذاك؟ قال: لا، قال: تلك الملائكة دنت لصوتك، ولو قرأت لأصبحت ينظر الناس إليها لا تتوارى منهم"(٣).

وعن البراء بن عازب ﷺ قال:" **بينما رجل يقرأ سورة الكهف إذ رأى دابته تركض فنظر، فإذا مثل الغمامة، أو السحابة . فأتى رسول الله ﷺ فذكر ذلك له . فقال النبي ﷺ: تلك السكينة نزلت مع القرآن، أو نزلت على القرآن**"(٤).

---

(١) مسند الإمام أحمدن أحمد بن حنبل، حديث معاذ بن أنس، ح(١٥٦٢٩)،٣٩٢/٢٤، حديث حسن.

(٢) صحيح مسلم، كتاب: الذكر والدعاء..، باب: فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر، ح(٢٦٩٩)، ٤/ ٢٠٧٤.

(٣) صحيح البخاري ،كتاب: فضائل القرآن ، باب: نزول السكينة والملائكة عند قراءة القرآن، ح(٥٠١٨)، ١٩٠/٦.

(٤) سنن الترمذي، أبواب: فضائل القرآن ، باب: ما جاء في فضل سورة الكهف، (٢٨٨٥) ١٦١/٥ .

الخـــاتـــمـــة

أولاً- النتائج

ثانياً- التوصيات

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على سيد البريات، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً، وبعد..

ففي الختام أحمده حمداً لا أحصى ثناء عليه، فله الفضل والكرم أن أتمَّ نعمته عليَّ لإكمال بحثي هذا سائلة المولى ﷻ أن أكون قد وفقت في كتابته وعرضه على الوجه الذي يرضى به عنا.

فجعلت هذا البحث يتكون من: مقدمة وتمهيد وثلاثة فصول وخاتمة، أما التمهيد فتحدثت فيه عن مفهوم التأثير القرآني وبيان أحكام العلماء أمثال الخطابي والباقلاني والجرجاني وعبد الكريم الخطيب وغيره من المفسرين كالسيوطي والزرقاني وسيد قطب، وغيرهم ممن لهم السبق والفضل، حيث اختلفت مسميات هؤلاء العلماء خلال تعبيرهم عن هذا الوجه من وجوه الإعجاز فمنهم من أسماه: الإعجاز النفسي – الإعجاز التأثير – سحر القرآن – وغيرها من العبارات ذات الصلة، إلا أن كل هذه المسميات تدلل في مضمونها على تأثير القرآن الكريم في جميع المخلوقات.

أما الفصل الأول حمل عنوان: تأثير القرآن على النبي ﷺ والمؤمنين، فقد تحدثت فيه عن تأثير القرآن الكريم على نفس النبي ﷺ حيث تغيرت ملامحه لنزول القرآن عليه وبكائه وغيره من العلامات التي ظهرت عليه عند وقوفه مع آيات الله ﷻ، وأيضاً فللقرآن أثره على المؤمنين من سجود وخشوع، ووجل القلب وغيره، وكذلك فإن الجن يتأثر بالقرآن كالإنس، والملائكة لها تأثُّرها بالقرآن، فهي تسبح وتستغفر وتشهد حلق الذكر وتدنو لسماع القرآن الكريم.

الفصل الثاني: تناولت فيه تأثير القرآن الكريم على غير المؤمنين، بشقيه السلبي والإيجابي، فسرت مع التأثير الإيجابي للقرآن على الكفار حيث كانوا يسجدون عند سماعهم القرآن رغم كفرهم، وينبهرون فيه كما حدث مع الوليد بن المغيرة وغيره، أما أهل الكتاب فقد كانت أعينهم تفيض من الدمع لسماعهم آيات الله ﷻ، وتأثير القرآن على المنافقين فتمثل في خوفهم وحذرهم أن تنزل عليهم سورة تنبئهم بما في قلوبهم، أما الجانب السلبي على هؤلاء الثلاثة فتمثل في إلحادهم وإعراضهم عن آيات الله سبحانه، وإلباسهم الحق بالباطل، وغرورهم وكبرهم، واستهزائهم بآيات ربهم وإتباعهم للفتنة وغيرها الكثير، إلا ان كبر هؤلاء وكفرهم وعنادهم قد طغى عليهم فأعمى بصيرتهم عن الحق والإيمان.

الفصل الثالث: فقد وقفت مع الجماد والحيوان والنبات والماء، وتأثرهم الخاص مع القرآن العظيم، وفتصدع الجبال وحنين الجذع ، وتسليم الحجر على رسول الله ﷺ كان مع الجماد، أما تسبيح الشجر والطعام وتأثرهم بالذكر، والقرآن ذكر، وكل ذرة من ذرات الماء تتأثر عند سماعها

آيات الله ﷻ، وأخيراً فالدواب تتأثر بالقرآن، والطيور تصلي وتسبح، فكل المخلوقات تسبح المولى ﷻ صلاةً وتسبيحاً لا يعلمه إلا خالقه سبحانه وتعالى.

وأخيراً أقول: إن هذا جهد المقل، وضعته في هذا البحث المتواضع راجية من الله أن ينفعني وغيري به، وأن يقبله مني، وأن يكتب له القبول والاستحسان عند البشر، هذا وإن كان من توفيق فمن الله ، وإن كان من خطأ فمن نفسي والشيطان، أعاذنا الله منه.

أولاً- أهم النتائج:

١- إن القرآن الكريم يحدث تأثيراً خاصاً على جميع الخلائق، وسلطاناً عجيباً، لا يكون أبداً لغير آيات الله لأنه كلام رب العالمين.

٢- لم يكن تأثير القرآن الكريم على النفوس المؤمنة فقط، بل تجاوزها ليؤثر على نفوس الكافرين، فمنهم من تأثر بالقرآن مباشرةً فأعلن اسلامه، ومنهم من عاند وكابر، ومنهم من أسلم بعد حين.

٣- الآداب التي تعين المسلم على التأثر بالقرآن منها ما يتعلق بالقلب والوجدان، فيطلق عليها الآداب القلبية، ومنها ما يتعلق بالظاهر فيطلق عليها الآداب الظاهرية.

٤- بذل علماؤنا ما بوسعهم للحديث عن أثر القرآن الكريم على المخلوقات، إلا أنهم لم يتفقوا على عنوان محدد لهذا الوجه، فمنهم من يمر عليه مروراً عابراً، ومنهم من يطلق عليه التأثير النفسي، وآخرون يسمونه التأثير الروحي.

٥- الإمام الخطابي هو أول من تحدث عن التأثير القرآني واعتبره وجهاً من وجوه الإعجاز.

٦- الإمام الجرجاني تربع على قمة العناية بالأثر النفسي، حيث أوشك ان يؤسس نظرية نفسية في أحوال النفس الإنسانية عند تلقيها للبيان.

٧- لعلماء التفسير دور هام في بيان تأثير القرآن الكريم على المخلوقات منهم: ابن كثير والزركشي والسيوطي وسيد قطب وغيره.

٨- تأثر الأنبياء عليهم السلام بسكينة القرآن لدرجة أنهم خروا إلى الأرض سجداً، وكان رسول الله ﷺ من أكثر المتأثرين بالقرآن، وذلك من خلال تغير ملامحه عند نزول الوحي عليه، وبكائه، والتزامه بالقرآن سلوكاً وعملاً وخلقاً.

٩- يظهر شدة تأثر المؤمنين بالقرآن من خلال وجل قلوبهم، وقشعريرة جلودهم.

١٠- إن القرآن يتعامل مع القلوب المؤمنة دون حواجز، كما أن ايقاعات القرآن على القلب المؤمن تزيده إيماناً.

١١- انبهر الجن بالقرآن الكريم فاستجابوا له مذعنين غير منكرين لما مس نفوسهم منه، فقاموا بدعوة قومهم وانذارهم.

١٢- انقسم الجن لفريقين: فالمسلم عادل مصلح، ويقابله القاسط الجائر المفسد.

١٣- انبهرت الملائكة بسكينة القرآن فصارت تتهادى من السماء مقتربة من الأرض لسماع القرآن الكريم، وحضور مجالس الذكر، وشهودهم لقرآن الفجر.

١٤- لم يقتصر تأثير القرآن الكريم على غير المؤمنين فقط، بل هناك تأثيرٌ ايجابيٌ عليهم.

١٥- تأثر الكفار الإيجابي بالقرآن يتمثل في قوة تأثيره في نفوسهم من خلال طلبهم التوقف عن قراءة القرآن خوفاً أن يصابوا من التهديد والوعيد إذا سمعوه، وكذلك سجودهم بسماع القرآن وشهادتهم بحلاوة قوله، أما تأثرهم السلبي فيتمثل في إلحادهم وإعراضهم واعتدائهم على من يتلو آيات الله ، وغيره الكثير.

١٦- من مظاهر تأثر أهل الكتاب الإيجابي فيض أعينهم بالدمع، وانبهارهم بسكينة القرآن، أما تأثرهم السلبي فيظهر من خلال كتمانهم للآيات وعدم المبالاه بها، وتحريفهم ولي ألسنة الكتاب ثم إلباسهم الحق بالباطل وغيره.

١٧- تأثر المنافقين الإيجابي جاء من خلال تأثرهم برائحة القرآن عند تلاوته، وخوفهم من نزول سورة تنبئهم بما في قلوبهم، أما تأثرهم السلبي يتمثل باستهزائهم ومرض قلوبهم ، واتباعهم الفتنة وعدم انتفاعهم بهدي القرآن.

١٨- لم يكن تأثير القرآن على النفوس البشرية فقط، بل شملت الجماد من خلال تصدع الجبال وحنين الجذع ، وشملت الحيوان من خلال تأثر الدابة وكذلك الماء.

ثانياً- أهم التوصيات:

١- أوصي كل إنسان غيور على دين الله ﷻ أن يبذل قصارى جهده لإثبات المزيد من تأثير المخلوقات بالقرآن الكريم حيث إن هناك العديد من الأبحاث العلمية التي يجريها علماء الغرب على النباتات والماء فيكتشفوا استجابتهم مع آيات القرآن وروعة هذا القرآن على هذه المخلوقات.

٢- أوصي العلماء وكل صاحب قرار بأن يقوم بإجراء أبحاث وتجارب علمية تبين تأثير القرآن على كثير من المخلوقات، مثل بعض الأمراض المستعصية، وبعض الأطعمة والمشروبات والرزق من خلال رصد التغيرات عليهم كلما استمعوا مدة أطول للقرآن الكريم فهذه التجارب مهمة جداً ولو تمت بشكل علمي (بطريقة البحث العلمي) فسيكون لها أثر كبير على هداية

غير المسلمين، وإعطائهم صورة صحيحة عن الإسلام، وأنه دين العلم، والرد على المشككين برسالة هذا الدين الحنيف.

٣- أوصي الباحثين وطلبة العلم أن يغوصوا في أعماق هذا القرآن الكريم، وأن يكشفوا ويكشفوا عن مكنوناته ودقائقه، فإن ذلك يحقق النفع لهم ولأمتهم.

٤- أوصي نفسي وطلبة العلم من إكثار التسبيح ومجالس الذكر والدعاء لتحفهم الملائكة الأبرار، فتتنزل عليهم السكينة والرحمة.

٥- أوصي جميع من يؤمن بالله ﷻ أن يكثروا من قراءة القرآن في بيوتهم، لأن الجن يستمعون للقرآن فتهدأ وتسكن تلك البيوت.

الفهارس العامة

أولاً- فهرس الآيات القرآنية.

ثانياً- فهرس الأحاديث النبوية.

ثالثاً- فهرس الأعلام.

رابعاً- فهرس المصادر والمراجع

خامساً- فهرس المحتويات

أولاً- فهرس الآيات القرآنية

طرف الآية	رقمها	الصفحة
البقرة		
﴿ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ﴾	٢	١٤٣
﴿ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمُۢ ﴾	٧	١٥٠
﴿ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضٗاۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمُۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡذِبُونَ ﴾	١٠	١٤٩
﴿ وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا ﴾	١٤	١٤٨
﴿ ٱللَّهُ يَسۡتَهۡزِئُ بِهِمۡ وَيَمُدُّهُمۡ فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ يَعۡمَهُونَ ﴾	١٥	١٤٨
﴿ كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوۡاْ فِيهِ ﴾	٢٠	٨٤
﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلۡأَسۡمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمۡ عَلَى ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِي بِأَسۡمَآءِ ... ﴾	٣١	٧٥
﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾	٣٩	١٤٦
﴿ وَلَا تَلۡبِسُواْ ٱلۡحَقَّ بِٱلۡبَٰطِلِ وَتَكۡتُمُواْ ٱلۡحَقَّ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴾	٤٢	١٤١
﴿ وَٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلۡخَٰشِعِينَ ﴾	٤٥	٤٦
﴿ وَإِذۡ قُلۡتُمۡ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤۡمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهۡرَةٗ فَأَخَذَتۡكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمۡ تَنظُرُونَ ﴾	٥٥	١٢٧
﴿ ثُمَّ قَسَتۡ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَٱلۡحِجَارَةِ أَوۡ أَشَدُّ قَسۡوَةٗۚ ﴾	٧٤	١٥٦، ١٤٥
﴿ وَمِنۡهُمۡ أُمِّيُّونَ لَا يَعۡلَمُونَ ٱلۡكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِيَّ ﴾	٧٨	١٣٨

طرف الآية	رقمها	الصفحة
﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ﴾	٧٩	١٣٩
﴿ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ ﴾	٨٥	١٤٤
﴿ وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ ... ﴾	٨٩	١٤٥
﴿ وَلَمَّا جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ ﴾	١٠١	١٣٦
لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ ﴾	١٤٣	٩٢
﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ﴾	١٤٦	١٣٦
﴿ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً ۚ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ ... ﴾	١٧١	١١٨
﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ﴾	٢١٠	٧٥
﴿ وَلَا تَتَّخِذُوٓا۟ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًا ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَآ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ ... ﴾	٢٣١	١٣٢
آل عمران		
﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ﴾	٧	١٤١،١٥١
﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَٰبِ ٱللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ ... ﴾	٢٣	١٠٤
﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَلْبِسُونَ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾	٧١	١٤١
﴿ وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُۥنَ أَلْسِنَتَهُم بِٱلْكِتَٰبِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ ﴾	٧٨	١٤٦
﴿ قُلْ فَأْتُوا۟ بِٱلتَّوْرَىٰةِ فَٱتْلُوهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ.. ﴾	٩٣	١٤٦

طرف الآية	رقمها	الصفحة
﴿ وَمَا يَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُ ﴾	١١٥	٩٥
﴿ لَيْسُوا۟ سَوَآءً ۗ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴾	١١٣	٩٤،٩٤
﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ ﴾	١٥٩	٣٣
﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ ﴾	١٨٧	١٣٦،١٣٨
﴿ وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَمَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِمْ ... ﴾	١٩٩	٤٦،٩٣
النساء		
﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍۭ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾ ﴾	٤١	١٢، ٣٦، ٥٦
﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ ... ﴾	٩٧	٧٥
﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ ﴾	٦١	١١٥، ١٥٠
﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴾	٨٢	٦١
﴿ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلْكِتَٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا ﴾	١٤٠	١٣٣، ١٤٨
﴿ مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا ﴾	١٤٣	١٤٩
﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴾	١٤٥	١٤٩
﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ﴾	١٥٠	١٤٤
﴿ يَسْـَٔلُكَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَٰبًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۚ ﴾	١٥٣	١٣٧

طرف الآية	رقمها	الصفحة
﴿إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ﴾	١٦٣	١٤٤
المائدة		
﴿فَبِمَا نَقۡضِهِم مِّيثَٰقَهُمۡ لَعَنَّٰهُمۡ وَجَعَلۡنَا قُلُوبَهُمۡ قَٰسِيَةٗ﴾	١٣	١٣٩
﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ كَثِيرٗا مِّمَّا ...﴾	١٥	١٣٥
﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡمُتَّقِينَ﴾	٢٧	٩٥
﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَا ٱلتَّوۡرَىٰةَ فِيهَا هُدٗى وَنُورٞ﴾	٤٤	١٤٢
﴿وَقَفَّيۡنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ ٱلتَّوۡرَىٰةِۖ﴾	٤٦	١٠، ١٤٣
﴿وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغۡلُولَةٌۚ ....﴾	٦٤	١٤٦
﴿وَلَوۡ أَنَّهُمۡ أَقَامُواْ ٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِم مِّن رَّبِّهِمۡ لَأَكَلُواْ مِن فَوۡقِهِمۡ ...﴾	٦٦	١٤٣
﴿قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَسۡتُمۡ عَلَىٰ شَيۡءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُواْ ٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ ...﴾	٦٨	١٤٣
﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةٗ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْۖ ...﴾	٨٢	٩٤
﴿وَإِذَا سَمِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعۡيُنَهُمۡ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمۡعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ ...﴾	٨٣	٥٣
﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ قَالُواْ حَسۡبُنَا مَا وَجَدۡنَا عَلَيۡهِ ...ۚ﴾	١٠٤	١٣٧
الأنعام		
﴿وَمَا تَأۡتِيهِم مِّنۡ ءَايَةٖ مِّنۡ ءَايَٰتِ رَبِّهِمۡ إِلَّا كَانُواْ عَنۡهَا مُعۡرِضِينَ﴾	٤	١٠٨

طرف الآية	رقمها	الصفحة
﴿ وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَٰبًا فِى قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾	٧	١٢٨
﴿ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ ۖ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۚ ﴾	٢٥	٨٩
﴿ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴾	٣٣	١١٢،١١١،٨٧
﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ ﴾	٦٨	١٤٨
﴿ تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا ﴾	٩١	١٣٥
﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ۚ ﴾	١١٥	٦٧
الأعراف		
﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ﴾	١٧٩	١٤٣
﴿ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾	١٨٠	١٠٢
﴿ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾	٢٠٤	١١٦،١٥
الأنفال		
﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾	٢	٤٢،٥٢،٣٩
﴿ وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ ۖ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴾	٢٣	١٠٥
﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا قَالُوا۟ قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَآ ... ﴾	٣١	١٣٠
التوبة		
﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ ۚ ... ﴾	٦	٩١

طرف الآية	رقمها	الصفحة
﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ ﴾	٣٣	٦٧
﴿إِلَّا تَنفِرُواْ يُعَذِّبۡكُمۡ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾	٣٩	١٢٤
﴿ يَحۡذَرُ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيۡهِمۡ سُورَةٞ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِي قُلُوبِهِمۡۚ قُلِ ... ﴾	٦٤	٩٦
﴿ وَلَئِن سَأَلۡتَهُمۡ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلۡعَبُۚ ﴾	٦٥	١٤٧
﴿تَوَلَّواْ وَّأَعۡيُنُهُمۡ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمۡعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُواْ مَا يُنفِقُونَ ﴾	٩٢	٥٤، ٥٤
﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٞ فَمِنۡهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمۡ زَادَتۡهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنٗاۚ .... ﴾	١٢٤	١٥١
﴿لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ عَزِيزٌ عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ حَرِيصٌ .... ﴾	١٢٨	٣٣
يونس		
أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلۡقَآيِٕ نَفۡسِيٓۖ إِنۡ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّۖ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنۡ عَصَيۡتُ رَبِّي ... ﴾	١٥	١٢٦
:﴿ وَمَا تَكُونُ فِي شَأۡنٖ وَمَا تَتۡلُواْ مِنۡهُ مِن قُرۡءَانٖ وَلَا تَعۡمَلُونَ مِنۡ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيۡكُمۡ ... ﴾	٦١	٥٤
﴿ فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلۡحَقُّ مِنۡ عِندِنَا قَالُوٓاْ إِنَّ هَٰذَا لَسِحۡرٞ مُّبِينٌ ٧٦ ﴾	٧٦	١١٤
هود		
﴿وَكَانَ عَرۡشُهُۥ عَلَى ٱلۡمَآءِ ﴾	٧	١٦٠
﴿ وَتِلۡكَ عَادٞ جَحَدُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ وَعَصَوۡاْ رُسُلَهُۥ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَمۡرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٖ ﴾	٥٩	١١٤
يوسف		
﴿ قَالُواْ تَٱللَّهِ لَقَدۡ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيۡنَا وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ ﴾	٩١	١١

طرف الآية	رقمها	الصفحة
﴿وَكَأَيِّن مِّنْ ءَايَةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ﴾	١٠٥	١٠٦
الرعد		
﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾﴾	٢٨	١٦، ٤٢، ٥٣، ٤٣، ٤٣
﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ ٱلْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ ٱلْمَوْتَىٰ ۗ بَل لِّلَّهِ ٱلْأَمْرُ﴾	٣١	١٥٥
الحجر		
﴿مَا نُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَمَا كَانُوٓا۟ إِذًا مُّنظَرِينَ﴾	٨	٧٥
﴿إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ سَلَٰمًا قَالَ إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُونَ﴾	٥٢	٣٩
﴿وَءَاتَيْنَٰهُمْ ءَايَٰتِنَا فَكَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾	٨١	١٠٦
النحل		
﴿ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ ۙ يَقُولُونَ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمُ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾	٣٢	٧٥
﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَىٰ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ يَتَفَيَّؤُا۟ ظِلَٰلُهُۥ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَٱلشَّمَآئِلِ سُجَّدًا لِّلَّهِ﴾	٤٨	١٥٦
﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾	٩٠	١٣
﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ ...﴾	٩٧	٢
﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ ۗ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ ...﴾	١٠٣	١٠٢

طرف الآية	رقمها	الصفحة
الإسراء		
﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِيَذَّكَّرُوا۟ وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا﴾	٤١	١٢٣
﴿وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾	٤٤	أ،١٥٦، ١٦٠
﴿وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي ٱلْقُرْءَانِ وَحْدَهُۥ وَلَّوْا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِمْ نُفُورًا﴾	٤٦	١٢٤
﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ ۖ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ ...﴾	٧٨	٧٧
﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۙ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾	٨٢	٨٥
﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ﴾	٨٨	١
﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا﴾	٨٩	١٢٧
﴿وَقَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا﴾	٩٠	١٣٨
﴿قُلْ ءَامِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ ...﴾	١٠٧	٣١
﴿وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾	١٠٩	٤٦
الكهف		
﴿فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَسَفًا﴾	٦	١٠
﴿وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا﴾	٣٤	١٢٨
﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَىْءٍ جَدَلًا﴾	٥٤	٢٦

طرف الآية	رقمها	الصفحة
﴿ وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ۚ وَيُجَٰدِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ ... ﴾	٥٦	١٣٢، ١٣٣
﴿ قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ ۚ فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا ﴾	٦٤	١١
﴿ ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا۟ وَٱتَّخَذُوٓا۟ ءَايَٰتِى وَرُسُلِى هُزُوًا ﴾	١٠٦	١٣٢
مريم		
﴿ ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ قَوْلَ ٱلْحَقِّ ٱلَّذِى فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴾	٣٤	٩١
﴿ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُ ٱلرَّحْمَٰنِ خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَبُكِيًّا ﴾	٥٨	٣٠، ٣٢
﴿ وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ هُدًى ۗ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَّرَدًّا ﴾	٧٦	١٥١
طه		
﴿ طه ۝١ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ۝٢ إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ۝٣ ﴾	١-٣	٥٩
﴿ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ﴾	٩	٩١
﴿ وَلَقَدْ أَرَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَىٰ ﴾	٥٦	١٢٥
﴿ قَالُوا۟ لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ ﴾	٧٢	١١
﴿ قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا۟ بِهِۦ ﴾	٩٦	١٠
﴿ وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ﴾	١٠٨	٤٥
﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا ﴾	١٢٤	١٠٥

طرف الآية	رقمها	الصفحة
﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا ٱئْتِ ...﴾	١٢٥	١٢٦
﴿قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ﴾	١٢٦	١٢٦
الأنبياء		
﴿ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ﴾	١	١٠٨،١١٨
﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْحَقَّ فَهُم مُّعْرِضُونَ﴾	٢٤	١٠٨
﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ ...﴾	٣٠	٦١،١٦٠
﴿وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَآءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ ءَايَٰتِهَا مُعْرِضُونَ﴾	٣٢	١٠٧
﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَٱلطَّيْرَ﴾	٧٩	١٥٥
﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا۟ ...﴾	٩٠	٤٦
﴿لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ هَٰذَا يَوْمُكُمُ ...﴾	١٠٣	١٠١
الحج		
﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ﴾	٣٤	٤٢، ٤٤
﴿ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمْ﴾	٣٥	٤٠
﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ تَعْرِفُ فِى وُجُوهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْمُنكَرَ﴾	٧٢	١١٠
المؤمنون		
﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ﴾	١-٢	٤٦

طرف الآية	رقمها	الصفحة
- ﴿ فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴾	٣٧-٣٨	١١
﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴾	٦٠	٤٠
تعالى ﴿ بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَن ذِكْرِهِم مُّعْرِضُونَ ﴾	٧١	١٠٧
﴿ فَٱتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّىٰٓ أَنسَوْكُمْ ذِكْرِى وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ ﴾	١١٠	١٣٣
النور		
﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِى مَآ أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾	١٤	٥٤
﴿ وَإِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ ﴾	٤٨	١٥٠
﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ﴾	٥١	١٠٥
الفرقان		
﴿ وَقَالُوٓا۟ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ٱكْتَتَبَهَا فَهِىَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾	٥	١٣٠
﴿ وَإِذَآ أُلْقُوا۟ مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُّقَرَّنِينَ دَعَوْا۟ هُنَالِكَ ثُبُورًا ﴾	١٣	٥٨
﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسْجُدُوا۟ لِلرَّحْمَٰنِ قَالُوا۟ وَمَا ٱلرَّحْمَٰنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا ﴾	٦٠	١٢٤
﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا۟ عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ﴾	٧٣	٥٢، ٨٩
الشعراء		
﴿ لَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴾	٣	٣٧

طرف الآية	رقمها	الصفحة
﴿ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ مُحْدَثٍ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهُ مُعْرِضِينَ ﴾	٥	١٠٧
النمل		
﴿ وَأَلْقِ عَصَاكَ ۚ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ ۚ ﴾	١٠	١٥٦
﴿ فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ ءَايَٰتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾	١٣	١١٤، ١٢٨
﴿ وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ۚ ﴾	١٤	٨٤، ١١١، ١٢٥
العنكبوت		
﴿ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۖ وَمِنْ هَٰٓؤُلَآءِ ... ﴾	٤٧	١١٤
﴿ بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ۚ وَمَا يَجْحَدُ ... ﴾	٤٩	١١٣
الروم		
﴿ فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ ﴾	٥٠	٩، ١١
لقمان		
﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا ... ﴾	٦	١٣٤
﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِىٓ أُذُنَيْهِ وَقْرًا ۖ ... ﴾	٧	١٠٦
﴿ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ ﴾	١٢	ت
﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ﴾	٢١	١٣٧

طرف الآية	رقمها	الصفحة
﴿وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ﴾	٣٢	١١٥
السجدة		
﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِهَا خَرُّوا۟﴾	١٥	٤٨
الأحزاب		
﴿وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ﴾	٣٥	٤٧
سبأ		
﴿وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلْحَقَّ﴾	٦	٢٠
﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالُوا۟ مَا هَٰذَآ إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَن يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ...﴾	٤٣	١١٤، ١٣١
فاطر		
﴿إِنَّمَا تُنذِرُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ﴾	١٨	٥٦
﴿وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ...﴾	١٩	١٣٧
﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾	٢٨	٤٩، ٥٦
﴿وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِن جَآءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى ٱلْأُمَمِ فَلَمَّا ...﴾	٤٢	١٢٣، ١٢٤
يس		
﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا۟ وَءَاثَٰرَهُمْ﴾	١٢	١١

طرف الآية	رقمها	الصفحة
الصافات		
﴿ بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ ﴾	١٢	١٣٣، ١٣٤
﴿ فَهُمْ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ يُهْرَعُونَ ﴾	٧٠	١١
ص		
﴿ إِنَّا سَخَّرْنَا ٱلْجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحْنَ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِشْرَاقِ ﴾	١٨	١٥٥
﴿ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَآ أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلشَّيْطَٰنُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ... ﴾	٤١	١٦٠
الزمر		
﴿ إِنَّا سَنُلْقِى عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ﴾	٥	٣٠
﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ .... ﴾	٢٣	١٦، ١٩، ٥١، ٢٣، ٢٧
﴿ وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحْدَهُ ٱشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَإِذَا .... ﴾	٤٥	١١٩
غافر		
﴿ حمٓ ۝ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴾	١-٢	٨٧
﴿ أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ مِن قَبْلِهِمْ ﴾	٢١	٩، ١١
﴿ كَذَٰلِكَ يُؤْفَكُ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴾	٦٣	١١٥
﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾	٨٢	١١

طرف الآية	رقمها	الصفحة
فصلت		
﴿فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾	٤	١١٦
﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِّثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ﴾	١٣	٨٣، ٨٧
﴿فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ ...﴾	١٥	١١٣
﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَٰذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ﴾	٢٦	٨٣،٨٩،٩٠،١٠٠
﴿ذَٰلِكَ جَزَاءُ أَعْدَاءِ اللَّهِ النَّارُ لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ جَزَاءً بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ﴾	٢٨	١١٤
﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا ...﴾	٣٠	٧٥
﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً﴾	٣٩	٤٧
﴿إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا أَفَمَن يُلْقَىٰ فِي النَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِي ...﴾	٤٠	١٠٠، ١٠١
﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ ...﴾	٤٤	١٥١
الشورى		
﴿وَتَرَاهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَاشِعِينَ مِنَ الذُّلِّ﴾	٤٥	٤٧
﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾	٥٢	٢١
الزخرف		
﴿بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّهْتَدُونَ﴾	٢٢	١١، ١٣٧

طرف الآية	رقمها	الصفحة
﴿ وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴾	٣١	١٢٨
﴿ أَفَأَنتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ أَوْ تَهْدِي الْعُمْيَ وَمَن كَانَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾	٤٠	١١٤
﴿ إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴾	٥٧	١١٥
الجاثية		
﴿ وَإِذَا عَلِمَ مِنْ آيَاتِنَا شَيْئًا اتَّخَذَهَا هُزُوًا ۚ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾	٩	١٣٤
﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ مَّا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّا أَن قَالُوا ائْتُوا بِآبَائِنَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾	٢٥	١٢٦
﴿ ذَٰلِكُم بِأَنَّكُمُ اتَّخَذْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا وَغَرَّتْكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا ۚ فَالْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ .... ﴾	٣٥	١٣٣
الأحقاف		
﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنذِرُوا مُعْرِضُونَ ﴾	٣	١٠٨
﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾	٧	١١٤، ١٢٨
﴿ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَارًا وَأَفْئِدَةً فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَارُهُمْ وَلَا ... ﴾	٢٦	١١٤
﴿ وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا ۖ فَلَمَّا ... ﴾	٢٩	٦٤، ٦٦
﴿ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ ...	٣٠	٦٧
﴿ يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ ﴾	٣١	٦٧، ٦٨
﴿ وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءُ ... ﴾	٣٢	٦٨

طرف الآية	رقمها	الصفحة
محمد		
﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴾	٢٤	١٥
الفتح		
﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا ... ﴾	٢٩	١١
ق		
﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾	٣٧	٢٠
الطور		
﴿ أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴾	٣٥	٢٣، ٨٦
النجم		
﴿ فَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ وَٱعْبُدُوا۟ ﴾	٦٢	٨٣، ١٥٦
القمر		
﴿ وَإِن يَرَوْا۟ ءَايَةً يُعْرِضُوا۟ وَيَقُولُوا۟ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ﴾	٢	١٢٩
﴿ خُشَّعًا أَبْصَٰرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ ﴾	٧	٤٧
الرحمن		
﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ ۞ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ﴾	١-٢	١١١

طرف الآية	رقمها	الصفحة
الحديد		
﴿يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِم بُشْرَىٰكُمُ ٱلْيَوْمَ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا﴾	١٢	١٠١
﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾	١٦	٤٦ ، ٤٧ ، ١٤٥
﴿ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ﴾	٢٧	١١
الحشر		
﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾	٩	١١
﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ وَتِلْكَ ....﴾	٢١	٢٣، ٤٥، ٤٦، ١٥٥
الجمعة		
﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا﴾	٥	١٤٣
المنافقون		
﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِن يَقُولُوا۟ تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ﴾	٤	٩٥
القلم		
﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾	٤	٣٣، ٣٣
﴿إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾	١٥	١٣٠
﴿خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا۟ يُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ وَهُمْ سَٰلِمُونَ﴾	٤٣	٤٥، ٤٧

طرف الآية	رقمها	الصفحة
﴿وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَٰرِهِمْ لَمَّا سَمِعُواْ ٱلذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ لَمَجْنُونٌ﴾	٥١	١٢٢
الحاقة		
﴿وَتَعِيَهَآ أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ﴾	١٢	٤١
﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾	٤٠	٥٨
﴿وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾	٤٢	٥٨
المعارج		
﴿خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلَّذِى كَانُواْ يُوعَدُونَ﴾	٤٤	٤٧
الجن		
﴿قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓاْ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا﴾	١	٢١، ٦٤
﴿يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا﴾	٢	٦٥
﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ ۖ كُنَّا طَرَآئِقَ قِدَدًا﴾	١١	٦٨، ٦٩
﴿وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا ٱلْهُدَىٰٓ ءَامَنَّا بِهِۦ﴾	١٣	٦٨، ٧٠
﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا ٱلْقَٰسِطُونَ ۖ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُوْلَٰٓئِكَ تَحَرَّوْاْ رَشَدًا﴾	١٤	٧٠
﴿وَأَمَّا ٱلْقَٰسِطُونَ فَكَانُواْ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾	١٥	٧١
﴿وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُواْ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا﴾	١٩	٦٨

طرف الآية	رقمها	الصفحة
المزمل		
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا ۝٢ نِّصۡفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصۡ مِنۡهُ قَلِيلًا ۝٣ أَوۡ زِدۡ عَلَيۡهِ ...﴾	١-٧	٣٤
﴿أَوۡ زِدۡ عَلَيۡهِ وَرَتِّلِ ٱلۡقُرۡءَانَ تَرۡتِيلًا﴾	٤	١٥، ٣٥
﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعۡلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدۡنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيۡلِ وَنِصۡفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٞ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَۚ﴾	٢٠	٣٤
المدثر		
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ۝١ قُمۡ فَأَنذِرۡ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرۡ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرۡ ۝٤﴾	١ -٤	٣١
﴿كَلَّآۖ إِنَّهُۥ كَانَ لِأٓيَٰتِنَا عَنِيدٗا ۝١٦﴾	١٦	١١٤
﴿إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ۝ فَقُتِلَ كَيۡفَ قَدَّرَ ۝ ثُمَّ قُتِلَ كَيۡفَ ...﴾	١٨	٨٦
﴿إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا سِحۡرٞ يُؤۡثَرُ﴾	٢٥	١٢٩
﴿فَمَا لَهُمۡ عَنِ ٱلتَّذۡكِرَةِ مُعۡرِضِينَ﴾	٤٩	١٠٧
النازعات		
﴿قُلُوبٞ يَوۡمَئِذٖ وَاجِفَةٌ ۝٨ أَبۡصَٰرُهَا خَٰشِعَةٞ﴾	٨- ٩	٤٧
﴿فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ۝٣٧ وَءَاثَرَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا﴾	٣٧-٣٨	١١
الطارق		
﴿فَلۡيَنظُرِ ٱلۡإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ﴾	٥	٤٩

طرف الآية	رقمها	الصفحة
الأعلى		
﴿بَلۡ تُؤۡثِرُونَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا﴾	١٦	١١
الغاشية		
﴿وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٍ خَٰشِعَةٞ﴾	٢	٤٧

ثانياً- فهرس الأحاديث النبوية

م	طرف الحديث	الصفحة
١.	أبطأت على رسول الله ليلة بعد العشاء، ثم جئت فقال: أين كنت..	٣٧
٢.	أتيت النبيﷺ وهو يصلي، ولجوفه أزيز كأزيز المرجل..	٣٢
٣.	اخر رسول الله ﷺ صلاة العشاء ثم خرج إلى المسجد فإذا الناس ينتظرون الصلاة	٩٤
٤.	أفلا أحب أن أكون عبداً شكورا	٣٥
٥.	اقرأ علي، قلت: آقرأ عليك وعليك أنزل؟	٣٢
٦.	اقرأ يا ابن حضير، اقرأ يا ابن حضير...	٧٥
٧.	إن أبا بكر رجل رقيق إذا قرأ غلبه البكاء	٥٧
٨.	إن لله ملائكة يطوفون في الطرق يلتمسون أهل الذكر..	٧٦
٩.	أن النبي ﷺ عندما دخل على خديجة بنت خويلد رضي الله عنها، فقال: زملوني...	٣١
١٠.	إنما بعثت لأتمم مكارم الاخلاق	٣٣
١١.	بدا لأبي بكر فابتنى مسجدا بفنا داره وبرز فكان يصلي فيه	٩٠
١٢.	بل أرجو ان يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله عز وجل..	٦٤
١٣.	تلك السكينة نزلت مع القرآن، أو نزلت على القرآن	١٦٢
١٤.	جاورت بحراء شهرا فلما قضيت جواري نزلت فاستبطنت بطن الوادي..	٣٠
١٥.	خدمت رسول الله عشر سنين فما قال لي : أف قط..	٣٤
١٦.	خطب رسول الله خطبة ما سمعت مثلها قط، قال: لو تعلمون ما اعلم لضحكتم...	٥٧
١٧.	زينوا القرآن بأصواتكم، فإن الصوت الحسن يزيد القرآن حسنا	١٥

م	طرف الحديث	الصفحة
١٨.	سجد النبي ﷺ بالنجم، وسجد معه المسلمون والمشركون والجن والإنس	٨٤
١٩.	سمعت النبيﷺ يقرأ في المغرب والطور...	٢٣، ٨٦
٢٠.	سمعت نشيج عمر وأنا في آخر الصفوف في صلاة الصبح	٥٧
٢١.	سئلت عائشة عن خلق رسول الله قالت: ألست تقرأ القرآن؟ قلت : بلى ..	٣٣
٢٢.	عن أنس أنه سئل عن قراءة رسول الله فقال: كانت مدا ...	٣٦
٢٣.	العين حق ولو كان شيء سابق القدر سبقته العين وإذا استغسلتم فاغسلوا	١٢٢
٢٤.	فتعلمنا الإيمان قبل ان نتعلم القرآن..	٤٤
٢٥.	فوالله إني لأعلمهم بالله، وأشدهم له خشية.	٥٦
٢٦.	قال لي النبي ﷺ إقرأ علي: قلت: أقرأ عليك وعليك أنزل؟..	١٢، ٣٦
٢٧.	قرأ رسول الله ﷺ بمكة سورة النجم، فسجد وسجد من عنده..	٨٤
٢٨.	كان النبي ﷺ يخطب إلى جذع، فلما اتخذ المنبر تحول إليه فحن الجذع فأتاه	١٥٧
٢٩.	كان رجل يقرأ سورة الكهف وإلى جانبه حصان مربوط بشطنين...	٧٦
٣٠.	كان يقرأ السورة فيرتلها حتى تكون اطول من أطول منها	٣٦
٣١.	كان يقوم يوم الجمعة إلى شجرة أو نخلة، فقالت امرأة من الأنصار، أو رجل: يا رسول الله، ألا نجعل لك منبرا؟	١٥٧
٣٢.	كنا في مسير لنا فنزلنا فجاءت جارية فقالت إن سيد الحي سليم..	٨٤
٣٣.	لو رأيتني يا أبا موسى وانا اسمع قراءتك البارحة لقد أعطيت مزمارا من مزامير	٣٧
٣٤.	ما كان فينا فارس يوم بدر غير المقداد...	١٢، ٣٢

م	طرف الحديث	الصفحة
٣٥.	من سلك طريقا يبتغي فيه علما سهل الله له طريقا إلى الجنة...	٧٩
٣٦.	من لا يشكر الناس لا يشكر الله	ت
٣٧.	والله إني لأتقاكم لله، وأعلمكم بحدوده	٥٦
٣٨.	وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله ، يتلون كتاب الله ويتدارسونه فيما بينهم..	٧٧، ٧٩
٣٩.	ومثل المنافق الذي يقرأ القرآن...	٩٥
٤٠.	يا أم المؤمنين أنبئيني عن قيام رسول الله، قالت: ألست تقرأ هذه السورة..	٣٥
٤١.	يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار...	٧٨

ثالثاً- فهرس الأعلام المترجم لهم

م	اسم العلم	الصفحة
١.	ابن قيم الجوزية	١٩
٢.	ابن كثير	٢٢
٣.	الباقلاني	١٧
٤.	الجرجاني	١٧
٥.	الخطابي	١٦
٦.	الزرقاني	٢٣
٧.	الزركشي	٢٢
٨.	سيد قطب	٢٤
٩.	السيوطي	٢٢
١٠.	عبد الكريم الخطيب	٢٠
١١.	القاضي عياض	١٩
١٢.	محمد الغزالي	٢٥

رابعاً- فهرس المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.

أولاً – كتب التفسير:

١- أسباب نزول القرآن، علي الواحدي، تحقيق: كمال زغلول، دار الكتب العلمية- بيروت.

٢- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الشنقيطي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت.

٣- الإعراض عن الله تعالى، إبراهيم الحقيل، موقع طريق الاسلام.

٤- أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ناصر الدين البيضاوي، تحقيق: محمد المرعشلي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٨ هـ.

٥- أوضح التفاسير، محمد الخطيب ، المطبعة المصرية ومكتبتها، الطبعة: السادسة.

٦- أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، أبو بكر الجزائري، مكتبة العلوم والحكم، السعودية، الطبعة: الخامسة، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.

٧- البحر المحيط في التفسير، محمد بن حيان، دار الفكر – بيروت، ١٤٢٠ هـ.

٨- البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، أحمد المهدي، تحقيق: أحمد رسلان، الطبعة: ١٤١٩هـ.

٩- التحرير والتنوير، محمد بن عاشور، الدار التونسية للنشر .

١٠- تفسير التستري، سهل التُستري، تحقيق: محمد عيون السود، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤٢٣ هـ.

١١- تفسير الشعراوي، محمد الشعراوي، مطابع أخبار اليوم.

١٢- تفسير القرآن العظيم، إسماعيل بن كثير، تحقيق: سامي سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩ م.

١٣- تفسير القرآن الكريم، ابن قيم الجوزية، دار ومكتبة الهلال – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٠ هـ

١٤- التفسير القرآني للقرآن، عبد الكريم الخطيب، دار الفكر العربي – القاهرة.

١٥- تفسير المراغي، أحمد المراغي، شركة مصطفى الحلبي مصر، الطبعة: الأولى، ١٣٦٥ هـ – ١٩٤٦ م.

١٦- تفسير المنار، محمد رشيد رضا، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

١٧- التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، وهبة الزحيلي، دار الفكر المعاصر – دمشق، الطبعة : الثانية ، ١٤١٨ هـ.

١٨- التفسير الميسر، نخبة من أساتذة التفسير، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف – السعودية، الطبعة: الثانية، ١٤٣٠هـ – ٢٠٠٩ م.

١٩- التفسير الواضح، محمد الحجازي، دار الجيل الجديد – بيروت، الطبعة: العاشرة – ١٤١٣هـ.

٢٠- التفسير الوسيط للقرآن الكريم، محمد طنطاوي، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، الطبعة: الأولى.

٢١- التفسير الوسيط، وهبة الزحيلي، دار الفكر – دمشق، الطبعة : الأولى – ١٤٢٢ هـ.

٢٢- توفيق الرحمن في دروس القرآن، فيصل النجدي، تحقيق: عبد العزيز آل محمد، دار العاصمة، الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤١٦ هـ – ١٩٩٦ م.

٢٣- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن السعدي، تحقيق: عبد الرحمن اللويحق، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى ١٤٢٠هـ –٢٠٠٠ م.

٢٤- تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن، عبد الرحمن آل سعدي، وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد – السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ.

٢٥- جامع البيان في تأويل القرآن، محمد الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ – ٢٠٠٠ م.

٢٦- الجحود، موقع منارة الاسلام.

٢٧- الجواهر الحسان في تفسير القرآن، عبد الرحمن الثعالبي، تحقيق: محمد معوض وعادل عبد الموجود، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٨ هـ.

٢٨- روح البيان، إسماعيل حقي، دار الفكر – بيروت.

٢٩- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين الألوسي، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ.

٣٠- زاد المسير في علم التفسير، جمال الدين الجوزي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤٢٢ هـ .

٣١- زهرة التفاسير، محمد أحمد أبي زهرة، دار الفكر العربي.

٣٢- السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير، شمس الدين الخطيب، بولاق – القاهرة.

٣٣- الصد عن سبيل الله في ضوء القرآن، د. عبد السلام اللوح،د.زكريا الزميلي، مكتبة الجامعة الاسلامية.

٣٤- صفوة التفاسير، محمد الصابوني، دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع – القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤١٧ هـ – ١٩٩٧ م.

٣٥- فتح القدير، محمد الشوكاني، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٤ هـ.

٣٦- الفواتح الإلهية والمفاتح الغيبية الموضحة للكلم القرآنية والحكم الفرقانية، نعمة الله النخجواني، دار ركابي للنشر، مصر، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ – ١٩٩٩ م.

٣٧- في ظلال القرآن، سيد قطب، دار الشروق – بيروت، الطبعة: السابعة عشر – ١٤١٢ هـ.

٣٨- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، محمود الزمخشري، دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة – ١٤٠٧ هـ.

٣٩- الكشف والبيان عن تفسير القرآن، أحمد الثعلبي، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة: الأولى ١٤٢٢، هـ - ٢٠٠٢ م.

٤٠- لباب التأويل في معاني التنزيل، علاء الدين الخازن، تحقيق: محمد شاهين، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٥ هـ.

٤١- اللباب في علوم الكتاب، أبو حفص سراج الدين النعماني، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ -١٩٩٨م.

٤٢- لطائف الإشارات، عبد الكريم القشيري، تحقيق: إبراهيم البسيوني، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

٤٣- محاسن التأويل، محمد القاسمي، تحقيق: محمد عيون السود، دار الكتب العلميه – بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٨ هـ.

٤٤- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، عبد الحق بن عطية، تحقيق: عبد السلام محمد، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤٢٢ هـ.

٤٥- مختصر تفسير ابن كثير، المؤلف: محمد الصابوني، دار القرآن الكريم، بيروت، الطبعة: السابعة، ١٤٠٢ هـ - ١٩٨١ م.

٤٦- مدارك التنزيل وحقائق التأويل، عبد الله النسفي، تحقيق: يوسف بديوي، دار الكلم الطيب، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م.

٤٧- معالم التنزيل، عبد الله الزيد، دار السلام للنشر والتوزيع - الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤١٦هـ.

٤٨- معجم وتفسير لغوي لكلمات القرآن، حسن الجمل، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، الطبعة: الأولى، ٢٠٠٣ - ٢٠٠٨ م.

٤٩- مفاتيح الغيب ، فخر الدين الرازي، دار إحياء التراث العربي، الطبعة: الثالثة - ١٤٢٠ هـ.

٥٠- موسوعة الصفات المذمومة، مكتبة المسجد النبوي الشريف.

٥١- الموسوعة القرآنية، إبراهيم الأبياري، مؤسسة سجل العرب.

٥٢- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، إبراهيم البقاعي، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.

٥٣- النكت والعيون، علي الماوردي، تحقيق: السيد عبد الرحيم، دار الكتب العلمية – بيروت.

٥٤- الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه، مكي بن أبي طالب، جامعة الشارقة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م.

٥٥- الوسيط في تفسير القرآن المجيد، علي الواحدي، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود - علي محمد معوض، دار الكتب العلمية.

ثانياً- كتب السنن

٥٦- إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، أحمد القسطلاني، المطبعة الكبرى الأميرية، مصر، الطبعة: السابعة، ١٣٢٣ هـ.

٥٧- البحر الزخار، أحمد البزار، مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة، الطبعة: الأولى.

٥٨- تطريز رياض الصالحين، فيصل النجدي، تحقيق: عبد العزيز آل حمد، دار العاصمة للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م.

٥٩- حاشية السندي على سنن ابن ماجه = كفاية الحاجة في شرح سنن ابن ماجه، نور الدين السندي، دار الجيل – بيروت.

٦٠- حاشية السندي على سنن النسائي، محمد التتوي، نور الدين السندي، مكتب المطبوعات الإسلامية – حلب، الطبعة: الثانية، ١٤٠٦ – ١٩٨٦.

٦١- دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، محمد البكري، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة: الرابعة، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م.

٦٢- سنن ابن ماجه، محمد القزويني، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية.

٦٣- سنن أبي داود، سليمان الأزدي،تحقيق: محمد عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت.

٦٤- سنن الترمذي، محمد الترمذي، شركة مصطفى البابي الحلبي – مصر، الطبعة: الثانية، ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م.

٦٥- سنن الدارمي، عبد الله الدارمي، تحقيق: حسين الداراني، دار المغني للنشر والتوزيع، السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٢ هـ - ٢٠٠٠ م.

٦٦- السنن الكبرى، أبو بكر البيهقي، تحقيق: محمد عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م

٦٧- السنن الكبرى، أحمد النسائي، تحقيق: حسن شلبي، مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م.

٦٨- سنن النسائي، أحمد النسائي، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية - حلب، الطبعة: الثانية، ١٤٠٦ - ١٩٨٦م.

٦٩- السنن الواردة في الفتن وغوائلها والساعة وأشراطها، أبو عمرو الداني، تحقيق: رضاء الله المباركفوري، دار العاصمة - الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤١٦هـ.

٧٠- شرح رياض الصالحين، محمد العثيمين، دار الوطن للنشر، الرياض.

٧١- شرح صحيح البخارى، لابن بطال، تحقيق: ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرشد - السعودية، الطبعة: الثانية، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م.

٧٢- شرح صحيح مسلم، محي الدين النووي، المطبعة المصرية بالأزهر ، الطبعة الاولى ١٣٤٧هـ- ١٩٢٩م .

٧٣- شرح مختصر صحيح مسلم، زكي الدين المنذري، تحقيق: محمد الألباني، المكتب الإسلامي.

٧٤- شعب الإيمان، أحمد الخراساني، تحقيق: عبد العلي حامد، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣ م.

٧٥- الشفا بتعريف حقوق المصطفى وحاشية الشمني، القاضي عياض، دار الفكر الطباعة والنشر والتوزيع.

٧٦- صحيح البخاري، محمد البخاري، تحقيق: محمد الناصر، دار طوق النجاة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ.

٧٧- صحيح مسلم، مسلم النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت.

٧٨- عون المعبود شرح سنن أبي داود، ومعه حاشية ابن القيم: تهذيب سنن أبي داود وإيضاح علله ومشكلاته، محمد العظيم آبادي، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤١٥هـ.

٧٩- فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن حجر، دار المعرفة – بيروت، ١٣٧٩هـ.

٨٠- مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، علي الملا ، دار الفكر، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠٢م.

٨١- مسند الإمام أحمد بن حنبل، أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠١ م.

٨٢- المصنف، ابن أبي شيبة، تحقيق: كمال الحوت، مكتبة الرشيد- الرياض، الطبعة الأولى.

٨٣- المعجم الكبير، سليمان الطبراني، تحقيق: حمدي السلفي، مكتبة ابن تيمية – القاهرة، الطبعة: الثانية.

٨٤- موطأ الإمام مالك، مالك بن أنس، صححه وخرج أحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

ثالثا- كتب اللغة:

٨٥- إحياء علوم الدين، محمد الغزالي، دار المعرفة – بيروت.

٨٦- أركان الإيمان٢، محمد السحيم، شبكة الألوكة، موقع د. محمد السحيم.

٨٧- أساس البلاغة، محمود الزمخشري، تحقيق: محمد عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ – ١٩٩٨ م.

٨٨- أسد الغابة في معرفة الصحابة، عز الدين ابن الأثير، تحقيق: علي محمد معوض – عادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى،١٩٩٤ م.

٨٩- الاعْتِصَام، إبراهيم الشاطبي، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م.

٩٠- الإعجاز التأثيري للقرآن الكريم وأثره في الدعوة إلى الله، مصطفى السعيد، موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة.

٩١- الإعجاز التأثيري للقرآن، خالد القضاة، مقدم لمؤتمر كلية الشريعة السابع إعجاز القرآن الكريم، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م، جامعة الزرقاء الأهلية.

٩٢- إعجاز القرآن الكريم في دراسة كاشفة لخصائص البلاغة العربية ومعاييرها، عبد الكريم الخطيب، دار الفكر العربي؛ الطبعة: الأولى، سنة١٩٧٤م.

٩٣- إعجاز القرآن الكريم، فضل عباس، سناء عباس، الناشر: جامعة القدس المفتوحة.

٩٤- إعجاز القرآن، أبو بكر الباقلاني، تحقيق: السيد صقر، دار المعارف - مصر، الطبعة: الخامسة، ١٩٩٧م.

٩٥- الإعجاز النفسي التأثيري للقرآن، عباس بن شيخ ، المواقع الإلكترونية.

٩٦- الإعجاز النفسي في القرآن الكريم، محمد الجمل، ملتقى أهل التفسير.

٩٧- الإعجاز في دراسات السابقين، عبد الكريم الخطيب، دار الفكر العربي.

٩٨- إغاثة اللهفان في حكم طلاق الغلبان، ابن قيم الجوزية، المكتب الإسلامي، الطبعة الثانية، بيروت.

٩٩- الأفعال، علي ابن القَطَّاع، عالم الكتب، لطبعة: الأولى ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م.

١٠٠- إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون، علي الحلبي، دار الكتب العلمية، الطبعة الثانية.

١٠١- الإيمان أركانه حقيقته نواقضه، محمد ياسين، دار السلام، دار الفرقان.

١٠٢- بحر العلوم، نصر السمرقندي، المكتبة الشاملة.

١٠٣- البداية والنهاية، إسماعيل بن كثير، دار هجر، الطبعة: الأولى، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م.

١٠٤- البرهان في علوم القرآن، بدر الدين محمد الزركشي، تحقيق: محمد إبراهيم، الطبعة: الأولى، ١٣٧٦ هـ - ١٩٥٧ م، دار إحياء الكتب العربية.

١٠٥- البلاغة والأثر النفسي دراسة في ترث عبد القاهر الجرجاني، عبد الله بانقيب، رسالة ماجستير في البلاغة والنقد الأدبي، السعودية.

١٠٦- البيان في إعجاز القرآن، صلاح الخالدي، الطبعة الخامسة١٤٢٩هـ، دار عمار.

١٠٧- تاج العروس من جواهر القاموس، محمّد الحسيني، المحقق: مجموعة من المحققين، دار الهداية.

١٠٨- تأويلات أهل السنة، محمد الماتريدي، تحقيق: مجدي باسلوم، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م.

١٠٩- التبيان في آداب حملة القرآن، محيي الدين النووي، تحقيق: محمد الحجار، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت، الطبعة: الثالثة مزيدة ومنقحة، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م.

١١٠- تجربة تأثير القرآن على النبات، د. محمد راتب النابلسي، موسوعة النابلسي للعلوم الإسلامية

١١١- تحذير الإنسان من عداوة الشيطان (٢)، عبد الفتاح المقدشي، شبكة الألوكة.

١١٢- تحفة الذاكرين بعدة الحصن الحصين من كلام سيد المرسلين، محمد الشوكاني، دار القلم- بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٩٨٤م.

١١٣- تحقيق الوصال بين القلب والقرآن، مجدي الهلالي، المكتبة الشاملة، برعاية مكتب الدعوة بالروضة.

١١٤- التصوير الفني في القرآن، سيد قطب، دار المعارف.

١١٥- التعبير القرآني، فاضل السامرائي، دار عمار.

١١٦- التعريفات، علي الجرجاني، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة: الأولى ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

١١٧- تلخيصات مختصرة لكتاب الفوائد لابن القيم، د.خالد الشافعي، موقع طريق الإسلام.

١١٨- تهذيب اللغة، محمد الهروي، تحقيق: محمد مرعب، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الأولى، ٢٠٠١م.

١١٩- التوقيف على مهمات التعاريف، عبد الرؤوف بن تاج العارفين، عالم الكتب- القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م.

١٢٠- الجامع لأحكام القرآن، محمد القرطبي، تحقيق: عبد الله التركي، مؤسسة الرسالة، سنة النشر: ١٤٢٧ – ٢٠٠٦م.

١٢١- جمهرة اللغة، محمد الأزدي، تحقيق: رمزي بعلبكي، دار العلم للملايين – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٩٨٧م.

١٢٢- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، أحمد الأصبهاني، السعادة – مصر، ١٣٩٤هـ – ١٩٧٤م.

١٢٣- الخشوع في الصلاة في ضوء الكتاب والسنة – مفهوم، وفروق، وفضائل، وعلم، وعمل، وفوائد، وأسباب، وآداب، وأحكام، سعيد القحطاني، مطبعة سفير، الرياض.

١٢٤- خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية،عبد العظيم المطعني، مكتبة وهبة، الطبعة: الأولى، ١٤١٣ هـ – ١٩٩٢ م.

١٢٥- الدلائل في غريب الحديث، قاسم السرقسطي، تحقيق: محمد القناص، مكتبة العبيكان، الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ – ٢٠٠١ م.

١٢٦- ذاكرة ماء زمزم، د. عبد الدايم الكحيل، موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن الكريم.

رابعاً- مراجع أخرى:

١٢٧- ربيع الأبرار ونصوص الأخيار، جار الله الزمخشري، مؤسسة الأعلمي، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٢ هـ.

١٢٨- الرحيق المختوم، صفي الرحمن المباركفوري، دار الهلال – بيروت، الطبعة: الأولى.

١٢٩- الرقة والبكاء، ابن أبي الدنيا، تحقيق: محمد يوسف، دار ابن حزم، بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤١٩ هـ – ١٩٩٨م.

١٣٠- السحر تعريفه وأنواعه وآثاره، موقع مقالات إسلام ويب.

١٣١- سيرة ابن إسحاق، محمد بن إسحاق، تحقيق: سهيل زكار، دار الفكر – بيروت، الطبعة: الأولى ١٣٩٨هـ /١٩٧٨م.

١٣٢- السيرة النبوية، عبد الملك بن هشام، مؤسسة علوم القرآن.

١٣٣- شرح ديوان الحماسة، أحمد المرزوقي، تحقيق: غريد الشيخ، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤ هـ – ٢٠٠٣ م.

١٣٤- الشفا بتعريف حقوق المصطفى – مذيلا بالحاشية المسماة مزيل الخفاء عن ألفاظ الشفاء، القاضي عياض، دار الفكر الطباعة والنشر والتوزيع.

١٣٥- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، إسماعيل الفارابي، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين – بيروت، الطبعة: الرابعة ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧ م.

١٣٦- عالم الجن في ضوء الكتاب والسنة، عبد الكريم عبيدات، دار اشبيليا – الرياض.

١٣٧- عالم الجن والشياطين، عمر الأشقر، مكتبة الفلاح، الكويت، الطبعة: الرابعة، ١٤٠٤ هـ – ١٩٨٤ م.

١٣٨- عالم الملائكة الأبرار، عمر الأشقر، مكتبة الفلاح، الكويت، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٣ هـ – ١٩٨٣ م.

١٣٩- عناية المسلمين بإبراز وجوه الإعجاز في القرآن الكريم، محمد جبريل، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة.

١٤٠- عيادة المريض الكافر ورقيته والدعاء له، فهد باهمام، موقع الدليل الفقهي.

١٤١- العين، الخليل الفراهيدي، تحقيق: مهدي المخزومي، إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال

١٤٢- غريب الحديث، عبد الله بن قتيبة، مطبعة العاني – بغداد، الطبعة: الأولى.

١٤٣- الفتاوى الكبرى، تقي الدين ابن تيمية، دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨هـ – ١٩٨٧م.

١٤٤-فتح المجيد شرح كتاب التوحيد، عبد الرحمن التميمي، تحقيق: محمد حامد الفقي، مطبعة السنة المحمدية، القاهرة، الطبعة: السابعة، ١٣٧٧هـ/١٩٥٧م.

١٤٥-الفروق اللغوية، أبو هلال العسكري، دار العلم والثقافة، القاهرة .

١٤٦-الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان، ابن القيم الجوزية، مطبعة السعادة- مصر، الطبعة الأولى،١٣٢٧هـ.

١٤٧-الفوائد، ابن قيم الجوزية، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الثانية، ١٣٩٣ هـ – ١٩٧٣م.

١٤٨-القاضي عياض ومفهومه للإعجاز القرآني، أحمد العمري، مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، السنة العاشرة، العدد الثاني.

١٤٩-القاموس المحيط، مجد الدين الفيروزآبادى، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة: الثامنة، ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥ م.

١٥٠-الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، أبو البقاء الحنفي، المحقق: عدنان درويش – محمد المصري، مؤسسة الرسالة – بيروت.

١٥١-الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، أيوب الكفوي، تحقيق: عدنان درويش – محمد المصري، مؤسسة الرسالة – بيروت.

١٥٢-الكواشف الحلبية عن معاني الوسطية، عبدالعزيز السلمان، دار البحوث العلمية.

١٥٣-لسان العرب، جمال الدين ابن منظور، دار صادر – بيروت، الطبعة: الثالثة – ١٤١٤هـ.

١٥٤-لمسات بيانية في سورة الحج، فاضل السامرائي، موقع اسلاميات.

١٥٥-مباحث في إعجاز القرآن، مصطفى مسلم، دار القلم – دمشق، الطبعة: الثالثة، ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥ م.

١٥٦-مجاز القرآن، معمر التيمى البصري، مكتبة الخانجى – القاهرة، الطبعة: ١٣٨١ هـ.

١٥٧-مجمل اللغة، أحمد بن فارس، دراسة وتحقيق: زهير عبد المحسن سلطان، مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة الثانية – ١٤٠٦ هـ – ١٩٨٦ م.

١٥٨- مجموع الفتاوى، تقي الدين بن تيمية ، تحقيق: عبد الرحمن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة.

١٥٩-مختصر طبقات المكلفين لابن القيم، عبد الله آل جار الله، موقع صيد الفوائد .

١٦٠-مخطوطة بخط الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن الجبرين، بحوزة الشيخ علي بن حسين أبولوز، الموقع الرسمي للشيخ خالد الحبشي، موقع العلاج بالرقية الشرعية من الكتاب والسنة، السعودية.

١٦١-مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، ابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد البغدادي، دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤١٦ هـ – ١٩٩٦م.

١٦٢-المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، أحمد الفيومي، المكتبة العلمية – بيروت.

١٦٣-مظاهر التأثير القرآني على المؤمنين، عبد السميع العرابيد، صحيفة دار العلوم، القاهرة.

١٦٤-معترك الأقران في إعجاز القرآن، لجلال الدين السيوطي، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨ م.

١٦٥-المعجزة القرآنية حقائق علمية قاطعة، أحمد أبو شوفة، دار الكتب الوطنية – ليبيا.

١٦٦-معجم التعبيرات القرآنية، محمد عتريس، الدار الثقافية للنشر.

١٦٧-معجم اللغة العربية المعاصرة، أحمد عمر، عالم الكتب، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ – ٢٠٠٨ م.

١٦٨-المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

١٦٩-المعجم الوسيط، أحمد الزيات وأخرون، الناشر: دار الدعوة.

١٧٠-معجم لغة الفقهاء، محمد رواس قلعجي – حامد صادق قنيبي، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، الثانية، ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨ م.

١٧١- معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الفكر.

١٧٢- مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، محمد ابن قيم الجوزية، دار الكتب العلمية – بيروت.

١٧٣- المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهانى، المحقق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٢ هـ.

١٧٤- مناهل العرفان في علوم القرآن، محمد الزرقاني، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، الطبعة: الطبعة الثالثة.

١٧٥- المنتدى العربي لإدارة الموارد البشرية، في رحاب الإسلام.

١٧٦- منحة القريب المجيب في الرد على عباد الصليب، عبد العزيز آل معمر، المكتبة الشاملة.

١٧٧- موسوعة الفقه الإسلامي، محمد التويجري، بيت الأفكار الدولية، الطبعة: الأولى، ١٤٣٠هـ – ٢٠٠٩ م.

١٧٨- الموسوعة القرآنية، إبراهيم الأبياري، مؤسسة سجل العرب.

١٧٩- الموسوعة القرآنية، إبراهيم الأبياري، مؤسسة سجل العرب.

١٨٠- الموقع الرسمي د. عبد العزيز بن باز، شرح معنى القاسطين والمقسطين في القرآن

١٨١- نشأة الإعجاز التأثيري للقرآن وتطوره، محمد يوسف، موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة.

١٨٢- نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم – صلى الله عليه وسلم، لعدد من المختصين بإشراف: صالح حميد، دار الوسيلة للنشر والتوزيع، جدة، الطبعة : الرابعة.

١٨٣- نظرات في القرآن، محمد الغزالي، دار نهضة مصر، الطبعة : الأولى.

١٨٤- نظرية التصوير الفني عند سيد قطب، د. صلاح الخالدي، دار الفرقان للنشر والتوزيع.

١٨٥- النهاية في غريب الحديث والأثر، مجد الدين ابن الأثير، المكتبة العلمية – بيروت، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م.

خامساً- فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
آية	أ
إهداء	ب
شكر وتقدير	ت
المقدمة	١
أولا- سبب اختيار الموضوع	٢
ثانيا - أهمية وأهداف البحث	٢
ثالثا- الدراسات السابقة	٢
رابعا- منهج البحث	٣
خامسا - خطة البحث	٣
التمهيد **مفهوم التأثير القرآني ومعالمه**	
أولاً :التأثير القرآني لغة واصطلاحاً	٩
ثانياً: الأثر في الآيات القرآنية	١٠
ثالثاً: التأثير بالقرآن الكريم من خلال السنة النبوية	١٢
رابعاً: معالم التأثر بالقرآن الكريم	١٤
خامساً: التأثير القرآني عند العلماء	١٦
سادساً: التأثير القرآني في بعض كتب التفسير وعلوم القرآن	٢٢
الفصل الأول **تأثير القرآن على النبي ﷺ والمؤمنين**	
المبحث الأول: تأثير القرآن على النبي ﷺ.	٢٩
المطلب الأول: تغير ملامحه عند نزول القرآن عليه.	٣٠
المطلب الثاني: بكاء المصطفى عليه السلام.	٣١

الموضوع	الصفحة
المطلب الثالث: التزامه بالقرآن سلوكا وعملا وخلقا.	٣٣
المطلب الرابع: تلاوته آناء الليل وأطراف النهار.	٣٤
المطلب الخامس: حب سماع القرآن من غيره.	٣٦
المبحث الثاني: تأثير القرآن على المؤمنين	٣٨
المطلب الأول: وجل القلوب	٣٩
المطلب الثاني: خشوع وسجود	٤٥
المطلب الثالث: قشعريرة الجلود ولين القلوب	٥١
المطلب الرابع: فيض من الدموع	٥٣
المطلب الخامس: إعلان الإسلام	٥٨
المبحث الثالث: تأثير القرآن على الجنّ	٦٢
المطلب الأول :استماع الجن للقرآن وتأثرهم به	٦٣
المطلب الثاني: دعوة الجن قومهم وإنذارهم	٦٦
المطلب الثالث: إيمان الجن بالله	٦٨
المبحث الرابع: تأثير القرآن على الملائكة	٧٣
المطلب الأول: دنو الملائكة لسماع القرآن.	٧٤
المطلب الثاني: شهود الملائكة لقرآن الفجر.	٧٧
المطلب الثالث: شهودهم حلق الذكر، وحفهم أهلها بأجنحتهم.	٧٨
الفصل الثاني **تأثير القرآن على غير المؤمنين**	
المبحث الأول : تأثير غير المؤمنين الإيجابي لسماعهم القرآن	٨٢
المطلب الأول : تأثر الكفار الإيجابي.	٨٣

الموضوع	الصفحة
المطلب الثاني : تأثر أهل الكتاب الإيجابي.	٩١
المطلب الثالث : تأثر المنافقين الإيجابي.	٩٥
المبحث الثاني: تأثر غير المؤمنين السلبي لسماعهم القرآن	٩٩
المطلب الأول : تأثر الكفار السلبي.	١٠٠
المطلب الثاني: تأثر أهل الكتاب السلبي.	١٣٥
المطلب الثالث: تأثر المنافقين السلبي.	١٤٧
الفصل الثالث **تأثير القرآن الكريم على الجماد والحيوان والنبات**	
المبحث الأول: تأثير القرآن الكريم في الجماد	١٥٤
المطلب الأول : تصدع الجبال من هيبة كلام الله	١٥٥
المطلب الثاني: حنين الجذع	١٥٦
المبحث الثاني: تأثير القرآن الكريم في الماء	١٥٩
المبحث الثالث: تأثير القرآن الكريم في الحيوان	١٦١
الخاتمة:	١٦٣
أولاً- النتائج	١٦٥
ثانياً- التوصيات	١٦٦
الفهارس العامة	١٦٨
أولاً- فهرس الآيات القرآنية.	١٦٩
ثانياً- فهرس الأحاديث النبوية.	١٩٠
ثالثاً- فهرس الأعلام.	١٩٣
رابعاً- فهرس المصادر والمراجع	١٩٤
خامساً- فهرس المحتويات	٢٠٨